الطريق إلى جماعة المسلمين

تأليف
حسين بن محسن بن علي جابر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م



الطريق إلى جماعة المسلمين

الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية
١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م

الطبعة الثالثة
١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩ م

الطبعة الرابعة
١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت - ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦١٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠
المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب: ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

هذا البحث فى الأصل رسالة علمية نال عنها صاحبها درجة الماجستير بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة شعبة السنّة المشرفة وقد أشرف عليها فضيلة الأستاذ الدكتور **محمود أحمد ميرة**.

وقد توفى الباحث عليه رحمة الله بعدها بمدة وجيزة وهو فى ريعان شبابه فنسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة وأن يسكنه فسيح جناته.

الناشر

الإهداء

* إلى كل إنسان يحب أن تسعد البشرية بنظام ربها .
* إلى كل مسلم يحب أن يعود للإسلام عزه وللأمة الإسلامية سيادتها .
* إلى كل داعية إسلامي يطلب النصر لدعوته .

أهـدى هـذه الحقيقـة :

« إنه لا إسلام إلا بجماعة ،

ولاجمـاعة إلا بإمـارة ،

ولا إمـارة إلا بطـاعة[1] » .

عمـر بن الخطـاب

---

(١) الدارمي ١/٧٩ : عن عمر موقوفا .


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وعلى آله وصحبه وسلم

كلمة وفاء

عرفت الكاتب .. داعيا إلى الله على بصيرة ، ولا نزكى على الله أحدا ، يعرف طريقه ويعرف غايته ، ويسير نحوها بخطى ثابتة .. ولقد كان يتحلى بصفات قلما وجدتها فى غيره ..

كان مضحيا باذلا .. من وقته ، والوقت هو العمر ، باذلا من صحته ، باذلا من ماله .. لايبخل ، وكأنه يملك فى كل ذلك أكثر مما يملك ملوك الدنيا !

كان بيته .. لايكاد يفرغ من الدعاة أو المدعوين.... ولايكاد يفرغ من طعام إلا إلى شراب ، ومن هذا إلى ذلك ومع ذلك كله كان يدرس ، ويقرأ ، وينقب .. ويمحص ..

بذل جهدا واضحا ليخرج بهذه الرسالة .. وليرسم بها الطريق إلى جماعة المسلمين التى لها إمام يطاع ، من خلال صراع الجماعات والتجمعات هنا وهناك ! ونجح إلى حد كبير ...

بل وجاء فيها بالجديد الذى كنت أقرأه لأول مرة ! ولئن كان لى بعض الملاحظات أو التحفظات حول ماكتب عن جماعة التبليغ أو عن حزب التحرير .. ولئن كنت أفضل ألا تذكر هذه الأسماء حفاظا على ود القلوب ووشائج النفوس .. فلكل وجهة هو موليها !

* * *

وبعدُ ..

ففى هذه الرسالة خير كثير ، لا غنى لمسلم فضلا عن داعية من الإلمام به .. رحم الله الفقيد ، وتقبل منه جهده وجهاده ، وألحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ــ اللهم آمين .

القاهرة فى ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٩ .

٢٨ نوفمبر ١٩٨٨ .

المستشار الدكتور

على محمد جريشة

المقدمة

وتحتـــوى علـــى :

* هـدف البحـــث .
* الحاكميـــة لله .
* حوافـــز البحـــث .
* عملـــى فـــى البحـــث .
* المصـــاعب التـــى واجهتنـــى .
* اعتــــذار .
* شكـــر وتقديـــر .

المقـدمـة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله(١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا ربَّكُم الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً ، واتَّقُـوا الله الَّذى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إنَّ الله كانَ عليكُمْ رَقِيبا ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذِين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾(٤) .

١ - هـدف البحـــث :

هدف البحث أن أبين للأمة الإسلامية أن جماعة المسلمين غير موجودة .

وأنه واجب على المسلمين كافة إقامتها ، وأن هذا الواجب هو فرض العصر على كل الأمة حتى تقوم دولةُ الإسلام وتترعرع . قوية عزيزة منيعة يقذف الله بها ومنها الرعب فى قلوب أعداء الله وأعداء الإسلام وكتابه العزيز .

٢ - الحاكميـــة لله :

(أ) لقد جعل الله تعالى الحاكمية من خصوصياته :

قال تعالى : ﴿ إِنِ الحُكم إِلَّا للهِ ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه ، ذَلِكَ الدِينُ

(١) أبو داود ٣٣١/١ والحاكم فى المستدرك ١٨٢/٢ - ١٨٣ والبيهقى فى سننه ١٤٦/٧ .
(٢) الآية : ١٠٢ من سورة ال عمران .
(٣) الآية : ١ من سورة النساء .
(٤) الآيتان : ٧٠ - ٧١ من سورة الأحزاب .

القيِّمُ ، ولكنَّ أكْثَرَ الناسِ لا يعلمونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ إنِ الحُكْمُ إلَّا للهِ عليهِ تَوكَّلْتُ وعَلَيهِ فَلْيَتَوكَّل المُتوَكِّلون ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الحكمُ وهو أسْرعُ الحاسبين ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ إنِ الحكمُ إلا لله يَقُصُّ الحقَّ وهو خير الفاصلين ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ أفحُكْمَ الجَاهِلية يبْغُونَ ومنْ أحْسَنُ مِنَ الله حُكْما لقوْمٍ يُوقِنُون ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ والله يحْكُم لَا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ وهُو سَرِيعُ الحِساب ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ ذلكم بأنه إذا دُعِيَ اللهُ وحده كفرتم وإن يُشْرَك به تؤمنوا فالحكم لله العليِّ الكبير ﴾[7] .

(ب) ثم جعل الإنسان خليفة فى هذه الأرض :

قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾[8] .

وقال تعالى : ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض وَرَفَعَ بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم ﴾[9] .

---

(١) الآية : ٤٠ من سورة يوسف .
(٢) الآية : ٦٧ من سورة يوسف .
(٣) الآية : ٦٢ من سورة الأنعام .
(٤) الآية : ٥٧ من سورة الأنعام .
(٥) الآية : ٥٠ من سورة المائدة .
(٦) الآية : ٤١ من سورة الرعد .
(٧) الآية : ١٢ من سورة غافر .
(٨) الآية : ٣٠ من سورة البقرة .
(٩) الآية : ١٦٥ من سورة الأنعام .

وقال تعالى : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح وزادكم فى الخلق بسطة ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلفاءَ مِنْ بعْد عادٍ وَبَوَّأكُمْ فِى الأرْض .... ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ﴾[3] .

(ج) **ثم أنزل الله تعالى على هذا الإنسان أحكامه** : وتوجيهاته لتكون مرجع ذلك الإنسان فى كل صغيرة وكبيرة من أمره ولتكون نبراس خط سيره على هذه الأرض ،

قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ كان النَّاس أمة واحدة فبعث الله النَّبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾[5] .

(د) ثم جعل سبحانه الطريق إلى الإيمان به التحاكم إلى هديه وتوجيهاته ، والتسليم والخضوع لها :

قال تعالى : ﴿ فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .... الآية ﴾[7] .

---

(1) الآية : ٦٩ من سورة الأعراف .
(2) الآية : ٧٤ من سورة الأعراف .
(3) الآية : ٣٩ من سورة فاطر .
(4) الآية : ٣٨ من سورة البقرة .
(5) الآية : ٢١٣ من سورة البقرة .
(6) الآية : ٦٥ من سورة النساء .
(7) الآية : ٥٩ من سورة النساء .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾(١) .

(هـ) واعتبر جل شأنه كل خروج عليها ، أو انحراف عنها ، طريقا إلى الكفر والظلم والفسوق :

قال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾(٢) .

(و) ثم جعل سبحانه وتعالى طاعة الحاكم بهديه ووحيه من طاعته تعالى ، وطاعة رسوله ﷺ :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله .... ﴾(٤) .

وقال ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى »(٥) .

(ز) وكل طاعة لحاكم بغير ما أنزل الله فهى جاهلية ، وشرك ، وردة ، وضلال :

---

(١) الآية : ٦٠ من سورة النساء .

(٢) الآيات : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

(٣) الآية : ٥٩ من سورة النساء .

(٤) الآية : ٨٠ من سورة النساء .

(٥) أخرجه البخارى ١٢٤/٥ ، مسلم ١٤٦٦/٣ ، ابن ماجه ٩٥٤/٢ ، أحمد ٢٥٣/٢ ، النسائى ١٥٤/٧ .

قال تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك .... ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله .... ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابنِ مريم وما أُمِرُوا إلَّا ليعبدوا إلها واحدا ... ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿وإنْ أطعتموهم ، إنَّكم لمشركون ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ ياداود إنَّا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين النَّاس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .. ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنَّهم قالوا للذين كرهوا مانزَّل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ﴾[7] .

٣ - حـــوافز البحـــث :

من الحوافز التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع ما يلى :

---

(١) الآية : ٥٠ من سورة المائدة .
(٢) الآية : ٤٩ من سورة المائدة .
(٣) الآية : ٦٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية : ٣١ من سورة التوبة .
(٥) الآية : ١٢١ من سورة الأنعام .
(٦) الآية : ٢٦ من سورة ص .
(٧) الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ من سورة محمد .

(أ) غياب جماعة المسلمين عن حياة الأمة الإسلامية ، ووجوب إقامتها .
قال تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ... ﴾[1] .

وقال ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى »[2].

وقال عمر بن الخطاب : (لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة)[3] .

وقال ابن حزم : (أجمع أهل السنة والمرجئة والشيعة والخوارج على وجوب نصب الإمام)[4] .

والكتابة فى هذا الموضوع من باب مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

(ب) الفرقة ، والضياع ، والذلة ، التى تعيشها الأمة الإسلامية ، من جزاء ضياع خلافتها ، وقيادتها ، التى توحد رأيها ، وتجمع شملها ، وتدفع عنها ، وترفع رايتها .

(جـ) إقصاء الإسلام وأحكامه عن حياة البشرية ، بل عن حياة الأمة الإسلامية وهو النظام الوحيد الذى يمكن أن تسعد به البشرية ، والذى لا يمكن أن يحكم هذا الإسلام إلا بعد إقامة جماعة المسلمين .

(د) ومن الدوافع أنى رأيت الكثير من الآيات والأحاديث التى تحث على إقامة جماعة المسلمين فى حياة الأمة الإسلامية ، ووجوب طاعة قيادتها والمحافظة على أمتها ووحدتها واستمراريتها .

---

(١) الآية : ٥٩ من سورة النساء .
(٢) انظر تخريجه بصفحة (١٤) من نفس البحث .
(٣) أخرجه الدارمى ٧٩/١ موقوفا .
(٤) قاله ابن حزم فى الملل ٨٧/٤ .

(هـ) جهل عامة الأمة الإسلامية بوجوب إقامة جماعة المسلمين ، وتعشيش فكرة الفصل بين الدين والسياسة فى أذهان المتعالمين من المسلمين ، وقعود علماء المسلمين عن القيام بهذه المهمة ، والانصراف عنها .

(و) انتفاش الباطل ، وارتفاع رايته على الأرض ، لغياب راية الجهاد الإسلامى عن الساحة ولا جهاد فى الإسلام – إلا بإمام – يرفع رايته وينظم جنوده ، ويوحد طاقات الأمة الإسلامية ، ويتابع سيرها وحركتها .

(ز) الفتنة ، والشقاء ، والضياع ، التى تعيشها البشرية كافة لغياب الدولة الإسلامية ، التى تأخذ بيدها إلى نظام ربها وباريها .

(ح) حالة التسيب التى يعيشها طلبة العلم ، والدعاة إلى الله تعالى بعدم الانضمام إلى العمل الجماعى فى الأمة ، لعدم اقتناعهم بالجماعات الإسلامية العاملة فى ميدان إقامة جماعة المسلمين .

(ط) اقتناعى أن عودة الإسلام إلى حياة الناس من جديد ، بعودة جماعة المسلمين إلى قيادة الأمة الإسلامية متوقفة على الجهد البشرى ، وهذا الجهد البشرى لا يمكن أن يعطى ثماره إلا بعد أن يجمع وينظم[1] .

(ى) واقتناعى أيضا أنه لابد من موجه معصوم لهذا الجهد البشرى حتى يعطى ثماره ، ولا معصوم إلا محمد بن عبدالله ﷺ ، فهو الوحيد الذى يمكن أن يقتنع بتوجيهه الجميع ، وهو الوحيد الذى بدأ هذا الطريق من ألفها إلى يائها ، بدأ وحده وانتهى بدولة حكمت الجزيرة العربية كلها ثم امتد حكمها إلى ما شاء الله أن يمتد إليه .

لهذا كتبت معالم من حياته ﷺ فى دعوته .

(ك) واقتناعى أن تعدد الجماعات فى الأمة الإسلامية باطل يجب أن يزول ، وأن الواجب فى اعتقادى أن تصب جهود الأمة كلها فى قالب واحد . وفى اتجاه واحد ، فحاولت الإشارة إلى ذلك القالب الذى يجب أن ينطوى تحته كل فرد عامل لإعادة الخلافة إلى الأمة الإسلامية .

---

(١) انظر كتاب هذا الدين لسيد قطب ١٧ – ٢٣ .

٤ - عمـلى فى البحـــث :

الكتابة عن الطريق إلى جماعة المسلمين بحث واسع ، ويتطرق إلى جوانب عديدة ، فالخلافة ومتعلقاتها وهو بحث مستقل يأخذ أكثر من رسالة متخصصة ، وكذلك الشورى ، والأمة ، وعليه فقد كان عملى فى هذا البحث كالآتى :

(أ) الاقتصار على الجوانب الرئيسية فى الموضوع ، والإحالة إلى المراجع والمصادر الخاصة بتلك الجوانب لمن أراد التوسع فيها .

(ب) الاقتصار فى الشواهد من الآيات ، والأحاديث ، وأقوال العلماء على مكان الشاهد فقط ، تجنبا لتضخم الرسالة .

(جـ) عدم الإكثار من النقول ، واتباع طريقة الاقتصار فيها على المعنى الذى له أهمية خاصة ، ثم الإحالة على نفس المصادر لمن أراد مزيدا من الإيضاح .

(د) محاولة الاكتفاء بما هو فى مرتبة الصحيح والحسن من الأحاديث فى شواهد البحث والاكتفاء بحكم العلماء عليها ، وترك مالم يتكلموا فيه على حاله اختصارا للوقت .

(هـ) تعمدت أن أسلك طريق الرسم لبعض المعالم من حياة الرسول ، لتكتمل عند القارئ الصورة المطلوبة .

(و) وقد قسمت الرسالة إلى الآتى :

مقدمة ، وتمهيد ،وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وفهارس للآيات والأحاديث المستشهد بها فى البحث ، ثم الموضوعات التى دار حولها البحث .

١ - المقدمة : بينت فيها : هدف البحث ، ثم أثبت أن الحكم لله فى كل شئ والإنسان أداة تنفيذ ذلك الحكم ، وأن أى تطاول من الإنسان ، على هذه الصفة الإلهية ، هو تعد على الله تعالى ، ثم أفصحت عن حوافز اختيارى هذا الموضوع ، وعملى فيه والصعاب التى واجهتنى من خلال ذلك العمل ثم الاعتذار

عن كل تقصير منى فى جوانب الرسالة ، ثم شكرى لكل من ساعد على إخراج هذه الرسالة .

٢ - **التمهيد** : عرفت فيه جماعة المسلمين ، وبينت أهميتها فى الإسلام ، وأدلة عدم وجود تلك الجماعة اليوم فى حياة الأمة الإسلامية .

٣ - **الباب الأول** : تحدثت فيه عن هيكل جماعة المسلمين فى نظرى ، وأنه مكون من قاعدة هى الأمة ، ومن ركنين هما : مجلس الشورى ، والخليفة الأعظم ، ثم أهم غايات ووسائل جماعة المسلمين المنتظرة .

٤ - **الباب الثانى** : بينت فيه الطريق إلى جماعة المسلمين بسرد معالم من سيرة الرسول ﷺ ، عندما أسس دولته ثم طبيعة هذه الطريق .

٥ - **الباب الثالث** : خصصته لأهم الجماعات الإسلامية العاملة لإعادة جماعة المسلمين من جديد إلى حياة الأمة الإسلامية ، وقسمت تلك الجماعات باعتبار الغاية والوسيلة إلى قسمين :

(أ) قسم محدود الغاية والوسيلة ، أى أخذ بعض أحكام الإسلام وغاياته ، وترك الآخر .

(ب) قسم شامل ، الغاية والوسيلة فهو شامل لكل ما يطالب الإسلام به الأمة الإسلامية ، وبينت أن هذا القسم هو الجدير بإعطاء المسلم ولاءه ونصرته .

٦ - **ثم ختمت الرسالة بملخص عام** لأهم ما توصلت إليه فى بحثى هذا .

٧ - **ثم فهرست للأيات والأحاديث** التى استشهدت بها فى بحثى ، ببيان مكانها فى البحث ، وأفردت الآيات بمكانها فى القرآن الكريم .

٨ - **ثم قمت بعمل فهرس دقيق للموضوعات** التى بحثتها ، ومكانها فى البحث .

٥ - الصعاب التى واجهتنى :

واضح أن من سنن الله فى الكون ، أن كل بداية فى حياة الإنسان تكون صعبة المقدمات على ذلك الإنسان بارز فى نتائجها الضعف والقصور ، وطالب الدراسات العليا واحد من أصحاب تلك البدايات ، تنطبق عليه سنن الله تعالى فيها .

ومن الصعاب التى واجهتنى فى بدايتى هى مايلى :

(أ) غربتى فى الشعبة (الحديث) التى أُحِلْتُ إليها بموجب أمر(١) إدارى خارج عن رغبتى ، ومجال طموحى .

(ب) قلة الكتابة فى الموضوع الذى اخترته ليكون مجال بحثى .

(جـ) طعن رجال الحديث ، فى رواة السير والمغازى ، ومجال بحثى سيرة الرسول ﷺ .

(د) الرعب المسلط على الدعاة الإسلاميين ، وعلى الأخص دعاة عودة الخلافة إلى الأمة الإسلامية .

(هـ) أكبر أبواب بحثى عن الجماعات الإسلامية ، العاملة فى مجال عودة الخلافة إلى الأمة الإسلامية ، وهذه الجماعات محظورة فى المملكة السعودية ، فلم استطع الحصول على مصادر تتحدث عن هذه الجماعات ، فاضطررت إلى الرحيل إلى بعض البلاد الإسلامية لذلك الهدف ....

---

(١) الأصل فى قبولى فى الدراسات العليا فى الجامعة الإسلامية كان فى شعبة العقيدة ، وبعد شهور من ذلك القبول ألغيت شعبة العقيدة من الدراسات العليا فى ذلك العام ، فأحلت بموجب أمر نائب رئيس الجامعة الإسلامية إلى شعبة الحديث .

٦ ـ اعتذار :

إن مثلى ومثل الكتابة فى هذا الموضوع – الطريق إلى جماعة المسلمين – كمثل رجل كلف بالمرور سريعا على عدد من المدن والقرى يخبرهم أن وراءه حريقا سيلتهمهم ، فليس لديه من الوقت ما يسمح له بإعطاء التفصيلات الكاملة عن ذلك الحريق : ما سببه ، ما حجمه ، ما مقدار خطره ....

إذ فى اعتقادى أن بقاء الأمة الإسلامية بدون خليفة يحكم فيها شريعة الله تعالى ، لهو أخطر من الحريق الذى يأتى على بعض مظاهر الحياة :

وعليه فأعتذر إلى كل من قرأ هذا البحث ، عن عدم استقصائى جزئيات كل نقطة منه ، مفصلا ، موضحا ، واكتفائى فى ذلك البحث بالإشارة إلى المهم من الموضوع والتركيز على لبه .

٧ - شكر وتقدير :

أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من شارك فى إخراج هذا البحث ، وأحتفظ له بالجميل ، وأحيل بالدعاء أجره على كريم ، يعطى الكثير ، إنه تعالى سميع مجيب ....

حسين بن محسن بن على جابر

التمهيد

* تعريف جماعة المسلمين .

* مكانة جماعة المسلمين فى الإسلام .

* عدم وجود جماعة المسلمين فى حياة الأمة ، وأدلة ذلك .

التمهـيد

١ - جماعة المسلمين لغة ، وشرعا :

(أ) الجماعة لغـة :

قال صاحب مقاييس اللغة : عند مادة (جمع) : الجيم ، والميم ، والعين ، أصل واحد يدل على تضام الشئ ، يقال : جمعت الشئ جمعا[1] .

وفى المعجم الوسيط « الجماعة : العدد الكثير من الناس ، والطائفة من الناس يجمعها غرض واحد »[2] .

(ب) جماعة المسلمين شرعا :

ذكر الشاطبى بعد سرده أحاديث الرسول ﷺ ، الدالة على الجماعة ، أن خلاصة القول فى هذه الأحاديث فيما يلى :

١ - أن الجماعة : أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر ، فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم .

٢ - أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام .

٣ - أنها جماعة العلماء المجتهدين .

٤ - أن الجماعة جماعة المسلمين ، إذا اجتمعوا على أمير .

---

(١) مقاييس اللغة ٤٧٩/١ .

(٢) المعجم الوسيط ١٣٦/١ .

٥ - أن الجماعة هي الصحابة رضى الله عنهم ، على وجه الخصوص[١] .

ثم رجح الشاطبى كون الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، ثم أيده على ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى[٢] .

وقد جمعت الأقوال الأربعة الأولى فى قول واحد هو : أن جماعة المسلمين جماعة أهل العقد والحل إذا اجتمعوا على خليفة للأمة والأمة تبع لهم .

وبنيت عليه الهيكل الهرمى لجماعة المسلمين - الذى يساوى أمة انبثق عنها مجلس الشورى ، انبثق عن هذا المجلس خليفة المسلمين العام .

حيث لا فرق بين كون الجماعة السواد الأعظم من أهل الإسلام ، أو كونها أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر .

فيشمل هذين القولين أن نقول جماعة المسلمين هم : السواد الأعظم إذا اجتمعوا على أمر .

وكذلك لا فرق بين كونها جماعة العلماء ، أو جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، فهما قولان فى قول واحد - جماعة المسلمين ومنهم العلماء اجتمعوا على أمير ، بل إنك لا تجد فرقا بين السواد الأعظم اجتمعوا على أمر وبين جماعة المسلمين عامة إذا اجتمعوا على أمير ، فكلا القولين مرتبط بالآخر ، يمثل هذا الترابط أن يقال : هم السواد الأعظم اجتمعوا على انتخاب أعضاء مجلس الشورى ، وأعضاء مجلس الشورى اجتمعوا على أمير لهم .

فخلاصة الجمع أن عندنا الأمة فى مكان السواد الأعظم ، هذه الأمة انتخبت ممثليها فى مجلس الشورى ، الذى هو فى مكان جماعة العلماء أو أهل الحل والعقد فى الأمة .

ومجلس الشورى اجتمع على أمير ليكون خليفة المسلمين العام .

---

(١) الاعتصام ٢/٢٦٠ - ٢٦٥ للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى (باختصار) .
(٢) فى فتح البارى ١٣/٣٦ - ٣٧ .

فاجتمعت عندنا الأقوال الأربعة فى قول واحد ، هو أن جماعة العلماء اجتمعوا على أمير والأمة تبع لهم .

واعتمدت فى جمعى هذا على قصة استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ، حيث بايعه كبار الصحابة فى السقيفة ، ثم تبعهم السواد فى بيعة عامة مشهودة(١) .

ولم أتعرض للقول الخامس الذى هو : أن جماعة المسلمين الصحابة رضى الله عنهم ، لأنهم يقصدون به أن الصحابة هى الجماعة الأولى التى يجب الاهتداء بها – ومن سار على هديها فى أى جيل من الأمة فهو جماعة المسلمين .

قال صاحب شرح الطحاوية : « جماعة المسلمين الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين »(٢) .

٢ – مكان جماعة المسلمين من تعاليم الإسلام :

(أ) ولجماعة المسلمين فى الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة وعالية فهى العروة الوثقى التى متى نقضت انفرطت باقى عرى الإسلام وتجمدت أحكامه وذهبت ريحه ، وتشتَّتت أمته وصارت غثاء كغثاء السيل .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يامعشر العرب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة(٣) .

وأخرج أحمد : عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ : « لينقضن عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرها الصلاة »(٤).

---

(١) انظر قصة بيعة الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى البداية والنهاية ٢٤٥/٥ – ٢٤٧ وفى سيرة ابن هشام ٦٥٦/٢ – ٦٦١ وهى ثابتة فى الصحيحين .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٤٣١ .

(٣) الدارمى ٧٩/١ عن تميم الدارى موقوفا .

(٤) أخرجه أحمد ٢٥١/٥ وذكره السيوطى فى الجامع الصغير عن الحاكم فى مستدركه وقال : صاحب فيض القدير قال : الحاكم صحيح ، وقال الذهبى رجال أحمد رجال الصحيح انظر فيض القدير ٢٦٣/٥ .

(ب) وهى الجماعة التى حث القرآن الكريم والسنة المطهرة على المحافظة عليها ، وصون وحدتها ، والعمل على تماسكها وائتلافها ، وحرم كل عمل ينتج عنه المساس بوحدة هذه الجماعة ، أو شق عصاها ، أو خلخلة صفها .

قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل اللهِ جميعا ، ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها ... ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ، ولم ترقب قولى ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ، وكفراً ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنّهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾(٦) .

---

(١) الآية : ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٢) آل عمران الآية : ١٠٥ .
(٣) الروم آية : ٣١ - ٣٢ .
(٤) طه آية : ٩٤ .
(٥) التوبة آية : ١٠٧ - ١٠٨ .
(٦) النساء آية : ٥٩ .

وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾[2] .

أخرج البخارى ومسلم عن مسروق : « لا يحل دم امرئ مسلم .... إلا بثلاث ...... والمارق من الدين التارك للجماعة »[3] .

وأخرج البخارى فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى .... قلتُ : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .... »[4] .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ...... ورجل بايع إماما فإن أعطاه وَفَّى له ، وإن لم يعطه لم يوف له »[5] .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشى ، كأن رأسه زبيبة »[6] .

وأخرج البخارى عن على رضى الله عنه قال : « اقضوا كما كنتم تقضون ، فإنى أكره الاختلاف ، حتى يكون للناس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابى »[7] .

وأخرج البخارى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول

---

(١) آل عمران آية : ١٣٢ .
(٢) الأنفال آية : ١ .
(٣) أخرجه البخارى ٦/٩ ، وهو فى مسلم ١٣٠٣/٣ .
(٤) أخرجه البخارى ٦٥/٩ وهو فى الفتح ٣٥/١٣ .
(٥) أخرجه البخارى ٩٩/٩ وهو فى مسلم ١٠٣/٣ . ابن ماجة ٩٥٨/٢ .
(٦) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها ٧٨/٩ وهو فى مسلم ١٤٦٧/٣ ، ١٤٦٨ وهو فى الفتح ١٢ / ١١٥ — ١١٦ .
(٧) أخرجه البخارى ٢٥/٤ .

الله ﷺ : « .... ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعصى الأمير فقد عصانى »[1] .

وأخرج مسلم عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال : سأل سلمة الجعفى رسول الله ﷺ : « .... فقال : اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليه ما حمل ، وعليكم ما حملتم »[2] .

وأخرج أيضا عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره »[3] .

وأخرج أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليك السمع والطاعة ، فى عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك »[4] .

وأخرج أيضا عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « من بايع إماما فأعطاه ثمرة قلبه ، وصفقة يده ، فليطعه ما استطاع »[5] .

وأخرج مسلم أيضا عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ...... قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صلوا ..... »[6] .

وأخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يد الله مع الجماعة »[7] .

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ١٢٤/٥ ، وهو فى مسلم ١٤٦٦/٣ ، وابن ماجه ٩٥٤/٢ .
(٢) مسلم ١٤٧٥/٣ .
(٣) مسلم ١٤٦٩/٣ ، ابن ماجه ٩٥٦/٢ .
(٤) مسلم ١٤٦٧/٣ ، وهو عند النسائى ١٤٠/٧ .
(٥) مسلم ١٤٧٣/٣ من حديث طويل .
(٦) مسلم ١٤٨١/٣ وهو عند الترمذى ٥٢٩/٤ وقال حسن صحيح .
(٧) أخرجه الترمذى ٤٦٦/٤ .

وأخرج أبوداود عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أنه قام فينا فقال : « ألا إن من أهل الكتاب ...... وأن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة »[1] .

وأخرج أبوداود عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نضر الله امرءاً ...... والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم »[2] .

وأخرج أحمد عن الحارث الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم ..... بخمس : الله أمرنى بهن بالجماعة ، والسمع والطاعة ، والهجرة ، والجهاد فى سبيل الله ، فإنّ من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع ...... قالوا : يارسول الله : وإن صلى وصام ؟!! قال : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم »[3]

وأخرج أيضاً عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ : « أن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية ، والناحية وإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة »[4] .

وأخرج أحمد عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : خطب عمر الناس : ...... فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة ، فليلزم الجماعة[5] .

هذه الوفرة من الآيات ، والأحاديث ، وغيرها تدل على فرضية إقامة الجماعة ، فى حياة الأمة ، وتبين أن غياب جماعة المسلمين عن قيادة الأمة ، يعنى الشتات والذلة والهوان ، فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة .

---

(١) أخرجه أبو داود ١٩٨/٤ وهو فى الترمذى ٢٥/٥ ، وقال حديث حسن صحيح .
(٢) أخرجه أبو داود ٣٢٢/٣ وهو عند الترمذى ٣٤/٥ ، وقال حسن صحيح .
(٣) أحمد ٢٠٢/٤ .
(٤) أحمد ٢٤٣/٥ وقال الألبانى فى الطحاوية ٥٧٨ صحيح الإسناد .
(٥) مسند أحمد بتحقيق شاكر ٢٣٠/١ - ٢٣١ وقال شاكر إسناده صحيح وهو عند الترمذى ٤٦٥/٤ - ٤٦٦ .

وتُحَمِّل هذه النصوص الأمة الإسلامية وزر التفريط والتهاون فى سرعة إقامتها ، والعمل على إيجادها .

٣ – هل فى الأرض جماعة المسلمين ؟؟ :

(أ) بعد تعريف جماعة المسلمين ، لغة وشرعا ، وبيان مكانة جماعة المسلمين بين الأحكام الإسلامية ، نجيب على الاستفهام التالى هل فى الأرض جماعة المسلمين ؟؟ ، والجواب ليس فى الأرض جماعة المسلمين ، بمفهومها الشرعى .

والذى يمكن أن نقول بوجوده بهذا المفهوم ، وعلى وجه الحقيقة ، والواقع هى جماعة من المسلمين[١] ، ودولة لبعض المسلمين[٢] وليس جماعة المسلمين ولا دولة المسلمين .

(ب) ومن الأدلة الصريحة على ذهاب جماعة المسلمين العامة كدولة تحكم كل الأمة الإسلامية ، قوله ﷺ لحذيفة بن اليمان فى حديث طويل : ..... فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة ...... »[٣] .

فالحديث واضح فى الإخبار بإتيان زمن على الأمة الإسلامية تغيب فيه جماعة المسلمين ، عن حياة الأمة الإسلامية .

فلو أن غيابها غير ممكن لبين رسول الله ﷺ ذلك لحذيفة رضى الله عنه ،

---

(١) مثل جماعة الإخوان المسلمين ، وأنصار السنة المحمدية وجماعة التبليغ وغيرها ، فهذه الجماعات تعتبر بالمفهوم الشرعى ، جماعات من جماعة المسلمين .

(٢) مثل حكومة المملكة العربية السعودية ، فهى دولة إسلامية ، لبعض المسلمين ، وهم الشعب السعودى فقط ، وليست دولة لكل الأمة الإسلامية ، بواقع وحقيقة الدولة السعودية نفسها ، وبالمفهوم الشرعى لها ، أما كونها دولة إسلامية ، فلأنها محكومة بمسلمين ، لم يصرح أحد منهم بكفر بواح ، ولأنها تطبق الحدود الإسلامية ولها فى مجال الدعوة إلى الإسلام باع طويل وواسع .

(٣) ذكر الحديث بتمامه وخرج بصفحة (٢٩) من البحث .

بل أقره على توقعه ذلك ، وصرفه إلى العض على أصل شجرة ، فى حال عدم وجود جماعة المسلمين وإمامهم .

(جـ) ومن الأدلة أيضا على عدم وجود جماعة المسلمين تعدد الحكومات التى تحكم الأمة الإسلامية ، فالإسلام لا يعترف بغير حكومة واحدة(١) ، على رأس الأمة الإسلامية ، بل يطالب الأمة الإسلامية بأن تقتل الحاكم الثانى مباشرة كما بينت ذلك النصوص الشرعية .

أخرج مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما »(٢) .

قال النووى عند هذا الحديث (ومعنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها ، وبيعة الثانى باطلة يحرم الوفاء بها)(٣) .

وأخرج أيضا عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « من بايع إماما فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر »(٤) .

ولو كان التعدد فى الحكومات الإسلامية جائزا لما قاتل على ، معاوية وهو القتال العادل ، ولما أهدر دم صفوة الأمة الإسلامية من الصحابة الكرام ، والتابعين الأبرار ، ولما سمى الرسول ﷺ الجبهة المقابلة لعلى رضى الله عنه بالفئة الباغية ، أخرج مسلم : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أخبرنى من هو خير منى (يعنى أبا قتادة) أن رسول الله ﷺ قال : « لعمار حين جعل يحفر

---

(١) يمكن القول بما قال به الفقهاء أن الاعتراف بأكثر من حكومة اعتراف ضرورة ، تماما كأكل لحم الميتة للمضطر ، فإذا زالت الضرورة وجب العودة إلى الأصل وهو الحكومة الواحدة (المعلق) .

(٢) مسلم ١٤٨٠/٣ وهو عند أحمد ٩٥/٣ .

(٣) المنهاج على مسلم ٢٣١/١٢ .

(٤) قال صاحب جامع الأصول ٦٨/٤ : هذه رواية أبى داود وهو مذكور فى مسلم ١٤٧٢/٣ - ١٤٧٣ . والنسائى ١٥٢/٧ - ١٥٣ . وهو فى أبى داود ٩٧/٤ . وعند ابن ماجة ١٣٠٦/٢ .

الخندق ، وجعل يمسح على رأسي ويقول بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية »[1] .

(د) ومن الأدلة أيضا : أن عشرات الأحاديث الصحيحة تخبر بفتن ستجتاح الأمة الإسلامية ، من ساعة وفاة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة ، ومن هذه الأحاديث ما ينص على ذهاب الحكم فى الأمة الإسلامية .

أخرج أحمد عن أبى أمامة الباهلى : عن رسول الله ﷺ ، قال : « لينقضن عرى الإسلام عروة عروة وكلما انتقضت عروة ، تشبث الناس بالتى تليها وأولها نقضا الحكم ، وآخرها الصلاة »[2] .

فالحديث الشريف صريح فى أنه سيأتى يوم على الأمة الإسلامية تغيب فيه حكومتها وخلافتها .

(هـ) ومن الأدلة أيضا أن عشرات الآيات ، والأحاديث[3] ، تحث الأمة الإسلامية بالتماسك والوحدة وتطلب منها الضرب بيد من حديد على عنق كل من حاول تشتيت أمرها ، أو الإساءة إلى وحدتها . وواقع الأمة الإسلامية شتات أمرها ، فى صور الأحزاب الوطنية ، والقومية ، والاشتراكية ، وغيرها من النِّحَلِ .... التى تنخر كيان الأمة الإسلامية بالخلافات والنزاعات ، فلو كانت لهذه الأمة دولة إسلامية لأخذت على يد هذه الأحزاب وأبادتها .

أخرج النسائى عن عرفجة الأشجعى رضى الله عنه قال : رأيت النبى ﷺ ، على المنبر يخطب الناس فقال : « إنه سيكون بعدى ..... فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد ﷺ ، كائنا من كان فاقتلوه ، فإن يد الله مع الجماعة ...... الحديث »[4] .

(و) ومن أدلة عدم وجود جماعة المسلمين فى حياة الأمة ، تعدد نظم

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٢٣٥ .

(٢) انظر تخريجه صفحة(٢٧)من البحث نفسه .

(٣) انظر موضوع مكانة جماعة المسلمين من تعاليم الإسلام من هذه الرسالة .

(٤) أخرجه النسائى ٧/٩٢ وهو فى مسلم ١٤٧٩/٣ وفى أبى داود ٢٤٢/٤ وهو عند أحمد ٢٤/٤ .

الحكم فيها ، فواقع الأمة الإسلامية اليوم يحكى تعاستها ، وشقوتها فى هذا الجانب ، ففى الوقت الذى تحكم مجموعة من هذه الأمة بنظام اشتراكى تحكم مجموعة أخرى منها بنظام رأسمالى ، وكلا النظامين لايعترف به الإسلام ، ووجود جماعة المسلمين فى حياة الأمة الإسلامية ، يعنى الحكم بالإسلام ، وتنفيذ شريعته ، فغياب جماعة المسلمين أدى إلى أن تحكم الأمة الإسلامية بنظم مستوردة من الشرق أو الغرب[1] .

(ز) هذه الأدلة كلها تدل على عدم وجود جماعة المسلمين فى حياة الأمة الإسلامية ، وعليه فواجب الأمة الإسلامية كافة أن تسعى لإيجاد هذه الجماعة - أهل الحل والعقد فى الأمة يتفقون على أمير لهم - فتكون الحكومة الإسلامية والخلافة الإسلامية التى تدين لها الأمة من أدناها إلى أقصاها بالولاء والنصرة .

لابد من هذه الحكومة الإسلامية لترعى شئون المسلمين ، وتحمى حماهم ، وتحفظ وحدتهم ، وتنشر عقيدتهم ، لابد من حكومة إسلامية ترد المارقين ، وتقهر المرتدين ، وتنبه الغافلين عن الحق ، لابد من حكومة إسلامية وخلافة إسلامية لتعلى كلمة الحق والدين ، وتخضع له الكفرة والمشركين ، وإلا فمن يعلن نفير الجهاد ؟؟ ، ويتابع جيوشه خاصة والفقهاء يشترطون فى إعلانه الخليفة[2] ، ولا خليفة بدون جماعة ولا جماعة بدون حكومة .

وهى ضرورة لإنفاذ الحدود ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى .... ﴾[3] .

---

(١) انظر الآيات التالية سورها وأرقامها فى وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى : النساء آية : ١٠٥ . المائدة آية : ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ . الأنعام آية : ٥٢ القصص آية : ٧٠ . غافر آية : ١٢ .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية فى تفصيل ذلك ٤٣٧ ، وبداية المجتهد ٣٠٧/٢ ، وكتاب الأم للشافعى ٨٩/٤ ، وكتاب المجموع شرح المهذب للشيرازى وتكملة المطيعى ٥٢/١٨ ، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ٢٣٧/٧ لمحمد بن على الشوكانى ، وكذلك مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ٧٤/١ - ٨٠ للقلقشندى .

(٣) الآية ١٧٨ من سورة البقرة .

وهى ضرورة وفريضة لرفع مستوى ناشئة المسلمين ، ثقافيا ، وتربويا ، وهى ضرورة وفريضة لإقامة جوانب حياة الأمة الإسلامية : السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، على المنهاج الإسلامى . وبالكيفية التى يريدها الله تعالى ، ورسوله ﷺ .

ولقد أدرك أهميتها عثمان بن عفان رضى الله عنه حينما أعلن قولته المشهورة : « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » .

إن توحيد شعوب الأمة الإسلامية فى شعب واحد ، وتجميع جهود الأمة الإسلامية ومواردها لتصب فى مصب واحد هو مصب الأمة الإسلامية ، وتقليص مصروفات الأمة فى حال عدم تعدد الدول والحكومات وتجنب البذخ والتبذير الماجن ، كل هذا يجعل من هذه الحكومة قوة ثالثة فى هذا العالم الذى لا يفهم غير لغة القوة .

إن وجود الحكومة الإسلامية بهذه الصورة يعنى سير البشرية كافة فى طريقها الصحيح ، لأنها تحمل النظام الذى يريده الله تعالى لهذه البشرية لأنه صانعها وبارئها وهو أعلم بما يصلحها ويضمن سعادتها .

(ج) الخلاصـــــة :

فالحكومة الإسلامية العامة فى صورة جماعة المسلمين غير موجودة .

وإيجادها فرض عين على الأمة الإسلامية كافة حتى توجد وهو فرض عصرها حتى تقوم تلك الدولة العامة التى يغطى سلطانها كافة الأقطار الإسلامية .

ومن العمل على إيجادها الكتابة عن الطريق إليها . لقاعدة « مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

وهو الواجب الذى سأحاول فى بحثى هذا الإشارة إلى بعض جوانبه .

أسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق إنه سميع مجيب .

الباب الأول

هيكل جماعة المسلمين

وفيـه أربعـة فصـول :

الفصل الأول : الأمة الإسلامية .

الفصل الثاني : الشـورى .

الفصل الثالث : الإمامة العظمى .

الفصل الرابع : أهم أهداف جماعة المسلمين ووسائلها .

الفصل الأول

الأمـة الإسـلامية

وفيـه المباحث الآتية :

المبحث الأول : الأمة لغة ووطنا .

المبحث الثانى : الأمة التى ننتسب إليها ، ومراحلها وأقسامها .

المبحث الثالث : خصائص الأمة الإسلامية .

المبحث الرابع : مظاهر وحدة الأمة الإسلامية .

المبحث الأول

الأمة لغة ووطنا

١ - الأمة فى اللغـــة :

قال تعالى : ﴿ ولمَّا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من النَّاس يسقون ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾[٢] .

وقال صاحب لسان العرب « الأمة : الجماعة والقوم من الناس »[٣] .

وقال صاحب مختار الصحاح : « الأمة : الجماعة »[٤] .

الأمة فى اللغة تطلق على معان كثيرة منها القوم والجماعة والحى من الناس . وفى المعجم الوسيط : « أكثرهم من أصل واحد وتجمعهم صفات موروثة ومصالح وأمان واحدة »[٥] .

وقال صاحب الأمة فى دلالتها العربية : « فكون الأمة هنا بمعنى الجماعة أمر لا خلاف فيه وكونها من الناس أمر ثابت بالنص »[٦] .

وقد توسع صاحب المفردات فى غريب القرآن عند لفظ الأمة فقال :

---

(١) القصص آية : ٢٣ .
(٢) الأعراف آية : ١٥٩ .
(٣) لسان العرب ٢٩٣/١٤ .
(٤) مختار الصحاح ص ٢٥٦ .
(٥) انظر المعجم الوسيط ٢٧/١ .
(٦) الأمة فى دلالتها العربية ص ١٦ لمؤلفها الدكتور أحمد فرحات .

« هى كل جماعة يجمعهم أمر ، إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان واحد ، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا وجمعها أمم »[1]

قال تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾[2] .

٢ - الأمة الإسلامية جغرافيا :

(ا) ونقطة الانطلاق فى تحرير وطن الأمة الإسلامية تبدأ من مساحة الأرض التى يغطيها سلطان دار العدل[3] من دار الإسلام ، حيث أن دار الإسلام نفسه. قد يكون فيها دار بغى وهى الأرض التى يسيطر عليها الخارجون على الإمام ، وقد يكون منها دار ردة وهى : التى يسيطر عليها أهل الردة ، وقد يكون منها دار البدعة ، وهى التى يسيطر عليها أهل البدعة ، وكل هذه الدور يطلق عليها دار الإسلام التى تقابل دار الحرب ، والأرض التى يمكن أن يطلق عليها أرض إسلامية بحق ، هى الأرض التى يغطيها سلطان دار العدل ، وهى الدار التى تقيم الإسلام وتحمى أحكامه ، وعلى رأسها الخليفة صاحب الإمامة العظمى .

ثم تتسع حدود الوطن الإسلامى بقدر اتساع سلطان دار العدل حتى تغطى بلاد دار الإسلام بمعناه العام. ثم دار الحرب كلها باستمرارية الجهاد والفتح التدريجى ، لأن الأرض فى الأصل حق للمسلمين ، واحتلال أهل الباطل لبعض أجزائها هو استيلاء منهم على حق من حقوق الأمة الإسلامية ، لقوله تعالى : ﴿ ولله ملك السموٰات والأرض ﴾[4] وصاحب هذا الملك كتب فى الأزل أنه سيورث هذه الأرض لعباده الصالحين . قال تعالى : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يَرِثُهَا عبادِىَ الصالحون ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض ﴾[6]. هكذا كل

---

(١) انظر المفردات فى غريب القرآن ص ٢٣ للراغب الأصفهانى .
(٢) الأنعام آية : ٣٨ .
(٣) دار العدل هى الأرض التى يحكم أهلها بكتاب الله وسنة رسوله .
(٤) الآية : ٤٢ من سورة النور .
(٥) الآية : ١٠٥ من سورة الأنبياء .
(٦) الآية : ٥٥ من سورة النور .

الأرض هى أرض إسلامية فى الأصل ، وتسلط الكفار على أجزاء منها اعتداء على حق من حقوق المسلمين ، وحكم أهل الكفر لبعضها حكم يجب أن يزول .

(ب) وعليه فكل أرض يقف عليها مسلم هى فى الأصل أرضه ويتوجب عليه أن يقيم عليها حكم الله تعالى ، لتصبح دار عدل ، ثم ينطلق إلى من حوله من الأرض لتحريرها وإدخالها تحت سلطان دار العدل ، وإلا فهو مفرط فى حقه مسؤول عن هذا التفريط ، وهذه نقطة البداية عند كل مسلم وهى فرض العصر والزمان على كل مكلف من الأمة الإسلامية ، حيث الأرض كلها محكومة بالكفر ، أو بالردة أو بالبدعة ، أو بالفسوق ولاتوجد فى الأمة خلافة ولا إمامة ، وهى الفريضة التى يتوجب على كل الأمة الإسلامية إقامتها وأن لا تبقى لحظة واحدة بدونها ، وهى الفريضة التى سأحاول فى الأبحاث الآتية توضيح الطريق إليها إن شاء الله تعالى .

(ج) إن الحدود السياسية للأمة الإسلامية فى عصرها الحاضر لا تعتبر دار عدل لها ، لأننا إذا نظرنا إلى حكم تلك الأرض سنجده موزعا بين حكم كافر وآخر مرتد أو مبتدع أو فاسق . فبلاد بخارى وهى أرض إسلامية لكنها محكومة بالشيوعية ، وهو حكم كافر ، وأكثر بلاد إفريقيا بلاد إسلامية لكنها محكومة بحكومات كافرة . وقل مثل ذلك فى بلاد آسيا وغيرها . هذه البلاد كلها من بخارى شرقا إلى فرنسا غربا قد نسميها دار إسلام ، تجاوزا ، ولكن لا يمكن بحال من الأحوال أن نسميها دار عدل ، حتى تقوم فيها حكومات إسلامية تحكم أهلها بالإسلام عبادة وشريعة ، ثم هذه الحكومات كلها تخضع لحكومة مركزية واحدة على رأسها إمام واحد ، عندئذ يمكن أن نسميها دار عدل إسلامية . وبدون أن تحكم تلك البلاد بشرع الله تعالى من قبل حكام مسلمين وبدون أن تخضع كلها لسلطة مركزية واحدة لا يمكن أن تكون دار عدل ، ويتوجب على أهلها من المسيلمين أن يقيموا فيها الحكومة الإسلامية التى تسعى لوحدة كل البلاد الإسلامية تحت راية إسلامية واحدة وخلافة إسلامية واحدة .

هذه هى حدود البلاد الإسلامية ، وذاك وطنها الذى يشمل كرة الأرض

كلها ، وكل جزء منها لا يحكم بالإسلام فهو أرض مغتصبة من أهلها يجب أن تعود إليهم

ونقطة الانطلاق الأولى هي أن كل شبر على هذه الأرض قامت عليه جماعة من الناس تحكم نفسها بشرع الله فهو دار عدل ثم نقطة الانطلاق الثانية هي أن يتحد أهل دار العدل هؤلاء مع غيرهم من دور العدل إن وجدت ليكونوا دولة واحدة ، ثم نقطة الانطلاقة الثالثة أن تنطلق جبهة دار العدل المتحدة أو دولة دار العدل المتحدة إلى من حولها من الناس تبلغهم الإسلام وتخضعهم لأحكامه انطلاقة مستمرة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والأرض كلها خاضعة لعباده الصالحين . إن نقطة الانطلاقة الأولى هي واجب كل مسلم وهي فرض عصره الأول والأمة تسنده ونقطتا الانطلاقة الثانية والثالثة هما واجب الأمة كلها حتى تعود إلى المسلمين أرضهم وللدين عزته .

المبحث الثانى

الأمة التى ننتسب إليها ومراحلها وأقسامها

١ ـ الأمة التى ننتسب إليها :

والأمة الإسلامية ذات نسب عريق وضارب فى شعاب الزمن متأصل فى أعماق هذه الأرض منذ لحظات البشرية الأولى على هذه الأرض .

نواتها الأولى سيدنا آدم ونوح مع الرهط من المرسلين والمؤمنين من بعدهم ، حتى جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله عليهم الصلاة والسلام أجمعين . متمما اللبنة الأخيرة فى البناء الشامخ لهذه الأمة الإسلامية العظيمة .. وقد عبر النبى ﷺ عن ذلك الصرح العظيم بقوله : « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هـلّا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »[١] .

وبهذا الاتصال الواحد نزل قول الرب تعالى شأنه :

﴿ إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾[٢] .

وقوله تعالى شأنه : ﴿ وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾[٣] .

---

(١) رواه مسلم (٤ / ١٧٩٠) عن أبى هريرة وهو عند الترمذى ٥ / ٨٦ وهو فى فتح البارى ٦ / ٥٥٨ ، وأحمد ٥ / ٧ .

(٢) الأنبياء : ٩٢ .

(٣) المؤمنون : الآية : ٥٢ .

هذه هى الأمة التى ينتسب إليها المسلمون اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢ - مراحل الأمة الإسلامية :

وهذه الأمة مرت على مدار التاريخ بمرحلتين رئيستين :

(أ) **المرحلة الأولى** : ما قبل البعثة المحمدية وهى التى كانت تظهر الرسالة فيها لقوم مخصوصين ، بأن يرسل النبى أو الرسول عليه السلام إلى قومه خاصة أو إلى بلدة خاصة فكثيرا ما تسمع فى قصص الأنبياء ﴿ ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾(١) وعلى الرغم من اختلاف المرحلة عما بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ إلا أن الأمة تبقى متصلة ومتحدة فى الصفة الرئيسية وهى الإسلامية قال تعالى : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ﴾(٢) والهدف الواحد وهو أن ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾(٣) .

(ب) **والمرحلة الثانية** : هى التى تبدأ ببعثة سيدنا محمد ﷺ وهى التى انتقلت فيها الدعوة من الإطار القومى المحدود إلى الإطار الإنسانى العام . حيث أمر محمد رسول الله ﷺ أن يعلن أنه رسول الله إلى الناس جميعا . ﴿ قل ياأيُّها النَّاس إنِّى رسول الله إليكم جميعا ﴾(٤) وأنه لا نبى بعده عليه السلام ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾(٥) وأن الشرائع كافة قد نسخها الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ وأنه لا دين يحقق لأصحابه النجاة إلا هذا الدين الذى ختمت به الأديان جميعا . قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله

---

(١) الأعراف آية : ٥٩ .
(٢) الحج : آية : ٧٨ .
(٣) الأعراف من تمام الآية ٥٩ وهو فى آيات كثيرة من الكتاب العزيز .
(٤) الأعراف : آية : ١٥٨ .
(٥) الأحزاب : آية : ٤٠ .

الإسلام ﴾[1] ، ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾[3] .

وقال ﷺ : « لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى »[4] .

٣ - أقسام الأمة :

والأمة المحمدية فى ذلك الإطار الشامل لكل البشرية دينا ونبوة ورسالة تنقسم إلى قسمين :

١ - منها من استجاب لدعوة رسول الهدى ﷺ ، وقرر الدخول فى السلم كافة ، وجعل رضوان الله تعالى غايته ، ومحمداً ﷺ قدوته ، والقرآن الكريم دستوره ، ومنهجه ، والجهاد لإحقاق الحق طريقه وديدنه ، والموت فى سبيل الله طلبه وأمنيته ، هذا القسم هو ما يطلق عليه أمة محمد ﷺ المستجيبة.

٢ - والثانى هو الذى لم يستجب لدعوة محمد ﷺ ولم يدخل فى السلم كافة فهذا القسم هو الذى يمثل أمة الدعوة ، وكلا القسمين يمثل أمة محمد ﷺ فى إطارها العام الشامل للبشرية كلها ، وهذا القسم وإن لم يدخل فى دين الله كافة فإنه يجب عليه أن يستجيب لدعوة الحق ، والأمة الإسلامية مطالبة بإدخاله فى دين الله .

---

(١) آل عمران آية : ١٩ .
(٢) آل عمران آية : ٨٥ .
(٣) آل عمران آية : ٨١ .
(٤) أخرجه أحمد ٣٨٧/٣ ، وقال صاحب الفتح الربانى ١٧٥/١ (قال : فى التنقيح رجال أحمد رجال الحسن وعند ابن حبان فى صحيحه عن جابر أيضا بإسناد صحيح) .

المبحث الثالث

خصائص الأمة الإسلامية ومقوماتها

إن من أهم خصائص الأمة الإسلامية ومقوماتها التى تمتاز بها عن غيرها من الأمم : صفاء عقيدتها من الشرك وشمول تلك العقيدة لكل مظاهر الحياة ثم ربانية منهجها وكماله وبراءته من النقص ثم كونها وسطا وشاهدة على الناس .

١ - الخاصية الأولى : صفاء عقيدتها من الشرك وإقرارها لله سبحانه وحده بالألوهية والربوبية وتفرده سبحانه فى أسمائه وصفاته .

وهذا مما امتازت به الأمة الإسلامية عن غيرها ، فما من أمة أو طائفة من الطوائف من غير هذه الأمة إلا وقد شاب عقيدتها فى الله تعالى شأنه شرك أو خرافة .

فقد أخبرنا سبحانه عن شرك أمتي اليهود والنصارى بقوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ﴾[١] ، ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾[٢] ، ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾[٣] .

وعن شرك الأمم الوثنية قاطبة بقوله : ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾[٤] وقوله : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾[٥] ، ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة

---

(١) البقرة آية : ١١٦ .
(٢) سورة التوبة آية : ٣٠ .
(٣) سورة التوبة آية : ٣٠ .
(٤) مريم آية : ٨٧ .
(٥) نوح آية : ٢٣ .

الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذاً قسمة ضيزى ، إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾[١] ولقد اتخذت الأمم الوثنية الكثير من مخلوقات الله تعالى أربابا من دونه سبحانه فمنهم من عبد الشمس والقمر ، ومنهم من عبد الحجر والشجر ، ومنهم من عبد القرود ومنهم من جعل لنفسه آلهة متعددة لكل ظاهرة من ظواهر الكون فإله النار غير إله الهواء وإله الظلام غير إله النور إلى غير ذلك من التخبط والضلال .

وامتازت الأمة الإسلامية بصفاء عقيدتها فى الله تعالى فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وأنه لامعبود بحق سواه ، وأن الشرك بالله محرم عليها بأمر ربها على لسان نبيها . قال تعالى : ﴿ قل إنّما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب ﴾[٢] .

٢ ــ **الخاصية الثانية : شمول عقيدتها** : فهى تنفرد عن سائر الأمم فى مفهوم العبودية أيضا ، فكما أنها تعتقد أن الله سبحانه هو الواحد الأحد ، فهى تعتقد بأنه سبحانه المحيط بكل حركة البشرية والمسير لها فى سائر شؤونها ، فهو مفهوم لا يفرق بين خالق ورازق للعباد وبين حاكم ومشرع لأولئك العباد ، بل هو الخالق والرازق لعباده ، والمشرع لهم فى كل شؤون حياتهم على اختلاف شعبها ، وهو المفهوم الذى لا يجعل العبودية لله تعالى فى إطار الجانب الروحى من حياة البشر ، والعبودية لغيره فى باقى شؤون حياتهم العامة حيث لا سلطان لله فى جانب العمران أو السياسة أو الاقتصاد أو الآداب أو الأخلاق مثلا ، لأن ذلك من شؤون البشر الدنيوية ، بل يعتبر الإسلام هذا التفريق تضليلا وإضلالا للبشر مخالفا لبدهيات الدين الحنيف . قال تعالى : ﴿ قل إنَّ صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله ربِّ العالمين ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم

---

(١) النجم آية : ١٩ – ٢٣ .

(٢) الرعد آية : ٣٦ .

(٣) الأنعام آية : ١٦٢ .

كافة ﴾(1) ، بل يعتبر ادعاء الإنسان الإيمان بنظام خاص والعيش راضيا مطمئنا فى نظام للحياة مناقض للنظام الذى يؤمن به نفاقا وصاحبه من أهل الدرك الأسفل من النار ، بينما الأمم الأخرى قد جعلت ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، وما نسمعه اليوم من بعض أجهزة الدول العربية وحكامها من تعميق لمبدأ فصل الدين عن الدولة باطل يجب أن يزول ، وما هو إلا سحابة ستمر مع أصحابها لأنها دعوة خاوية من رصيد البرهان ، مدموغة بالحق المبين ، ولأن الأمة قد كشفت هذه الأباطيل وفضحتها بعد تجارب طويلة ، فليس فى الإسلام ما لله لله وما لقيصر لقيصر . قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا .... ﴾(2) .

٣ ــ الخاصية الثالثة : ربانية منهجها : كل الأمم غير الأمة الإسلامية سواء كان منهجها ربانيا أم بشريا قد دخل عليها الكثير من التأويل والتحريف والقصور .

ومنهج الأمة الإسلامية ، ربانى تنزيلا وحفظا قال تعالى : ﴿ إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكر وإنَّا له لحافظون ﴾(3) فهذه حقيقة مسلمة تمتاز بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم .

٤ ــ الخاصية الرابعة: كمال منهجها وبراءته من النقص : وإن من أخص خصائص هذه الأمة الإسلامية كمال منهجها ، لأنه منزل من الله تعالى صاحب الكمال المطلق :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(4) .

---

(1) البقرة آية : ٢٠٨ .
(2) الأنعام آية : ١٣٦ .
(3) الحجر آية : ٩ .
(4) الأنعام آية ١٦١ .

وهو مبرأ من الهوى البشري والضعف الإنساني .

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1] .

قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[3] .

هذا الكمال في المنهج يجعل الأمة ذات خطى مستقيمة وثابتة في طريقها نحو غايتها ويميزها عن كالة الأمم .

٥ ـــ **الخاصية الخامسة : كونها وسطا وشاهدة على الناس** : ومن الخصائص التي امتازت بها هذه الأمة كونها وسطاً في كل أمورها والوسط الذي هو العدل في الأشياء ، يجعل من ذلك الوسط حدا فاصلا بين الإفراط والتفريط ، والأمة الإسلامية تمثل ذلك الحد الفاصل الذي أبعدها عن الإفراط والتفريط اللذين وقعت فيهما كل الأمم غير الإسلامية ، ثم الشهادة على الناس كل الناس يجعل هذه الأمة في مصاف القيادة لهذه البشرية وهي في طريقها إلى ربها لتأخذ حصيلة حركتها على الأرض قيادة تبصير لهذه البشرية بما يجب عليها نحو ربها ودينها .

قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النَّاس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[4] .

وقد عدد سيد قطب أمورا كانت الأمة الإسلامية فيها وسطا بين الأمم نلخص من هذه الأمور ما يلى :

١ ـــ أمة وسطا فى التصور والاعتقاد لا تغلو فى التجرد الروحى ولا فى الارتكاس المادى . إنما تتبع الفطرة الممثلة فى روح متلبس بجسد .

---

(١) النجم آية ٣ ـــ ٤ .

(٢) النحل آية ٨٩ .

(٣) الحاقة آية ٤٤ ـــ ٤٧ .

(٤) البقرة آية : ١٤٣ .

٢ – أمة وسطا فى التفكير والشعور لا تتجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، وفى نفس الوقت لا تستمع لكل ناعق ، إنما تتمسك بما عندها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر فى كل نتاج للفكر والتجربة .

٣ – أمة وسطا فى التنظيم والتنسيق لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب ، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب ، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب .

٤ – أمة وسطا فى الارتباطات والعلاقات لا تلغى شخصية الفرد ومقوماته ولا تتلاشى شخصيته فى شخصية الجماعة أو الدولة ، ولا تطلقه كذلك فردا أبتر جشعا لا هم له إلا ذاته إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدى إلى الحركة والنماء ، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه ، ثم تضع من الكوابح والمنشطات ما يجعل من الفرد خادما للجماعة ، والجماعة ، كافلة للفرد فى تناسق واتساق .

٥ – وكذا أمة وسطا فى الزمان فهى تنهى عهد الطفولة البشرية من قبلها وتحرس عهد الرشد العقلى من بعدها .

٦ – ثم بين أنها من حيث المكان وسطا فى سرة الأرض . وكذا فى وسط بقاعها[1] .

---

(١) انظر فى ظلال القرآن ١٧/٢ – ١٨ باختصار .

المبحث الرابع

مظاهر وحدة الأمة الإسلامية

من أهم مظاهر الوحدة فى الأمة الإسلامية[1] :

١ - وحدة فى العقيدة :

إن للأمة الإسلامية كيانا يصبح داخله كل من قال : لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه ، ومن لم يقلها ليس من كيان هذه الأمة .

ومن المظاهر أيضاً :

٢ - وحدة فى العبادة :

إن الله الذى آمنا به - نحن المسلمين - خلقنا لعبادته ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[2] ، والعبادة التى فرضها الله علينا جميعا واحدة فكل واحد من المسلمين مفروض عليه خمس صلوات فى كل يوم وليلة وكذا صيام شهر من السنة والزكاة إن بلغ عنده النصاب إلى آخر الفروض فى الدين الإسلامى . فالأمة الإسلامية فى هذا الباب تتصرف تصرفا واحدا فهى متحدة فى تأدية هذه العبادة دون تمييز بين فرد وآخر على اختلاف أجناسها وألوانها .

---

(١) كتاب الإسلام لسعيد حوى ٢/١١٢ - ١١٧ باختصار .

(٢) الذاريات آية : ٥٦ .

٣ - وحدة فى العادات والسلوك :

فكل مسلم له فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وينشأ عن هذا وحدة فى السلوك والأخلاق فالمسلمون جميعا ملزمون بالاقتداء به ﷺ سلوكا واتباعا ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾[(١)] .

٤ - وحدة فى التاريخ :

فالمسلم لا يرتبط بطين الوطن ولا بصبغةاللون ،إن تاريخ الإسلام هو الذى ينتسب إليه المسلم وبه يعتز .

٥ - وحدة فى اللغة :

شئ طبيعى أن تكون اللغة العربية مظهرا من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية حيث أن الأمة الإسلامية مطالبة بفهم الإسلام والعمل به ودستور الإسلام الذى هو القرآن منزل بلغة العرب ، ولا يتأتى فهم ذلك القرآن ثم العمل به إلا بعد فهم اللغة العربية وإدراكها ، وليس معنى هذا فناء باقى اللغات فى العالم الإسلامى ولكن المطلوب جعل اللغة العربية اللغة الرسمية للبلاد الإسلامية للتفاهم المشترك بين أقوامها على أن تبقى لغاتهم القومية للتفاهم الخاص بينهم .

٦ - وحدة فى الطريق :

إن طريق المسلمين واحد متميز هو طريق الأنبياء والمرسلين ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾[(٢)] وقال صلى الله عليه وسلم « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك »[(٣)] .

---

(١) الأحزاب آية : ٢١ .

(٢) الفاتحة آية : ٦ - ٧ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٩٦/١ ، وأحمد ١٢٦/٤ ، ابن ماجه فى المقدمة ٤/١ ، أبو داود ٢٠١/٤ ، واللفظ لأحمد عن العرباض بن سارية .

إنها الطريق الموصلة إلى الجنة والتى يطلب المسلم فى كل يوم وليلة ما يقارب العشرين مرة الثبات عليها وأن لا تزل قدمه فيهلك ويضل

٧ - وحدة فى الدستور :

إن منابع الدستور والقانون فى الأمة الإسلامية هما القرآن والسنة اللذان لايجوز أن يكون للمسلمين مصدر ينظم حركتهم على هذا الكوكب إلا ماجاء عن الله وماجاء عن رسوله ﷺ فيهما ﴿ فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ قل إنَّ صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذَلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[٢] .

٨ - وحدة القيادة :

وكما أن الأمة الإسلامية على اتفاق بأن قائدها الأول هو رسول الله ﷺ ثم خلفاؤه الراشدون كل فى زمنه دون تعدد للقيادات . وبما أنه لايصح بحال من الأحوال تعدد القيادات على رأس الأمة الإسلامية لنص الحديث الشريف « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما »[٣] . ويؤيد معنى هذا حديث عبدالله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « من بايع إماما فأعطاه صفقة يده[٤] وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر » قلت[٥] أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : سمعته أذناى ووعاه قلبي[٦] . الحديث .

---

(١) النساء آية : ٦٥ .

(٢) الأنعام آية : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) رواه مسلم ١٤٨٠/٣ ، وأحمد عن أبى سعيد ٩٥/٣ .

(٤) صفقة يده : كناية عن البيعة والعهد .

(٥) القائل هو : عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة .

(٦) قال فى جامع الأصول : ٦٨/٤ : اللفظ لأبى داود وهو طرف من حديث طويل قد أخرجه مسلم بطوله وهو مذكور فى كتاب الفتن ١٤٧٢/٣ ، أبوداود ٩٧/٤ ، ومسلم ١٥٢/٧ - ١٥٤ ، وابن ماجه ٣٠٦/٢ .

ويؤيده أيضا ما جاء فى صحيح مسلم وغيره عن أبى هريرة : « .... فما تأمرنا ؟ . قال ﷺ : وفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم »[1] .

ولأن التعدد فى القيادات يعنى الفرقة والشقاق بين الأمة الواحدة وهى منهية عن ذلك ، ولأن وحدة القيادة فى الأمة رمز على وحدتها ومتانة جسدها ووحدة رايتها فالأمة الإسلامية فى حالة نصبها لإمام واحد لإدارة شئونها فإنها تقدم أعظم دليل على وحدتها وقوتها وتماسك بنائها، فبهذه المظاهر وغيرها تظهر وحدة الأمة الإسلامية كأمتن ما تكون وأعظم ما تكون فالمسلمون أمة واحدة تربط بين أبنائها الأخوة الإسلامية ﴿ إنَّما المؤمنون إخوة ﴾[2] ولاؤهم بعضهم لبعض ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾[3] يجمعهم جسد واحد « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »[4] .

---

(١) مسلم ١٤٧٢/٣ واللفظ له ، والبخارى ٤٠٣/٥ الأعلى وهو فى الفتح ٤٩٥/٦ ، ابن ماجه ٩٥٨/٢ - ٩٥٩ ، وأحمد ٢٩٧/٢ .

(٢) الحجرات آية : ١٠ .

(٣) التوبة آية : ٧١ .

(٤) البخارى ١١/٨ - ١٢ ، مسلم ١٩٩٨/٤ ، وأحمد ٢٧٠/٤ واللفظ للبخارى عن النعمان بن بشير .

الفصل الثانى

الشــــورى

وفيـه المباحث الآتية :

المبحث الأول : الشورى لغة ومكـــانة .

المبحث الثانى : حكم الشورى.

المبحث الثالث : الشورى فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع : شروط أهـل الشورى ، وفـى أى شىء تكون ، وحكم مبدأ الأغلبية .

المبحث الأول

الشورى لغة ومكانة

الشورى لغة ومكانها فى حياة الإنسان :

بعد أن بينت فى الفصل الأول معنى الأمة لغة ، وأوجزت فى إشارة إلى مكانتها ومراحلها ، وأقسامها ، وخصائصها ، ومظاهر وحدتها والتى هى بمثابة القاعدة فى هيكل جماعة المسلمين .

أشرع فى بيان الركن الأول من هيكل جماعة المسلمين ، والذى هو مجلس الشورى والذى ينبثق من القاعدة العامة فى الهيكل (الأمة) وهو الذى يمثل أهل العقد والحل فيها .

١ - تعريف ومقدمة لغوية :

الشورى هى استخراج آراء فى المسألة بغية الإحاطة بجوانبها لإصابة الخير وتجنب الزلل ، قال صاحب المعجم (شار الشئ عرضه ليبدى ما فيه من محاسن)[١] ، وأشار إلى ذلك السيوطى عند قوله تعالى : ﴿وشاورهم فى الأمر﴾[٢] يعنى : (استخرج آراءهم)[٣] . فأصلها فى اللغة من الاستخراج يقال (شار العسل يشوره شورا ، إذا استخرجه من الوقبة واجتناه)[٤] ولها أصل آخر فى اللغة أيضا بمعنى اختبار الشئ لمعرفة حاله ، يقول القرطبى : (قال أهل

---

(١) انظر المعجم الوسيط ٥٠١/١ .
(٢) آل عمران آية : ١٥٩ .
(٣) تفسير الجلالين ص ٥٩ .
(٤) لسان العرب جـ ١٠٣/٦ .

اللغة : الاستشارة مأخوذة من قول العرب : شرت الدابة وشورتها إذا علمت خبرها بجرى أو غيره »[1] .

وقال ابن منظور أيضاً : (شار الدابة يشورها شورا بمعنى راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها ، وقيل عرضها للبيع ، وقيل بلاها ينظر ما عندها وقيل قلبها)[2] .

وكلا المعنيين يصلح أصلا لمادة الشورى المتعارف عليها ، فالاستشارة تأتى بمعنى استخراج الرأى من صاحب الخبرة والشأن ، وتأتى بمعنى الاستجلاء والتبصر والاختبار لجوانب الأمور وذلك بالاستعانة برأى الغير . وأما من جهة المشير فإنه أشبه بالأمر لأن المشير يرى صواب رأيه فكأنه يأمر به يقال : (أشار عليه بأمر كذا : أمره به وهى الشورى والمشورة)[3] . والشورى تأتى بمعنى التشاور ، تقول : (شاوره فى الأمر واستشاره بمعنى)[4] . ولخص صاحب المنجد هذا بقوله : (مجلس الشورى هو المجلس المؤلف للتداول فى شئون البلاد)[5] .

٢ - الشورى طابع إنسانى :

المتتبع لأحوال الناس يجد أن مبدأ الشورى من الأمور التى فُطِر عليها البشر منذ أن خلقهم الله تعالى . فالملاحظ لحركة البشرية سواء على مستوى فردىّ أو جَماعى يرى بكل وضوح هذه الصفة فى تلك الحركة ، فالإنسان العاقل لايُقْدم على أمر ذِى شأن إلّا بعدَ طرحه على من يثق به لاستخراج محاسِن رأْيِه فى ذلك الأمْر. ولا يوجد حاكمٌ فاهمٌ إلا وله مجلس أو بطانةٌ يطرح عليهم ما يَجِدُّ له من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٤ .
(٢) لسان العرب ١٠٥/٦ .
(٣) المصدر السابق ١٠٦/٦ .
(٤) مختار الصحاح ص ٣٥٠ طبعة المكتبة الأموية ومكتبة الغزالى .
(٥) المنجد ص ٤٠٧ .

أمور الرعية ويأخذُ رأيهم فى ذلك وقد قص الله سبحانه وتعالى علينا من قصص الأولين الكثير فى هذا الباب .

(أ) ففى قصةِ ملكةِ سبأ يقول الله تعالى : ﴿ قالتْ يا أيُّها الملأُ أفتُونى فى أمرى ماكنت قاطعةً أمراً حتى تَشْهَدُون . قالوا نحن أولوا قوةٍ وأولوا بأس شديدٍ والأمر إليكِ فانظرِى ماذا تأمرين .... ﴾[1] وهكذا عقدت الملكة ذلك المجلس للتشاورِ فى ذلك الأمر الخطير وهو وصول كتابِ سليمانَ عليه السلام يطلب إليها أن تأتيه بقومها مسلمين ، ولقد خاض بعضُ كُتَّاب الإسلام فى هيكل هذا المجلس وعدد أعضائه ونظامه[2] بدون دليل . وإذاً وعلى هذا . إذا لم يكن نص صريح يؤيده المنطق السليم والعقل الراجح – فالعقل يقول – لا ضرورة لتشتيت العقل فى أمور لا تعود على المسلمين والعلم بالصلاح والأصلح والله أعلم .

(ب) أما فرعون فبعد ما رأى الآيات البينات مع موسى عليه السلام – وعلم قوة معجزته – وعجز عن تخويفه بسلطانه وجبروته – لجأ إلى الملأ حوله يستشيرهم ويستجلى ما عندهم من آراء فى مواجهة هذه القوة التى لا قبل له بها والتى أيقن أنها ستزيله من سلطانه . يقول تعالى فى ذلك : ﴿ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أنْ يخرجكم من أرضكم بسِحْره فماذا تأمرون ، قالوا أرْجِهْ وأخاه وابْعث فى المدائن حاشرين ، يأتوك بكل سَحَّارٍ عليم ﴾[3] . وبعدها أنفذ فرعون مشورة القوم وهنالك أخزاه الله وآمن السحرة برب العالمين رب موسى وهارون .

(جـ) وفى مسند أحمد من حديث صهيب قال : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى همسَ شيئا لا نفهمه ولا يحدثنا به قال : فقال رسول الله ﷺ فطنتم لى ؟ قال قائل : نعم . قال : فإنى قد ذكرت نبيا من الأنبياء أعطى جنودا من قومه فقال : من يكافىء هؤلاء. أو قال من يقوم لهؤلاء أو كلمة شبيهة بهذه – شك

---

(١) سورة النمل آية : ٣٢ – ٣٣ .

(٢) انظر كتاب مبدأ الشورى فى الإسلام للدكتور يعقوب المليجى ص ٦٩ .

(٣) سورة الشعراء آية : ٣٤ — ٣٧ .

سليمان بن المغيرة (الراوى) قال فأوحي الله إليه اختر لقومك إحدى ثلاث إما أن أسلط عليهم عدوا من غيرهم أو الجوع أو الموت قال فاستشار قومه فى ذلك فقالوا : أنت نبى الله فكل ذلك إليك فاختر لنا قال فقام إلى صلاته قال وكانوا يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة .... الحديث »[1] والمقصود أن هذا النبى ﷺ لم يقض فى أمرهم ابتداء إلا بعد المشورة .

(د) أما موسى عليه السلام لما أرسله الله تعالى طلب من ربه أن يعينه بمن يشد أزره ويسدده بالرأى والمشورة والبيان . يقول تعالى حاكيا ذلك عنه :

﴿ واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخى ، اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ﴾[2] .

فهذه الصور التى ذكرها لنا الوحى من قصص الأقدمين تبين أصالة مبدأ الشورى فى التكوين البشرى ذلك لأنه من أعظم الطرق لتحصيل المصالح ، وتجنب الأخطار فيها ، وبه ينجبر الضعف الفردى وتزداد الخبرة والإحاطة بالأمور . وإن كان ما سبق ذكره من الصور يمثل حضارة سبأ أو فرعون أو عمل نبى من الأنبياء ، فإن التاريخ يؤكد أيضا أن هذه القاعدة عامة حتى مع الذين لم يمثلوا حضارة من سائر الأمم ، فالعرب وهم أمة أمية كانوا يأخذون بهذا المبدأ ويقدرونه قدره فى تسيير أمور القبائل ، وأقرب مثال على ذلك دار الندوة بمكة التى كانت تعقد فيها المشاورات والأحلاف فى الجاهلية والتى كانت فى شغل دائم بعد مبعث النبى ﷺ لتشاور عتاة قريش فى كيفية القضاء على دعوة الإسلام ، ومن أبرز تلك المجالس ذلك المجلس الذى أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله : ﴿ وإذْ يمكر بكَ الَّذِينَ كفروا ليثبتوكَ أو يقتلوكَ أَو يخرجوكَ ويمكرونَ ويمكرُ الله والله خيرُ الماكرين ﴾[3] . وقال ابن كثير عن ابن عباس : « إن نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ

---

(١) مسند أحمد جـ ٤ ص ٣٣٣ .
(٢) طه آية : ٢٩ ـــ ٣٢ .
(٣) الأنفال آية : ٣٠ .

من نجد فلما رأوه قالوا من أنت : قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأى ونصح »[1] .

قالوا أجل ادخل فدخل معهم فقالوا انظروا فى شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم ..... إلى آخر ما دار فى هذه الجلسة من تدابير انتهت بالاتفاق على جمع شاب من كل قبيلة لقتله ﷺ فيتفرق دمه فى القبائل ، ولكن الله تعالى أبطل كيدهم وأنجاه بالهجرة وهم لا يشعرون .

فإذا تبين لنا أصالة هذا المبدأ فى الطبع البشرى نجد أن الإسلام الذى يزكى الطبع البشرى ويهذبه يثبت هذا الخلق ويجعل الشورى ركنا أساسيا فى بناء الأمة الإسلامية وصفة بارزة لكل فرد فيها فالقرآن الكريم يصف المسلمين وهم فى مكة وقبل قيام كيان الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة بهذا الوصف الشامل .

قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾[2] . هكذا فى سائر أمورهم يتشاورون فيما بينهم . فهذا أشمل من حصر الشورى فى نطاق نظام الدولة بل هو وصف يعم كل المسلمين ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ بينهم جميعا . وبهذا الشمول جاء الأمر للرسول ﷺ بمشاورة أصحابه ليبين لأمته هذا الأصل على منهاج نبوى حكيم وليسنّ للحكام من بعده هذا الركن على صورة قويمة ، فطاعة لقوله تعالى : ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾[3] . شاور - ﷺ - الصحابة فى كثير من الأمور كما سيأتى فى موضعه بإذن الله تعالى . ولقد سارت على هذا النهج القويم الدول الإسلامية على امتداد العصور .

وكذلك فى العصر الحاضر فما من دولة ولا حكومة تخلو من هذا المبدأ

---

(١) وهو فى الدلائل لأبى نعيم ٦٣/١ - ٦٤ . وأخرجه الطبرى فى تفسيره برقم ١٥٩٦٥ (٤٩٦/١٣) وانظر تفسير ابن كثير (٥٨٦/٣) وسيرة ابن هشام ص ٤٨٠ - ٤٨٢ ، وعند أحمد ٣٤٨/١ (مختصرا) .
(٢) الشورى آية : ٣٨ .
(٣) آل عمران : آية : ١٥٩ .

حتى الدول التي تحكم بنظام الحزب الواحد فهناك لجان الحزب التى تخطط لتلك البلاد ، وكذا الدول المحكومة حكما عسكريا فإن فيها مجالس ثورة يتشاور أعضاؤها فى شئون بلادهم . وبالطبع هذه المجالس مبنية على أسس فاسدة كما أنها محكومة بأفكار وغايات مرتبطة بمصالح طغاتها ، وإنما الهدف من ذكرها هو تقرير قاعدة إجمالية فى كون الشورى من لوازم أمور الفرد والجماعة ، بل هى طبع بشرى عام وإن اختلفت الصور والغايات ، ذلك لأننا سنذكر مبدأ الشورى كركن من أركان هيكل جماعة المسلمين والتى نحن بصدد الكتابة عنها ، وأن هذا الركن يأخذ فى الإسلام صورته الصحيحة كما سيتبين بإذن الله تعالى .

٣ - أهمية الشورى فى الإسلام :

والشورى فى الأمة الإسلامية مبدأ أصيل وصفة لازمة ، بدونها تفقد صلاحها كما لو تركت الأمة الزكاة أو الصيام ، والله سبحانه وتعالى حينما يقرر هذا المبدأ كصفة لهذه الأمة يذكره بين أمهات أركانها وكلياتها التى تدخل فيها باقى دعائم الأمة الإسلامية .

ذكر الله سبحانه وتعالى الشورى مع الإيمان والتوكل عليه سبحانه وتعالى واجتناب كبائر الإثم والفواحش ، ولزوم أدب الإسلام عند الغضب ذكرها مع أمر الاستجابة لله تعالى فى أمره ونهيه مع فرض الصلاة والإنفاق والجهاد للانتصار لدين الله تعالى ، ذكر الشورى مع تلك الفرائض الكلية : الإيمان وهو أصل النجاة ، والتوكل الشامل للاعتقاد الصحيح ، واجتناب الفواحش وهى الألفاظ الشاملة لكل ما يستقبح قوله أو فعله ، والتأدب عند الغضب تأدبا شاملا يخضع كل تصرفات النفس لله تعالى ، والصلاة التى بصلاحها يصلح سائر الأعمال وبفسادها يفسد سائر الأعمال ، والإنفاق الشامل للزكاة الواجبة والصدقة المندوبة ، يقول الله عز وجل : ﴿ فما أُوتِيتُمْ من شئ فمتاعُ الحياةِ الدنيا وما عند الله خيرٌ وأبْقَى للذِين آمنوا وعلى ربِهم يَتَوَكلُون ، والَّذِين يجتنبونَ كبائرَ الإثمِ والفواحشَ وإذا ما غضبوا هم يغفرونَ ، والَّذِين استجابُوا لربهم وأقاموا الصلاة

وأمرهم شُورى بينهم ومما رَزَقْنَاهُم ينفقونَ ، والّذين إذَا أَصَابَهُم البَغْىُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر ﴾[2] قال ابن الملقن : الأمر فى الآية للوجوب[3] . وقد جعل الرسول ﷺ الشورى فى الأمة الإسلامية من الأمور التى ترشح الأمة للسير على هذه الأرض بسلام وسعادة وذلك فى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها .... الحديث »[4] .

من هذه الأدلة نفهم أن إحاطة الرب سبحانه مبدأ الشورى بهذه الكليات يجعل منها أمرا عظيما وفريضة من فرائض الإسلام الكبرى والتى لا يستقيم أمر الأمة المسلمة بدونها وأن أمة كان لمبدأ الشورى فيها تلك المكانة فى سائر أمورها لأمة قريبة من الكمال ملازمة للصواب ، وأن أمة خالفت تلك الطريق لأمة تائهة فى حياتها حائدة عن الصواب مصاحبة للزلل والفشل على أكثر الأحيان .

وفى هذا المعنى أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن الحسن قال : « والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم »[5] .

والإمام عندما يستشير الأمة يحملها مسئولية ذلك الأمر الذى قالت برأيها فيه ، قال حكيم من الأعراب : (ما غبنت قط حتى يغبن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم فيه)[6] . وقيل : (ما ندم من استشار

---

(١) الشورى آية : ٣٦ – ٣٩ .
(٢) آل عمران آية : ١٥٩ .
(٣) انظر خصائص الرسول ص ١٤٤ مع دراسة بحر الدين .
(٤) انظر الترمذى ٥٢٩/٤ – ٥٣٠ .
(٥) انظر فضل الله الصمد على الأدب المفرد ٣٦٨/١ وهى من الفتح ٣٤٠/١٣ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٤ – ٢٥٠ .

ولا خاب من استخار)[1].

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير وهو في الصغير (٢٠٤) رقم ٩٨٨ من طريق عبدالقدوس ابن عبد السلام بن عبد القدوس قال : حدثني أبي عن جدي عبد القدوس عن الحسن عن أنس بن مالك مرفوعا . وهو في مجمع الزوائد (٩٦/٨) وقال عبدالسلام بن عبدالقدوس هو وأبوه كلاهما ضعيف جداً . وانظر المقاصد الحسنة ص (٣٦٦) برقم ٩٥٤ ، وقال المناوي في فيض القدير (٤٤٣/٥) : (لا ندم من استشار أي أدار الكلام مع من له تبصرة ونصيحة) .

المبحث الثانى
حكم الشورى

١ - أقوال العلماء فى الأخذ بالشورى :

لمكان شأن الشورى فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، كما بينا سابقا ، ولعظم أثرها فى صلاح نظم الحكم ، وتأليف المجتمع ،وتسيير أمور الرعية على بصيرة اعتنى علماء الإسلام بتأكيد حكم الشورى وأنها واجبة على حكام الأمة الإسلامية فى كل زمان ومكان .

نقل القرطبى عن ابن عطية قوله : (والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب . هذا لاخلاف فيه)[١] .

ونقل القرطبى أيضا عن ابن خويز منداد قوله : (واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون ، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها)[٢] . ويقول صاحب المنار عند قوله تعالى : ﴿ وشاوِرْهُم فى الأمِر ﴾ : إنه أمر للرئيس بالمشاورة يقتضى وجوبه عليه[٣] .

---

(١) القرطبى فى الجامع ٢٤٩/٤ .

(٢) المرجع السابق ٢٥٠/٤ .

(٣) انظر تفسير المنار لرشيد رضا ٤٥/٤ .

ويقول صاحب الظلال عند قوله تعالى : ﴿ وشاوِرْهُم فى الأمرِ ﴾ : وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكا فى أن الشورى مبدأ أساسى لايقوم نظام الإسلام على أساس سواه[1] .

٢ - اختلاف العلماء فى وجوب الشورى على النبى ﷺ :

لا خلاف بين العلماء فى وجوب أخذ الحاكم بمبدأ الشورى . والخلاف بين العلماء : هل الشورى واجبة أو مندوبة . هو فى حق النبى ﷺ لأنه غنى عنها بالوحى من الله سبحانه وتعالى . وعلى الرغم من ذلك فقد نقل ابن الملقن وجوب الشورى عليه ﷺ وخالفه الإمام الرازى وجماعة .

(أ) قال ابن الملقن : (إن مشاورة ذوى الأحلام واجبة عليه ﷺ على الصحيح عند أصحابنا لظاهر قوله تعالى : ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾[2] وفصل ذلك ابن حجر فى فتح البارى)[3] .

(ب) ونقل الرازى قول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : (إن الأمر فى قوله تعالى : ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ يحمل على الندب)[4] .

٣ - أدلة وجوب أخذ الحاكم بالشورى :

ويؤكد وجوب أخذ الحاكم المسلم بمبدأ الشورى مؤيدات كثيرة منها :

(أ) لقوله تعالى : ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾[5] .

(ب) تطبيق النبى ﷺ لهذا المبدأ ونهج خلفائه[6] - رضى الله عنهم - من بعده على هذه القاعدة وهم قدوتنا .

(١) الظلال ١١٧/٤ .
(٢) خصائص الرسول ﷺ مع دراسة بحر الدين ص ١٤٤ .
(٣) انظر فتح البارى لابن حجر ٣٤١/١٣ .
(٤) تفسير الرازى ٦٧/٩ .
(٥) الآية : ١٥٩ من سورة آل عمران .
(٦) انظر الشورى عند وزيريه ﷺ ص ٧٧ - ٨١ من نفس الرسالة .

(جـ) كون الله سبحانه وتعالى يجعل من هذا المبدأ صفة لكل المسلمين فى كل أمر من أمورهم فى قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾[١] .

(د) كون الشورى خلقا إنسانيا أصيلا والإسلام يزكى الأخلاق الإنسانية الأصيلة[٢] .

(هـ) كون الشورى طريقا إلى عصمة الرأى من الخطأ واستكمالاً للنقص الإنسانى لأنها تنقحه وتغربله .

(و) كون الشورى تمنع الاستبداد بالأحكام من قبل الحاكم .

(ز) إطباق المفسرين على أن فى الشورى تطييبا وتأليفا لنفس المستشار الأمر الذى يجعل الأمة متماسكة متآلفة .

قال الزمخشرى[٣] : (إن سادات العرب إذا لم يشاوروا فى الأمر شق ذلك عليهم) .

(حـ) وتجب الشورى لأننا فى عصر كثرت فيه جوانب التخصصات ، وكل مختص لايعلم عن تخصص الآخر شيئا ، وعلى ذلك لابدَ من مشاورة كل مختص فى اختصاصه فى مختلف شئون المسلمين .

٤ - فهم خاطئ للشورى :

وقد يتوهم بعض الناس[٤] أن سبب ما أصاب المسلمين يوم أحد من انتكاس وهزيمة فى صدرها وشج جبهة الرسول ﷺ وكسر رباعيته وقتل أسد الله حمزة رضى الله عنه ومضغ كبده مع استشهاد صفوة من الصحابة الكرام ، هو خروج الجيش الإسلامى لمواجهة العدو فى أحد بناء على رأى الأغلبية فى مجلس الشورى الذى عقد قبل المعركة ، والحقيقة هى غير ذلك لأن سبب الهزيمة للجيش الإسلامى فى أحد كان غير الشورى ، ولو كان السبب الشورى ما كان النصر الساحق للمسلمين فى أول المعركة والذى عبرّ عنه الرب سبحانه بقوله الكريم :

---

(١) سورة الشورى آية : ٣٨ .

(٢) انظر الشورى طابع إنسانى من صفحة ٦٠ — ٦٤ نفس البحث .

(٣) تفسير الزمخشرى ٤٧٥/١ .

(٤) يشير إلى ذلك سيد قطب فى الظلال (١١٧/٤) .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُم بإذْنِهِ ﴾[1] ولكن الأسباب الحقيقية للهزيمة وما أصاب المسلمين فى أحد هى كما بينها الله تعالى فى قوله الكريم : ﴿ حتى إذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُم فِى الأَمْرِ وَعَصَيْتُم من بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرةَ ثم صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ ، إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أحدٍ والرسولُ يَدْعُوكُمْ فى أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بغمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا ما أَصَابَكُمْ واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

﴿ أَوَ لمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِ شَيءٍ قَدِير ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الَّذِين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ﴾[4] .

ولو كان مبدأ الشورى هو السبب فى هزيمة المسلمين فى أحد ، لما أكد الله سبحانه وتعالى الأخذ به بعد المعركة المذكورة مباشرة فى قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنَّ الله يحب المتوكلين ﴾[5] .

إن المسألة أكبر وأعمق من ذلك ، إن وراء هزيمة المسلمين فى أحد درسا عميقا وعظيما للأمة الإسلامية فى كل جيل من أجيالها على امتداد الأزمان . هذا الدرس هو : ماذا تعنى مخالفة أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ .

إن الهزيمة تروى قصة أمة تربى وتدرس ولو سالت من أطهر جسم فيها

(١ ، ٢) آل عمران آية : ١٥٢ - ١٥٣ .
(٣) آل عمران آية : ١٦٥ .
(٤) آل عمران آية : ١٦٦ - ١٦٧ .
(٥) آل عمران آية : ١٥٩ .

الدماء لتفهم الدرس وتعيه ، لقد انهمر الدم من وجه النبى الأعظم ﷺ ومضغت كبد حمزة سيد الشهداء . ولقى الله سبعون[1] من الأبرار نتيجة مخالفة أمر واحد للنبى ﷺ ، ولقد فهم أولئك الرجال ذلك الدرس ولم يعودوا لمثله وعلى الأمة فى كل أجيالها أن تعى حتى لا تتكرر المأساة مرة ثانية .

---

(١) انظر تفصيل ذلك محمد رسول الله ﷺ لمحمد رشيد رضا ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

المبحث الثالث

الشورى فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

رسول الهدى ﷺ موجه فى كل حركة وسكنة من حياته من قبل ربه سبحانه وتعالى . والله تعالى عالم بكل شئ سلبا وإيجابا فهو غنى عن العالمين وخبراتهم فكان سبحانه بعلمه وغناه قادرا على أن يكفى رسوله ﷺ مؤونة مشاورة البشر للاستفادة من خبراتهم وعلى الرغم من ذلك كله فقد جعل سبحانه الشورى صفة للمؤمنين وأمر رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه والأخذ بالصحيح من آرائهم لتستن به الأمة من بعده فكانت الشورى ديدنه فى كل شأن هو من محيط الشورى . أخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ »(١) .

وكان مجال الحرب والجهاد هو أبرز المجالات إظهارا لمبدأ الشورى . ففى غزوة بدر الكبرى جرت عدة مشاورات . فقبل المعركة كانت هناك جلسة شورية بين القيادة فى شخص رسول الله ﷺ وكل من حضر الغزوة بهدف معرفة مدى الاستعداد العام للقتال ولمعرفة رأى الأنصار فيه بصفة خاصة ، ذلك لأن الخروج فى الأصل لم يكن للقتال ، ولكن للقاء العير ولأن بيعة الأنصار فى الأصل لرسول الله ﷺ كانت على حمايته فى المدينة كما جاء فى مسند أحمد وغيره عن جابر بن عبد الله قال : « أن تنصرونى إذا قدمت عليكم فتمنعونى مما تمنعون منه

---

(١) جامع الترمذى ٢١٤/٤ ، وهو فى التحفة ٣٧٥/٥ وهو فى الدر المنثور ٩٠/٢ وقال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات ١/١ إلا أنه منقطع ٣٤٠/١٣ الفتح .

أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم .... »[1] فبايعوا رسول الله ﷺ عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم ، وأن يرحل هو إليهم وأصحابه وحضر العقبة تلك الليلة العباس بن عبدالمطلب موثقا لرسول الله ﷺ والعباس على دين قومه بعد لم يسلم . وكان للبراء بن معرور فى تلك الليلة المقام المحمود فى الإخلاص لله تعالى ، والتوثق لرسول الله ﷺ وهو أول من بايع رسول الله ﷺ ولحقه أبوالهيثم بن التيهان وكان المبايعون لرسول الله ﷺ تلك الليلة ثلاثة وسبعين وامرأتين واختار رسول الله ﷺ اثنى عشر نقيبا . وكانت جلسة تجلى فيها الإيمان كأعلى ما يكون وأعظم ما يكون .

كان الإيمان يعلو على المستحيل : « يا رسول الله والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها .... »[2] وكانت المعركة وانتصر الجيش الإسلامى النصر المؤزر وعند الترتيب للمعركة انعقد مجلس الشورى مرة ثانية ولكنه فى إطار مصغر ، إذ تقدم الحباب بن المنذر فى أعلى صورة من الأدب مع القيادة وعدم التقديم بين يديها برأيه فى تحديد مكان نزول الجيش الإسلامى وقطع الماء عن جيش قريش كخطة حربية موفقة . فوافق عليه الجميع كما جاء ذلك فى سيرة ابن هشام عن محمد بن إسحاق قال : فحدثت عن رجال من بنى سلمه أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزل عليه ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله ﷺ ومن معه

---

(١) أخرجه أحمد فى عدة مواضع منها ٣٢٢/٣ ، والحاكم ٦٢٤/٢ – ٦٢٥ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى . والبيهقى فى سننه ٩/٩ ، وقال : الحافظ ابن كثير فى البداية ١٦٠/٣ : وهذا إسناد جيد على شرط مسلم . وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٧٧/٧ : رواه أحمد بإسناد حسن . وتفصيل قصة العقبة الثانية فى سيرة ابن هشام ٤٣٨/١ – ٤٤٨ .

(٢) طرف من حديث طويل عن أنس فى صحيح مسلم ١٤٠٤/٣ وهو عند أحمد ٢١٩/٣ .

فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقُلُب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية . أ . هـ [1] . وما أن انتهت المعركة حتى عقد مجلس الشورى للمرة الثالثة ليقرر حال الأسرى . ولكن حكم الأكثرية لم يوفق للصواب فى هذه المرة حيث تدخل الوحى ففصل الأمر بقوله تعالى : ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ﴾[2] وكما جاء فى مسند أحمد من حديث طويل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر قال : نظر النبى ﷺ إلى أصحابه ...... ثم قال : فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا ، فاستشار رسول الله ﷺ أبابكر وعليا وعمر رضى الله عنهم فقال أبوبكر رضى الله عنه : يانبى الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا . فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب . قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبوبكر رضى الله عنه ، ولكنى أرى أن تمكننى من فلان ــ قريبا لعمر ــ فأضرب عنقه ، وتمكن عليا رضى الله عنه من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر رضى الله عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر رضى الله عنه غدوت إلى النبى ﷺ فإذا هو قاعد وأبوبكر رضى الله عنه وإذا هما يبكيان ، فقلت يارسول الله : أخبرنى ما يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، قال فقال النبى ﷺ : الذى عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة – لشجرة قريبة – وأنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان لنبى أن

---

(1) السيرة لابن هشام ٦٢٠/١ ، وقال الألبانى فى تخريج هذا الحديث ، فى فقه السيرة لمحمد الغزالى ٢٤٠ : (وهذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بنى سلمة وقد وصله الحاكم ١٢٦/٣ – ١٢٧) وقد نقل سند الحاكم صاحب (مرويات غزوة بدر) وقد ذكر هذا الحديث الحافظ فى الإصابة من رواية ابن شاهين من طريق أبى الطفيل (٣٠٢/١) .

(2) الأنفال آية : ٦٧ .

يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض﴾ إلى قوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم ...... ﴾ من الفداء[1] .

ومن مجالس الشورى فى بدر الكبرى إلى غزوة أحد . حيث كان الاجتماع العام للخروج خارج المدينة لملاقاة العدو أو البقاء فيها . فكانت الأغلبية على الخروج وكان ما كان[2] وجاءت الأحداث فى ظاهرها لتهز أركان مبدأ الشورى وأنه الأصل فيما أصاب المسلمين فى أحد . ولكن الله تعالى شأنه بدد هذه النظرة الظاهرية لتفسير الأحداث بأمر نبيه ﷺ بمشاورة الصحابة بعد الغزوة مباشرة ﴿وشاورهم فى الأمر﴾[3] ليبين أن الأمر ليس سببه قصة المشورة بالخروج ولكن سببه ما هو أكبر من ذلك وأعظم . سببه أن أمة تربى وتدرس ، ولو كانت هذه التربية على حساب الأجسام والأرواح ولقد تعلمت هذه الأمة فى تلك المعركة مالا يمكن أن تتعلمه من خلال آلاف الكلمات والمحاضرات والكتب . تعلمت ما هى نتيجة مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ كما جاء فى قصة مخالفة الرماة كما حكاها ابن حزم فى كتاب جوامع السيرة[4] .

واستمرت الهزيمة على قريش فلما رأى ذلك الرماة قالوا : قد هزم الله أعداء الله . قالوا : فما لقعودنا هاهنا معنى ، فذكر لهم أميرهم عبدالله بن جبير أمر رسول الله ﷺ لهم بأن لا يزولوا فقالوا : قد انهزموا ، ولم يلتفتوا إلى قوله . فقاموا ثم كر المشركون فأكرم الله تعالى من أكرم بالشهادة ووصلوا إلى رسول الله ﷺ .

وهكذا فإنك لا تكاد تجد غزوة من غزواته ﷺ إلا وخططت لها مجالس الشورى فى إطارات لتلك المجالس مختلفة بحسب الزمان والمكان والحال ، حيث الشكل الذى تتم به الشورى ليس مصبوبا فى قالب من حديد لا تخرج الأمة عنه

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٨٣/٣ – ١٣٨٥ ، وأخرجه أحمد ٣٠/١ وأبوداود ١٣٩/٣ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٤ – ١٣ .
(٣) انظر ظلال القرآن ١١٦/٤ باختصار .
(٤) جوامع السيرة لابن حزم ص ١٦٠ باختصار .

بل هو متروك للأمة تحدد إطاره[1] وصورته بحسب البيئة والزمان .

أما الشورى فى غزوة الخندق فقد قال الحافظ ابن حجر فى الفتح[2] : (وكان الذى أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازى منهم أبو معشر قال :

قال سلمان للنبى ﷺ : إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبى ﷺ بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه . وجاء المشركون فحاصروهم) أ.هـ . وفى غزوة الحديبية عقدت عدة مجالس للشورى منها ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا :

خرج النبى ﷺ عام الحديبية إلى أن قالا : وسار النبى ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه . قال : إن قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال : « أشيروا أيها الناس علىَّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين وإلا تركناهم محروبين » . قال أبوبكر : يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله »[3] .

هذا فى مجال الحرب ولقد استشار رسول الله ﷺ غيره فى مجالات كثيرة منها :

استشارته جبريل عليه السلام فيما اقترح عليه موسى عليه السلام بخصوص الصلاة فى ليلة الإسراء والمعراج ثم نزل على رأى موسى عليه السلام فيما أشار عليه بسؤال الله تعالى شأنه التخفيف على الأمة . وذلك كما جاء فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال :

---

(١) انظر مزيدا من الإيضاح فى ظلال القرآن ٢٥/٧ .
(٢) فتح البارى ٣٩٢/٧ .
(٣) أخرجه البخارى ٣٦٣/٦ - ٣٦٤ الأعلى وهو عند أحمد ٣٢٨/٤ ، وفى الفتح لابن حجر ٤٥٣/٧ .

قال النبى ﷺ : « فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال : يامحمد ماذا عهد إليك ربك . قال : عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ؟ فعلا به إلى الجبار ...... »(١) .

ومنها استشارته ﷺ حتى فى خاصة نفسه ففى قصة الإفك شاور عليه الصلاة والسلام عليا وأسامة وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم كما جاء فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : « ..... ودعا رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يسألهما ويستشيرهما فى فراق أهله .

قالت : فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه . فقال أسامة : أهلك ولا نعلم إلا خيرا . وأما على فقال : يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك . قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك ؟ قالت له بريرة : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله »(٢) .

٢ – الشورى عند وزيريه ﷺ :

ومما سردنا من أمره ﷺ فى الشورى ندرك كيف تعمقت هذه الصفة فى نفوس أصحابه عليهم رضوان الله تعالى فنلاحظ أن أول عمل قام به الصحابة

---

(١) أخرجه البخارى واللفظ له فى عدة مواضع منها ٨٢/٩ مسلم ١٤٩/١ ، الترمذى ٤١٧/١ مختصرا ، ابن ماجه ١٣٣٧/٢ ، أحمد فى عدة مواضع منها ٢٢١/١ ، النسائى ٢١٧/١ – ٢٢٤ الموطأ بتنوير الحوالك ١٢٦/٣ ، وهو فى الفتح ٤٧٨/١٣ – ٤٧٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها ١٤٨/٥ – ١٥٥ (التراث) وهو فى الفتح ١٣٩/١٣ ، مسلم ٢١٣٧/٤ ، الترمذى ٣٣٢/٥ – ٣٣٥ .

رضى الله عنهم بعد التثبت من وفاة الرسول ﷺ هو اجتماع سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة رسول الله ﷺ حتى تمت البيعة لأبى بكر رضى الله عنه . كما روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ مات وأبوبكر بالسنح قال إسماعيل يعنى بالعالية فقام عمر يقول :

والله ما مات رسول الله ﷺ .... إلى : واجتمعت الأنصار إلى سعد ابن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير .... إلى قوله : ثم تكلم أبوبكر فتكلم أبلغ الناس فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . فقال الحباب بن المنذر : لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير . فقال أبوبكر : لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر : نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه الناس(١) أ هـ .

وإنك لترى الشورى صفة بارزة عند الخلفاء الراشدين من بعده ﷺ وهم القدوة الحسنة والنموذج الصالح للحاكم المسلم . فأبوبكر الصديق رضى الله عنه يشاور أصحابه فى أول مشكلة تواجهه بعد توليه خلافة المسلمين ألا وهى ارتداد طوائف من العرب ومنعهم الزكاة وكان رضى الله عنه يرى قتالهم فمازال يشاور أصحابه ويقنعهم بهذا الحكم وأنه حكم الشرع حتى شرح الله صدورهم لهذا الأمر حتى قال عمر :

(فو الله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق)(٢) .

وتوالت مجالس الشورى فى عهده رضى الله عنه فكان هناك مجلس لإنفاذ

---

(١) البخارى فى عدة مواطن منها ٨٥/٦ - ٨٧ الأعلى وهو فى الفتح ١٩/٧ - ٢٠ قال : الأرناؤوطى فى تحقيقه لجامع الأصول فى أحاديث الرسول وإسناده عند النسائى ٨٨/٤ صحيح والقصة مبسوطة فى البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٥/٥ .

(٢) صحيح البخارى فى عدة مواضع منها ١٩/٩ - ٢٠ عن أبى هريرة ، مسلم ٥١/١ - ٥٢ ، أبوداود ٩٣/٢ - ٩٤ ، الترمذى ٣/٥ - ٤ ، النسائى ١٤/٥ - ١٥ ، أحمد ٥٢٩/٢ .

جيش أسامة(١) رضى الله عنه وكذا شاور أصحابه فى جمع القرآن(٢) ، وغيرها من المجالس التى عقدها رضى الله عنه للتشاور فى أمور المسلمين(٣) ، كما أخرج البخارى من حديث طويل أن زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه وكان ممن يكتب الوحى قال : أرسل إلى أبوبكر ..... وإنى لأرى أن نجمع القرآن . قال أبوبكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ . فقال عمر : هو والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى .

أما الفاروق رضى الله عنه فقد قعد قواعد للشورى منها تحديده رضى الله عنه لأهل الشورى فحرص على استشارة أهل العلم والشأن قال البخارى : (وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانا)(٤) . وقال : (وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم) .

ومنها أنه رضى الله عنه يقسم الناس عند الشورى بحسب سبقهم فى الإسلام – كما فى رحلته إلى الشام لما علم بوقوع الوباء فيها – فاستشار الصحابة بالرجوع فأمـر ابن عباس رضى الله عنهما أن يدعو له المهاجرين الأولين فدعاهم واستشارهم فاختلفوا – فأمره أن يدعو الأنصار فاختلفوا – ثم قال ادعو لى من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه(٥) .

ومنها أنه رضى الله عنه قعد قاعدة فى أمر تشاور الأمة فيمن يحكمها حتى لا يتم هذا الأمر بقرار فردى أو رغبة فردية فيقول فى أثره الطويل كما فى مسند

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣٠٤ .
(٢) البخارى ٦/٨٩ – ٩٠ ، الترمذى ٥/٢٨٣ .
(٣) وانظر فتح البارى ١٣/٣٤٢ لمزيد من الإيضاح .
(٤) البخارى ٩/١٣٨ – ١٣٩ وهو فى الفتح ١٣/٣٣٩ وقال ابن حجر موضحا قول البخارى هذا بقوله : (وقد ورد من استشارة الأئمة بعد النبى ﷺ أخبار كثيرة) .
(٥) البخارى ٧/١٦٨ وهو فى مسلم ٤/١٧٤٠ – ١٧٤١ .

أحمد[1] : (فمن بايع أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذى بايعه) .

وهى القاعدة التى أخذها عن رسوله وقائده محمد بن عبد الله ﷺ كما جاء فى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ (لو كنت مؤمرا أحدا من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد)[2] .

وكان عمر رضى الله عنه يستشير فى الحدود والأقضية إذا جد له أمر يوجب ذلك .

فعن المغيرة بن شعبة عن عمر رضى الله عنه أنه استشارهم فى إملاص المرأة فقال المغيرة قضى النبى ﷺ بالغرة عبدا أو أمة فشهد محمد بن سلمة أنه شهد النبى ﷺ قضى[3] به . وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ أُتى برجل قد شرب الخمر فضربه بجريدتين نحو الأربعين . قال : وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال : عبدالرحمن بن عوف كأخف الحدود ثمانين فأمر به عمر[4] .

وعن مروان بن الحكم أن عمر بن الخطاب لما طعن استشارهم فى الجد فقال :

إنى كنت رأيت فى الجدِ رأيا فإن رأيتم أن تتبعوه فاتبعوه . فقال له عثمان : إن نتبع رأيك فإنه رشد وإن نتبع رأى الشيخ فلنعم ذو الرأى كان[5] .

---

(1) مسند أحمد ٥٦/١ واللفظ لأحمد فى ٢١٠/٨ من حديث طويل وهو فى الفتح ١٤٥/١٢ .

(2) الترمذى ٦٧٤/٥ ، ابن ماجه مقدمة ص ٤٩ ، أحمد فى عدة مواضع منها ٧٦/١ ، وقال شاكر حديث صحيح . انظر مسند أحمد بتحقيق شاكر ٢١/٢ .

(3) البخارى ١٤/٩ ، مسلم ١٣١٢/٣ ، ابن ماجه ٨٨٢/٢ ، أحمد ٢٤٤/٤ .

(4) أخرجه مسلم ١٣٣٠/٣ ، الترمذى وقال حسن صحيح ٤٨/٤ ، أحمد فى عدة مواضع منها ١٧٧/٣ .

(5) سنن الدارمى ٣٥٤/٢ .

ثم اختتم حياته رضى الله عنه بأن جعل أمر الخليفة من بعده شورى بين ستة[1] من كبار الصحابة رضى الله عنهم . أخرج مسلم من خطبة طويلة لعمر بن الخطاب قوله : (فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة)[2] .

(١) الستة هم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

(٢) أخرجه البخارى ٢٠٨/٨ - ٢١١ ومسلم ٣٩٦/١ ، وهو عند أحمد ٢٧/١ - ٤٨ ، وهو فى الفتح ١٤٤/١٢ .

المبحث الرابع

شروط أهل الشورى ، وفى أى شئ تكون ؟ وحكم مبدأ الأغلبية

١ ـــ شروط أهل الشورى :

(أ) وأعضاء مجلس الشورى هم الذين يرسمون للأمة خط سيرها على ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإذا كان كذلك فلابد أن يكون أعضاء هذا المجلس أكثر الناس إحاطة بعلوم الكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[١] .

وقال البخارى : (وكان أصحاب مشورة عمر القراء[٢] ......) .

(ب) والعالم المرشح لهذه العضوية لابد أن يكون صاحب صفحة بيضاء مع الله تعالى وخلقه . فالله تعالى عندما أمر رسوله ﷺ باستشارة الصحابة طلب منه أولا أن يعفو عنهم ما ارتكبوه فى حقه ﷺ وأن يستغفر لهم الله تعالى فيما له سبحانه عندهم ليكونوا بعد ذلك أهلا للاستشارة ومن أهلها .

قال تعالى : ﴿ فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهُم فى الأمر ﴾[٣] .

بهذا الشرط يعنى أنه لا مكان فى مجلس الشورى الإسلامى للعصاة والفاسقين من علماء السوء .

(ج) وكانت خطة الخلفاء بعد رسول الله ﷺ مشاورة العدول الأمناء

---

(١) النساء آية : ٨٣ .

(٢) سبق تخريجه بصفحة (٧٩) من البحث .

(٣) آل عمران آية : ١٥٩ .

من أهل العلم فى هذه الأمة فى كل زمان ومكان . قال البخارى : (وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم)[1] وقال القرطبى : نقلا عن سفيان الثورى : (ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة ومن يخشى الله تعالى)[2] :

وأنشـــد :

وشاور إذا شاورت كل مهذب لبيب أخى حزم لترشد فى الأمر[3] .

(د) وإذا كان من السنة أن يكون خلف إمام الصلاة - وهى إمامة صغرى - أهل الأحلام والنهى فمن باب أولى أن تكون هذه السنة فى مجلس الشورى الإسلامى وحول صاحب الإمامة العظماء يقومونه عند اعوجاجه ويسددونه عند ضعفه . قال ﷺ : « ليلنى منكم أولو الأحلام والنهى »[4] .

(هـ) وقد لخص الإمام الماوردى[5] شروط أهل الشورى فى ثلاث نقاط :

١ - العدالة الجامعة لشروطها . ولخص العلماء شروط العدالة فى خمسة بنود : الإسلام ، والعقل ، والحرية ، والذكورة ، والبلوغ .

٢ - العلم والخبرة فى الجانب المستشار فيه .

٣ - الرأى السديد والحكمة فى كيفية الاختيار .

وفرق الإمام القرطبى[6] بين صفة المستشار فى أمور الدين ، وصفة المستشار فى أمور الدنيا حيث جعل صفة المستشار فى أمر الدين (أن يكون عالما

---

(١) سبق تخريجه فى البحث فى صفحة (٧٩) .

(٢) القرطبى فى الجامع ٢٥١/٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أخرجه مسلم ٣٢٣/١ وهو فى الترمذى ٤٤٠/١ وأبوداود ١٨٠/١ والنسائى ٨٧/٢ - ٨٨ ، وابن ماجه ٣١٣/١ وفى أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٧٢/٦ ، وفى مسند أحمد ٤٥٧/١ ، والدارمى ٢٩٠/١ .

(٥) الأحكام السلطانية ص ٦ باختصار .

(٦) القرطبى فى الجامع ٢٥١/٤ (بتصرف) .

دينيا عاقلا) وصفة المستشار فى أمور الدنيا عاقلا مجربا وادا للمستشير . وأنشد :

شاور صديقك فى الخفى المشكل   واقبل نصيحة ناصح متفضل

(و) والأصل أن يكون فى مجلس الشورى لجان مختصة فى كل شئون العلم والمعرفة تحال عليها المعاملات لتقول فيها رأيها عن علم ودراية . فإذا لم يتيسر للدولة ذلك عليها أن تطرح الأمر على الرأى العام فى الأمة ليقول فيه أهل العلم رأيهم فيه وهذه الأخيرة كثرت فى سنة رسول الله ﷺ فقد أعلن عليه الصلاة والسلام أكثر من مرة « أشيروا على فى أناس »[1] « وأشيروا على أيها الناس »[2] . ووضحت الأولى فى حياة عمر بن الخطاب[3] رضى الله عنه . فكان يستشير النساء فى خدورهن والشباب يبتغى حدة عقولهم .

(ز) وخلاصة هذا الموضوع أن شروط عضو مجلس الشورى :

١ - العدالة الجامعة لشروطها .

٢ - التقوى وخلو صفحته من الذنوب مع الله تعالى والأمة .

٣ - العلم بالكتاب والسنة وما يؤدى إليهما من علوم اللغة والتفسير والرواية ...... الخ .

٤ - الخبرة فى الجانب المستشار فيه .

٥ - العقل الرزين المتأنى .

٦ - الأمانة والصدق . والله تعالى أعلم .

ومنها ندرك أن الشورى حق لأهلها ممن توفرت فيهم صفاتها ، وقد عبر عن ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما عندما قال للأعرابى : (اجلس إنما أنت من الأعراب)[4] .

---

(١) انظر تخريجه فى صفحة (٧٧) من البحث نفسه .

(٢) وردت هذه العبارة فى غزوة الحديبية (٧٦) من نفس البحث .

(٣) عن سعيد حوى فى بحث مخطوط عن الشورى .

(٤) عن سعيد حوى فى بحث مخطوط .

٢ - فى أى شئ تكون الشورى ؟ :

أما موضوع الشورى فقد نقل الرازى اتفاقهم على جوازها فى كل ما ليس فيه نص .

قال : (المسألة الثانية : اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يجز للرسول أن يشاور فيه الأمة لأنه إذا جاء النص بطل الرأى والقياس)[١] . فأما مالا نص فيه فقد اختلف فيه أهل العلم .

ونقل الرازى أيضا عن الكلبى وكثير من العلماء أن المشاورة خاصة بأمور الحرب بحجة أن الألف واللام فى لفظ الأمر ليس للاستغراق . ولو كانت للاستغراق لدخل فيه ما فيه نص ، وأن الألف واللام محمولة على العهد ، والمعهود السابق فى السياق القرآنى هو شئون الحرب .

وقال آخرون : الأمر عام خص منه ما نزل فيه وحى[٢] .

ونقل ابن الجوزى هذا الخلاف بقوله : (فى الذى أمر بمشاورتهم فيه قولان : أحدهما أنه فى أمور الدنيا والثانى أنه فى أمور الدين والدنيا)[٣] .

ونقل ابن حجر : أن فى المسألة ثلاثة أقوال :

١ - فى كل شئ ليس فيه نص .

٢ - فى الأمر الدنيوى فقط .

٣ - فى أمر الحرب مما ليس فيه نص[٤] .

واختار أبوجعفر الطبرى[٥] الأخير وهو فى أمور الحرب . قال بعد أن سرد

---

(١) تفسير الرازى ٦٧/٩ الطبعه البهية (باختصار) .

(٢) تفسير الرازى ٦٧/٩ باختصار .

(٣) زاد المسير ٤٨٩/١ .

(٤) فتح البارى (باختصار) ٢٤٠/١٣ .

(٥) الطبرى فى تفسيره ١٥٣/٤ .

الأقوال فى الموضوع : (والأولى بالصواب فى ذلك أن يقال أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه) . قلت : والصحيح أن موضوع الشورى هو المشاورة فى كل شئ ليس فيه نص : وذلك :

(أ) لاتفاقهم على عدم المشاورة فى الأمور المنصوص عليها .

(ب) ما ذكره الحافظ ابن حجر[1] من مشاورة رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب فى مسألة صدقة المناجاة ، مؤيدا ذلك بما أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان عن على رضى الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ يا أيُّها الَّذِين آمنُوا إذَا نَاجَيتُم الرسول .... الآية ﴾[2] . قال النبى ﷺ ما ترى : قلت لا يطيقونه . قال : فنصف دينار ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال فكم ؟ قلت شعيرة . قال إنك لزهيد فنزلت : ﴿ أأشفقتم ...... الآية ﴾ . قال : « فبى خفف الله عن هذه الأمة »[3] .

ولا يدخل هذا فيما فيه نص لأن الآية لم تحدد الماهية ولا الكمية والمشاورة كانت فيهما .

(ج) مشاورته ﷺ عليا وأسامة رضى الله عنهما فى موضوع الإفك وليس من أمور الحرب .

(د) مشاورته ﷺ الصحابة فى أسرى بدر وهى من أمور الدين . إلى غير ذلك من مشاوراته عليه السلام لأصحابه فيما ليس فيه نص .

(هـ) ما قاله الشوكانى عند قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ المراد تشاورهم فى كل أمر يعرض لهم .

فعلى هذا يجوز للحاكم المسلم أن يعرض على مجلس الشورى كافة أمور البلاد من الأمور الدينية والداخلة تحت طائل الاجتهاد مما ليس فيه نص وكذا الأمور الدنيوية . والله أعلم .

---

(١) فتح البارى باختصار ١٣/٣٤٠ .

(٢) المجادلة آية : ١٢ .

(٣) أخرجه الترمذى ٥/٤٠٦ ، ٤٠٧ .

٣ – مبدأ الأغلبيـــــة :

بعد أن علمنا معنى مبدأ الشورى . وأنه خلق إنسانى أصيل ومكانته بين التعاليم الإسلامية ، وأقوال العلماء فى الأخذ به . واختلافهم فى وجوبه على النبى ﷺ وأدلة الأخذ بالشورى . وأنه ليس سببا فى هزيمة أحد . ومكانته فى سيرة الرسول والخلفاء الراشدين ثم شروط أهل الشورى . وفى أى شئ تكون الشورى . وبعد أن علمنا أنه واجب على الحكام مشاورة أهل العلم فى شئون الحكم . نختم بإيجاز فى الفاصل عند الاختلاف فى الرأى المطروح على مجلس الشورى وبأى الرأيين يأخذ الحاكم .

(أ) الواضح من سنة الرسول ﷺ أنه كان يأخذ برأى الأغلبية عندما يختلف أصحاب الشورى فى الموضوع المطروح عليهم . قال ﷺ فيما يرويه عنه أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم »(١) قال المناوى عند هذا الحديث: «فعليكم بالسواد الأعظم من أهل الإسلام أى الزموا متابعة جماهير المسلمين فهو الحق الواجب والفرض الثابت الذى لا يجوز خلافه فمن خالف مات ميتة جاهلية »(٢) . وقوله ﷺ لوزيريه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما »(٣) .

وقوله ﷺ عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فإن

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٣٠٣/٢ وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه انظر فيض القدير ٤٣٠/٢ وكذلك ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٤٤ ، وقال الشطر الأول منه صحيح . وهو عند أحمد فى عدة مواطن منها ٩٧٨/٤ .

(٢) انظر شرح الجامع الصغير للمناوى ٤٣١/٢ .

(٣) أخرجه أحمد ٢٢٧/٤ وذكره ابن حجر فى الفتح ٣٤٠/١٣ – ٣٤١ بلفظ : (أن النبى ﷺ قال : لأبى بكر وعمر لو أنكما تتفقان على أمر واحد ما عصيتكما فى مشورة أبدا) . وقال ابن‌حجر : إنه وجده فى فضائل الصحابة لأسد بن موسى والمعرفة ليعقوب بن سفيان بسند لا بأس به .

الله عز وجل لن يجمع أمتى إلا على الهدى »[1] .

وقال المناوى فى شرحه لهذا الحديث :(أى حق وصواب ومن خصائصها أن إجماعهم حجة وأنهم لا يجتمعون على ضلاله)[2].

مُسْتَدِلًا بقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[3].

على أن الألف واللام فى قوله تعالى : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ للاستغراق .

ونزوله ﷺ على رأى الأكثرية فى الخروج إلى خارج المدينة لملاقاة قريش فى معركة أحد .

فهذه الأحاديث الشريفة تدل دلالة واضحة على وجوب أخذ الحاكم المسلم برأى الأغلبية ، وأن تلتزم الأقلية فى مجلس الشورى به ، وتحتفظ برأيها ولو كان الحاكم معها .

(ب) وكذا سير الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على هذا النهج ، والالتزام به ، فأبوبكر رضى الله عنه شاور الصحابة فى محاربة أهل الردة ونزل على رأى الأغلبية وهو عكس لفهم بعض الناس أنه كان وحده على رأى محاربة أهل الردة فقد كان كذلك فى أول الأمر حتى اقتنع بعد المناقشات بينه وبينهم كافة الصحابة كما فصلنا ذلك[4]. وكذلك جمعه رضى الله عنه القرآن الكريم كان على رأى الأغلبية من الصحابة رضى الله عنهم .

---

(١) أخرجه أحمد ١٤٥/٥ وهو عند الترمذى ٤٦٦/٤ . وذكره السيوطى فى الجامع الصغير عن أبى ذر وصححه . انظر فيض القدير ١٥٠/١ – ١٥١ ، وذكره صاحب الجامع الكبير من قصة طويلة ٥٦٠/٢ ط الهيئة العامة للكتاب وهو فى مجمع الزوائد ١٧٧/١ .

(٢) انظر شرح الجامع الصغير للمناوى (فيض القدير) ١٥٠/١ – ١٥١ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٤) انظر صفحة ٧٧ من نفس الرسالة .

وعندما طعن عمر رضى الله عنه كان قد اختار الستة للتشاور فى اختيار من يخلفه على أمر المسلمين وجعل الحكم للأكثرية وذلك فيما رواه مسلم(١) والإمام أحمد فى حادثة وفاته رضى الله عنه عن معدان بن أبى طلحة أن عمر بن الخطاب خطب : (........ فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة ..... الحديث)(٢) .

(جـ) وفهم هذه الوجهة علماء الأمة ومصابيحها . فأرشدوا إليها ونصحوا بها . ذكر الطبرى فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ : يتشاورون بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم(٣) .

وقال الإمام الغزالى : فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرية(٤) .

وقال الإمام الماوردى : إذا اختلف أهل المسجد فى اختيار إمام عمل على قول الأكثرية(٥) .

وقال صاحب المنار(٦) فى سياق تفسيره لآيات معركة أحد : (أنه على الرغم من الرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ وفسرها على(٧) ما حدث فى أحد أن دلائل المكث فى المدينة تشير إلى خيرية المكوث فإنه(٨) أخذ ﷺ برأى الأغلبية من الصحابة بالخروج) .

وجعل عبدالقادر عودة الأخذ بالأغلبية من قواعد الشورى التى لاتقبل التعديل أو التبديل لوجود النصوص التى تدعمها وجعل من النصوص التى تدعمها أخذه ﷺ برأى الأغلبية فى الخروج إلى خارج المدينة يوم أحد على الرغم من أن رأيه ﷺ هو البقاء فى المدينة .

---

(١) أخرجه مسلم ٣٩٦/١ وأحمد ٢٧/١ - ٤٨ .
(٢) سبق ص ٨١ .
(٣) ٢٥٢/٤ من تفسير الطبرى .
(٤) إحياء علوم الدين ٢٣٠/١ .
(٥) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٠١ .
(٦) ٩٨/٤ تفسير المنار لرشيد رضا .
(٧) انظر قصة الرؤيا فى سيرة ابن هشام ٦٢/٢ - ٦٣ .
(٨) انظر قصة المشورة فى سيرة ابن هشام ٦٣/٢ .

ولكن نزولا عند رأى الأغلبية فى مجلس شورى ذلك اليوم نهض رسول الله ﷺ ولبس لأمته وخرج بالناس ، قال عودة : (وقد سارع الرسول بتنفيذ رأى الأغلبية بالرغم من مخالفته لرأيه الخاص الذى أظهرت الحوادث فيما بعد أنه كان الرأى الأحق بالاتباع)[1] .

(د) وكذلك القاعدة الفقهية المعروفة (بالجمهور) فإنها تعد ترجيحا للأمر المختلف فيه برأى الأكثرية .

(هـ) وكذلك القواعد الحديثية وملخصها أن كثرة الرواة للحديث تجعله متواترا أو مشهورا ... وكثرة الطرق ترفع الحديث من الضعف إلى القوة ، واعتبارهم مخالفة الثقة للثقات شذوذا .

فمن هذه الوفرة الوافرة من الأدلة نفهم أن رأى الأكثرية من أهل الشورى هو المرجح للأخذ به وأنه ملزم للأقلية فى المجلس ولو كان الأمير أو الخليفة فى تلك الأقلية .

ولا مكان هنا لهل نتيجة الشورى ملزمة[2] أو معلمة للخليفة ؟ بعد سرد هذه الأدلة حيث الأمير أو الرئيس بالمنظار الإسلامى العام أداة تنفيد لأحكام الإسلام ومن أحكام الإسلام ماتجمع عليه الأغلبية من الأمة الإسلامية وعليه فهو ملزم بتنفيذه .

وأما الذين يحتجون على عدم الأخذ بالأغلبية بحادث أبى بكر رضى الله عنه يوم الردة ، وإصراره على تولية أسامة على الجيش ، فأمر مردود على أصحابه بأبسط الحجج .

١ – ففى يوم الردة لم يبال أبوبكر رضى الله عنه برأى الأكثرية لوجود النص فى الحديث المتواتر (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله

---

(١) انظر التشريع الجنائى لعبد القادر عودة ٣٨/١ .

(٢) ادعى البوطى اتفاق الفقهاء على أن نتيجة الشورى معلمة وليست ملزمة ولم يذكر على ذلك دليلا سوى قول للقرطبى لا يسند دعواه . انظر فقه السيرة لمحمد سعيد رمضان البوطى ٢١٩ – ٢٢٠ .

وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى)[1] .

٢ - وأن أبا بكر رضى الله عنه ظل يناقش الناس فى هذا الأمر حتى اقتنعوا برأيه وأيدوه عليه ومن صور هذه المناقشة ما أخرجه مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبوبكر وكفر من كفر من العرب قال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال : لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ، فقال : أبوبكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها قال عمر :

فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق[2] .

٣ - فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلن رجوعه عن معارضته لأبى بكر رضى الله عنه وهو يمثل زعيم المعارضة فى هذه المسألة .

وأما فى قضية إصراره على تولية أسامة على الجيش على الرغم من المعارضة لهذه التولية فقد كانت التولية أصلا من رسول الله ﷺ ، فلا يحق لأبى بكر أن يقيل من ولاه رسول الله ﷺ ولا يحق لأحد أن يعارض فى ذلك .

(ز) والخلاصة : أنه يجب الأخذ برأى الأكثرية فى مجلس الشورى لما أسلفنا من الأدلة ولأن مسألة يوم الردة وتولية أسامة ليستا من موضوع الشورى لوجود النص فيهما ولاقتناع جبهة المعارضة برأى أبى بكر رضى الله عنه . وقولنا بوجوب الأخذ بالأكثرية لا يدخل تحت نطاق البرلمانات فى البلاد الديمقراطية لأن

---

(١) أخرجه البخارى فى عدة مواطن منها ١/٢٩ وهو فى الفتح ١/٧٥ وعند مسلم ١/٥٢ والترمذى ٥/٣ والنسائى ٦/٥ وابن ماجه ٢/١٢٩٥ وعند أحمد فى عدة مواضع منها ١/١١ .

(٢) انظر تخريجه بصفحة ٧٨ من البحث نفسه .

قواعد الشورى عندنا غيرها عندهم . فهم يعطون للأكثرية الحق المطلق فى التحليل والتحريم أما الإسلام فلا ، حيث القاعدة فيه لا شورى مع النص . ولا قيمة للأكثرية أمامه . والله الموفق .

الفصل الثالث

الإمامة العظمى

وفيـه المبحثان الآتيان :

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن الخلافة وتعريفها لغة وشرعا .

المبحث الثاني : حكم نصب الإمام ، وشروطه والراجح فى شرط النسب .

المبحث الأول
لمحة تاريخية عن الخلافة وتعريفها

بعد أن بينت فى الفصل الثانى الشورى لغة ، وأهميتها فى حياة الناس ، وحكمها الشرعى وأنها واجبة على كل حاكم مسلم ، ثم ذكرت نبذه من الشورى فى سيرة الرسول ﷺ ووزيريه أبى بكر وعمر ، وشروط أهل الشورى ، وفى أى الأحكام الإسلامية تكون الشورى وما المرجح عند الاختلاف فى موضوع الشورى .

وأن أهل الشورى ينبثقون من سواد الأمة ، ثم الكيفية التى يتم بها ذلك الانبثاق بعد بيان ذلك كله ، أشرع فى الركن الثانى من هيكل جماعة المسلمين ، وهو الخليفة المنبثق من مجلس الشورى .

١ - لمحة تاريخية :

بعد الحديث عن الأمة ومقوماتها ، ومجلس الشورى وترتيباته ، نتقدم خطوة نحو الرأس أو القمة وهى الخلافة أو الإمامة العليا فى الأمة الإسلامية .

فالخلافة بدأت بسيدنا آدم عليه السلام ثم ذريته من بعده من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم بإحسان . كلما أفل نجم خلفه كوكب ينير لهذه البشرية طريقها عندما تغشاها ظلمات الغفلة ويعيدها إلى خط سيرها الصحيح عندما تتعثر خطاها .

ولقد أنارت تلك النجوم طريق الأمم قاطبة على اختلاف أزمانها ومواقعها من الأرض قال تعالى : ﴿ وإنْ من أُمة إلَّا خلَا فيها نَذِير ﴾[1] .

وجاء سيدنا محمد ﷺ خاتما لهذه السلسلة من الرسل الأبرار والأنبياء الأطهار . فأقام على هذه الأرض ما شاء الله له أن يقيم مبلغا دعوته خير تبليغ . ومؤسسا دولته أفضل تأسيس حتى أكمل الله تعالى دينه ودخل الناس فى ذلك الدين أفواجا . فسبح ﷺ بحمد ربه واستغفره حتى غادر وجه هذه الأرض إلى لقاء ربه فى واسع جناته . وبعد أن صعدت روح خاتم الأنبياء وسيد المرسلين إلى بارئها ، وقبل أن يوارى جسده الطاهر فى مرقده الأخير ، اختارت الأمة خليفتها الذى سيقوم بأمرها بعد نبيها وكان يوما مشهودا ، وعاش ذلك الخليفة الراشد ماشاء الله له أن يعيش ، ثم لحق بصاحبه ﷺ ليخلفه الفاروق ومن بعده عثمان وعلى رضى الله عنهم فى صورة خلافة راشدة على نهج النبوة وهديها .

وطويت تلك الصفحة البيضاء فى اليوم الذى امتدت اليد الأثيمة مجهزة على صدر العترة المباركة على بن أبى طَالب كرم الله وجهه .

ثم دخلت الأمة فى صفحة من الحكم جديدة توارث الخلافة فيها بنو أمية فى الشام . ثم اتصلت الخلافة بعدهم وعلى نهجهم الوراثى فى صورة بنى العباس مترعرعة فى العراق منقولة بعد ذلك إلى مصر حتى جاء السلطان سليم وبه انتهت الخلافة العباسية ، ثم من بعدها الخلافة العثمانية والتى مثلت السطر الأخير من الصفحة التى كان السطر الأول فيها دولة بنى أمية . وهذه الصفحة من سطرها الأول إلى سطرها الأخير تمثل الطور الثالث من الترتيب النبوى لأطوار الحكم الذى سوف تمر به الأمة منذ بعثته عليه الصلاة والسلام .

فعن النعمان بن بشير قال : كنا قعودا فى مسجد رسول الله ﷺ وكان بشير رجلا يكف حديثه فجاء أبوثعلبة فقال : يابشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الأمراء فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته فجلس أبوثعلبة الخشنى فقال حذيفة : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) فاطر آية : ٢٤ .

(أ) تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

(ب) ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

(ج) ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

(د) ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

(هـ) ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ...[1] .

وذلك الطور هو طور[2] الملك العاض ، وفى سنة ١٩٢٤ ، أعلن المجلس الوطنى فى تركيا خنق ذلك الطور من الترتيب النبوى وبهذا الإعلان الذى انتهت بموجبه الخلافة العثمانية ودعت الأمة الإسلامية طور الملك العاض لتبدأ فى طور الملك الجبرى وهو الطور الذى تعايشه الأمة هذه الأيام فى صورة الانقلابات العسكرية[3] وغيرها .

ولا ندرى متى يرفعه الله ، لتسعد الأمة الإسلامية بل البشرية قاطبة بالطور

(١) أخرجه أحمد فى عدة مواضع منها ٢٧٣/٤ مطولا وهو فى سنن أبى داود ٢١١/٤ وعند الترمذى ٥٠٣/٤ مختصرا .
(٢) انظر فتح البارى ٢١٤/١٣ فقد فصل فى هذه الأطوار .
(٣) انظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ٣٧/٢ - ٤٧ للدكتور محمد محمد حسين .

الجديد ، ذلك الطور هو طور الخلافة على منهاج النبوة وهو الطور الذى تصبو إليه الأمة الإسلامية والبشرية كافة ، لأنه وحده الذى يملك حل كل مشكلاتها ، وأسباب إسعادها ، وهو الذى سأكتب ماشاء الله تعالى لى كتابته من معالم الطريق إليه .

أسأله سبحانه الإعانة والتوفيق إنه على كل شئ قدير .

٢ - تعريف الإمامة :

وبعد هذه اللمحة التاريخية عن مراحل الحكم فى الأمة الإسلامية أشرع فى بيان الركن الثانى فى هيكل جماعة المسلمين الإمام وهو صاحب الإمامة الكبرى فى الأمة وهو الذى يرشحه أهل العقد والحل فى مجلس الشورى لتسيير شئون العباد والبلاد على نهج رب العباد .

وعلى الرغم من أن ألفاظ إمام أو خليفة أو أمير المؤمنين كلها تصب فى قالب واحد وهو اللقب الذى يطلق على القيادة العليا فى الأمة . إلا أن لكل لفظ منها ملابساته ومغزاه السياسى والتاريخى والتفرد من حيث الوضع اللغوى .

ونحن فى هذه العجالة لا يهمنا إلا ذلك المنصب . أى القيادة العليا فى الأمة والتى تمثل رأس هيكلها العام سواء أطلق عليه إمام أو خليفة أو أمير المؤمنين أو أى اسم من الأسماء المتعارف عليها فى العهد والزمان الذى سيحل على الأمة مستقبلا تحكم فيه بشرع ربها وسنة نبيها وهو قريب إن شاء الله تعالى . لأن الأسماء والألقاب ولو أنها قد تعارف عليها علماء المسلمين لايتعدى صاحبها تحت أى لقب منها كونه إدارة تنفيذية لشريعة قد حددت معالمها من قبل الرب سبحانه وتعالى ، فليس لأحد من خلقه حق الزيادة عليها أو النقص منها ، ولو كان خليفة المسلمين وهو أعلى سلطة تنفيذية فى الأمة على الإطلاق .

وأحسب أن هذه القاعدة من بدهيات الدين فلا حاجة لسرد أدلة عليها وهى التى لاتحتمل تفسيرا أكثر من أنها بدهية .

وما الإجماع أو القياس أو غيره من مصادر التشريع إلا أبنية تقوم على

قواعد من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله فهى وإن كانت أبوابا لاحتواء كل جديد فى حياة الأمة الإسلامية فى أى زمان أو مكان إلا أنها فى نطاق كليات الكتاب الكريم والسنة المطهرة . وسنخص بالكتابة والتعريف لفظ الإمام لشموله على إمامة الدين والدنيا . والله الموفق .

(أ) الإمام فى اللغة والقرآن الكريم :

فالإمام لغة : كل من ائتم به قوم سواء كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين[١] . وكذا يطلق على الخيط الذى يوضع على البناء عند البناء لحفظ استقامته .

وكذا يطلق على حادى الإبل وإن كان وراءها .

ومن إطلاق لفظ الإمام على من أم قوما كانوا على الصراط المستقيم قوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾[٢] ﴿ وإذْ ابتلى إبراهيم ربُّهُ بكلمات فأتمَّهنَّ قال إنِّى جاعلك للنَّاس إماما ﴾[٣] ﴿ ونريد أن نَمُنَّ على الَّذِين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[٤] ومن إطلاقه على أئمة الضلال قوله تعالى :

﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنَّهم لا أَيْمَانَ لهم لعلهُم ينتهُون ﴾[٥] .

﴿ وجعلناهم أئِمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ﴾[٦] .

ومن إطلاقه على الجانبين عموما قوله تعالى :

﴿ يوم ندعواْ كل أُناسٍ بإمامهم ﴾[٧] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (أم) ١٤/٢٩٠ – ٢٩١ .
(٢) الفرقان آية : ٧٤ .
(٣) البقرة آية : ١٢٤ .
(٤) القصص آية : ٥ .
(٥) التوبة آية : ١٢ .
(٦) القصص آية : ٤١ .
(٧) الإسراء آية : ٧١ .

ويلاحظ من كثرة تكرار لفظة إمام أو أئمة فى القرآن الكريم أنها تطلق على أئمة الخير أو الشر إلا أنها أكثر ما تطلق على الهادى إلى الخير والصلاح .

(ب) **والإمام عند المفسرين وغيرهم :**

عرفه الرازى فى تفسيره بأنه : (كل شخص يقتدى به فى الدين)[١] . فالشافعى إمام فى الفقه والبخارى إمام فى الحديث مثلا .... .

وكما أن إمامة الصلاة تسمى عندهم (الإمامة الصغرى) فإن القيادة العامة والشاملة فى الأمة تسمى عندهم (بالإمامة الكبرى) .

إلا أن ابن حزم (اشترط عند إرادة الإمامة الصغرى أن يخصص بذكر ما يدل على إرادتها مثل إمام الصلاة) وغيرها لأن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق الإمام هو قصد الإمامة الكبرى[٢] ، وعرفه أبوالحسن الماوردى بقوله :

(الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا)[٣] ، ووافقه التفتازانى فقال أنها : (رئاسة عامة فى الدين والدنيا خلافة عن النبى ﷺ)[٤] .

فمن خلال ما سردنا من آيات القرآن وأقوال علماء اللغة وعلماء التفسير والعقائد نلاحظ أن الجميع يتفقون على أن الإمام : لفظ يطلق على القيادة العليا فى الناس وأنه المسؤول الأعلى فيهم وعليه مسئولية صلاحهم فى الدين والدنيا .

---

(١) تفسير الرازى ٧١٠/١ .
(٢) الملل والنحل (٩٠/٤) (باختصار) .
(٣) الأحكام السلطانية ص ٥ .
(٤) النظريات السياسية د / ضياء الدين الريس ص ١٢٢ .

المبحث الثاني

حكم نصب الإمام وشروطه

١ ـــ حكم نصب الإمام :

(أ) أما حكم نصب الإمام فقد حكى ابن حزم[١] اتفاق جميع أهل السنة والمرجئة والشيعة والخوارج على وجوب نصب الإمام ، وأنه يجب على الأمة الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

(ب) ولقد أوجب الرب سبحانه وتعالى طاعة ولاة الأمر فى أكثر من آية فى كتابه العزيز . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ... الآية ﴾[٢] .

ورجح العلماء أن أولى الأمر فى الآية هم الأمراء[٣] . وأكدت ذلك الوجوب سنة رسول الله – ﷺ – فقد أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله . ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى »[٤] . وأخرجا أيضا عن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبي وإنه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء

---

(١) الفصل فى الملل والنحل ٨٧/٤ لابن حزم .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردى ٥ .

(٤) أخرجه البخارى ١٢٤/٥ مسلم ١٤٦٦/٣ وابن ماجه ٩٥٤/٢ والنسائى ١٥٤/٧ وهو عند أحمد ٢٥٣/٢ .

(٥) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها ٢٣/٥ وهو عند مسلم ١٤٦٦/٣ وابن ماجه ٩٥٦/٢ والترمذى ٢٠٩/٤ .

فيكثرون ، قالوا : فما تأمرنا؟ قال : أوفوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم »[1] .

فإذا وجبت طاعتهم بنص الكتاب والسنة فمن باب أولى تجب إقامتهم وتنصيبهم .

(جـ) وعلى وجوب تنصيب الإمام : نقل العلماء (الإجماع) قال الإمام الماوردى : (وعقدها لمن يقوم بها فى الأمة واجب بالإجماع)[2] وكذا النووى[3] وابن خلدون .

(د) وتنصيب الإمام واجب بالعقل قال الماوردى[4] (وجبت بالعقل لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم فى التنازع والتخاصم) .

هذا التنازع والتخاصم الناتج عن الأمر الفطرى والطبيعى فى الإنسان ألا وهو أن هذا الإنسان اجتماعى ، وهذه الاجتماعية نتج عنها التمدن والعمران وهذه المدنية والعمران ينتج عنهما احتكاك الناس بعضهم مع بعض فتكون النزاعات والاختلافات التى لايمكن أن تحل بدون دولة وإمام .

(هـ) والحاكم فى الأمة الإسلامية ترتبط به أكثر أحكام الدين من حيث التنفيذ أو الإذن بها فهو الذى يعلن الجهاد ، وهو الذى يقيم الحدود وهو الذى يقيم الصلوات .

(و) ولقد عبر الرسول ﷺ عن أهمية وجود الإمام بقوله : « ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ... »[5] الحديث ولا بيعة إلا لإمام .

---

(١) أخرجه البخارى ٤٠١/٥ ومسلم ١٤٧١/٣ وابن ماجه ٩٥٨/٢ أحمد ٢٩٧/٢ .
(٢) الأحكام السلطانية ص ٣٥ للماوردى .
(٣) شرح النووى على مسلم ٢٠٥/١٢ .
(٤) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٥ .
(٥) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ١٤٧٨/٣ .

ويشهد لهذا المعنى ماجاء فى الصحيحين عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية » . وفى رواية : « ..... فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية »[1] .

قال ابن الأثير عند شرحه لهذا الحديث :

من فارق الجماعة فميتته جاهلية معناه كل جماعة عقدت عقدا يوافق الكتاب والسنة فلا يجوز لأحد أن يفارقهم فى ذلك العقد فإن خالفهم فيه استحق الوعيد ، وعيد قوله فميتته جاهلية أى على ما مات عليه أهل الجاهلية قبل بعثة النبى ﷺ من الجهالة والضلالة[2] .

(ز) وأدرك الصحابة رضى الله عنهم أهمية هذا الأمر فما أن لقى رسول الله ﷺ ربه حتى هرع الصحابة كل من جانبه فى البحث عمن ينوب ويخلف رسول الله ﷺ فى تسيير أمور الأمة فالأنصار يجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة لترشيح أميرهم ويلحق بهم المهاجرون لنفس الغرض ولم ينفض الاجتماع حتى كان الصديق خليفة لرسول الله ﷺ . هذا كله ورسول الله ﷺ على فراش موته لم يدفن بعد . وعبر أبوبكر الصديق رضى الله عنه عن هذه الأهمية لهذا الأمر العظيم فى خطبته الشهيرة :

(إن محمدا قد مضى بسبيله ولابد لهذا الأمر من قائم يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم)[3] . فهتف الناس من جوانب المسجد صدقت يا أبابكر لعلمهم أنه لايمكن للأمة أن تسير بدون قائد .

ولقد أدرك الشاعر أهمية هذا الأمر عندما أنشد :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا[4]

---

(١) البخارى ٧٨/٩ وهو فى الفتح ١٢١/١٣ ، مسلم ١٤٧٨/٣ .
(٢) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ٦٩/٤ - ٧٠ .
(٣) النظريات السياسية ص ١٣٢ الريس .
(٤) مذكرة الأدب العربى ص ٤٤ .

(حـ) كل هذه الأمور تستوجب إقامة إمام ، لأن الأمة دونه تظل فى اختلاف واضطراب بدون نصب الإمام ، وتبقى أحكام الإسلام وتعاليمه مجمدة بعيدة عن حياة الناس وحركة حياتهم ، وهذه ظاهرة نرجو الله تعالى زوالها والتعجيل بإمام يقود الأمة على نهج نبيها ﷺ إنه سميع مجيب .

والأمة فى هذا الباب لا تخرج عن واحدة من مرحلتين :

١ - أن تحكم من قبل خليفة واحد يسير أمورها .

٢ - أو تسير فى الطريق الموصل لإقامته ، وإلا فالأمة آثمة ومقصرة فى هذا الباب .

٢ - نوع الوجوب :

بعد أن قررنا وجوب نصب الأمة للإمام الذى يتولى إدارة أمور دنياها وحفظ دينها ، نشرع فى نوعية هذا الوجوب ، هل هو وجوب عينى ؟ أو هو من باب الوجوب الكفائى ؟ .. وقبل أن نعين نوع ذلك الفرض يحسن بنا تعريف كل واحد من هذين الفرضين : قال الشيخ الشنقيطى رحمه الله نقلا عن ابن قدامة رحمه الله :

(اعلم أولا : أن الوجوب فى اللغة هو سقوط الشئ لازما محله كسقوط الشخص ميتا ، فإنه يسقط لازما محله لانقطاع حركته بالموت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾[1] أى سقطت ميتة لازمة محلها ، وقوله ﷺ فى الميت : « فإذا وجب فلا تبكين باكية »[2] . وقال ويطلق الوجوب على اللزوم فى الاصطلاح وهو ما توعد بالعقاب على تركه .

وينقسم الواجب باعتبار فاعله إلى واجب عينى وواجب على الكفاية ، فالواجب العينى هو ما ينظر فيه الشارع إلى ذات الفاعل ، كالصلاة ، والزكاة ،

---

(١) سورة الحج آية : ٣٦ .

(٢) أخرجه أبوداود ١٨٨/٣ والنسائى ١٣/٤ .

والصوم ، لأن كل شخص تلزمه بعينه طاعة الله عز وجل ، لقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[1] ، وأما الواجب على الكفاية فضابطه : أنه ينظر فيه الشارع إلى نفس الفعل بقطع النظر عن ذات الفاعل ، وذلك كدفن الميت ، فإنه لم ينظر إلى عين الأشخاص الذين يدفنون الميت ، وإنما ينظر إلى نفس الفعل الذى هو الدفن ...)[2] ا هـ .

فيفهم مما سبق من تعريف فرض الكفاية أن الشارع ينظر إلى فرض الكفاية إلى فعل ذلك الأمر المطلوب إقامته . هل أقيم أو لا ؟ وأن المطالب بالإقامة لذلك الأمر ليس زيدا أو عمرا بعينه ، وإنما الأمة كلها مطالبة بإقامة ذلك الفرض حتى يقام ، فإن لم تقمه الأمة أو بعضها فإن كل فرد فيها آثم إثم تفريطه فى فرض عينى هو مطالب به شخصيا ، كالصلاة ، والزكاة ، مثلا ، وأنه لا يسقط وجوب ذلك الأمر الذى هو فرض كفاية إلا بإقامته إقامة تامة ، فالجنازة مثلا تجهيزها والصلاة عليها ودفنها فرض من فروض الكفاية ، فإذا جهزت ولم يصل عليها ففرضها قائم ولم ينته ، وإذا جهزت وصلى عليها ولم تدفن ففرضها قائم ولم ينته ، فإن جهزت وصلى عليها ودفنت فقد أقيم فرضها وسقط الإثم عن الأمة ، وإن لا فلا .

فإذا تقررت هذه القاعدة فإن إقامة الإمامة فى الأمة الإسلامية من فروض الكفاية كما ذكر ذلك الإمام أبوالحسن الماوردى بقوله : (فإذا ثبت وجوب الإمامة ففرضها على الكفاية كالجهاد)[3] أى أنه مطلوب من الأمة كافة إقامتها ، فإن أقامتها بأن أصبحت الأمة تحكم من قبل خليفة واحد ، وأن كل أقطار العالم الإسلامى دولا وشعوبا تدين لذلك الخليفة بالولاء فقد أقيمت الإمامة العظمى التى هى فرض كفاية وإن لم تقم الخلافة بهذه الصفة فالأمة لاتزال مطالبة بالفرض وأنه لم يسقط عنها حتى تقيمه ، أو تسير فى خطوات توصل إلى إقامة الخلافة فى الأمة ، وعليه فالأمة لاتخرج من واحد من طريقين لا ثالث لهما كما ذكرنا سابقا :

---

(١) الذاريات آية : ٥٦ .
(٢) مذكرة أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطى رحمه الله ص ١١ ، ١٢ (بتصرف) .
(٣) الأحكام السلطانية ص ٥ .

الأولى : أن تستعد وتعمل لإقامة الإمامة فيها كما حدث فى سقيفة بنى ساعدة فى الفترة من وفاة الرسول ﷺ إلى أن انتخب الخليفة الراشد أبابكر الصديق رضى الله عنه خلفا لرسول الله ﷺ وإماما للمسلمين ، أو أيام الشورى بعد وفاة عمر رضى الله عنه ، فإن هذه الفترة هى ما نسميها بالاستعداد لإقامة الإمام لأن الأمة فى حالة سعى لإقامة الإمام .

الثانية : تنصيب الإمام حتى يقام ويبايع وبدون أن تكون الأمة فى واحدة من هاتين المرحلتين فهى آثمة مقصرة . قال الدكتور ضياء الدين الريس : (فالإمامة إذن فرض كفاية الأمة كلها مسئولة عن أدائه وإذا لم توجد فيحكم على الأمة كلها متضامنة بأنها عاصية لأنها أخلت بأحد الفروض الهامة التى أوجبها الشارع)[1] .

وعلى هذا فإن الذين يحسبون أن هذا الفرض قد سقط عنهم بحجة أن بعض الجماعات الإسلامية قد جعلت من إقامة الخلافة هدفا لها وغاية من غاياتها[2] فأولئك خاطئون ، وإن جعلت بعض الجماعات إقامة الخلافة هدفا من أهدافها لأن إمكانيات هذه الجماعات لا توصل إلى أهدافها فواجب الأمة التكاتف معها ، ولأن الفرض لم يسقط بعد – لأنه لم ينصب خليفة على الأمة إلى هذه اللحظة وفرض الكفاية كما تقدم لايسقط عن الأمة فعله إلا بعد أن يقوم به البعض ، فإن لم ينته هذا البعض من إقامة ذلك الفرض الكفائى فإن الأمة قاطبة مطالبة بذلك .

ومن المؤسف أن أكثر الأمة عن هذا الفرض غافلون ، وبعضهم متكل على غيره فى إقامة ذلك الخليفة ، ونتج عن هذه الغفلة وهذا الاتكال أن طال زمن ضلال الأمة واتسعت فترة شقوتها وهوانها على الأمم ، ببقائها بدون إمام يسوس دنياها ويصون دينها ويعلى كلمتها .

هذا إذا أحسنا الظن بهذه الكثرة أما إذا وجدت من يقول لك هذه سياسة ولعن الله السياسة ، واعتكف فى صومعة أو غار فى ذلة ، تاركا ما لله لله

---

(١) النظريات السياسية الإسلامية ١٣٠ (باختصار) .

(٢) مثل جماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير .

وما لقيصر لقيصر ، فهذا ونعوذ بالله قد احتمل إثم التفريق بين الدين والدولة إلى جانب إثم تقصيره عن العمل لإقامة خليفة ، يحكم الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها ، ومن هؤلاء فى الأمة كثير وكثير جداً .

والحقيقة التى لا بديل عنها أنه لايمكن أن تقوم الإمامة فى الأمة حتى تتضامن وتتعاون جميعها على السير فى طريق إقامة الخلافة ، وعند إقامة الخلافة تستقيم كافة الأمور فى الأمة ويصلح حالها ، وبدون هذا التضامن فلا يمكن للخلافة أن تقوم ومن ثم فلا صلاح للأمور ولا خروج من الضلال .

٣ - شروط الإمام أو الخليفة :

والإمام الذى ترشحه الأمة لقيادتها لابد أن تجتمع فيه شروط وصفات خاصة ، تؤهله لهذا المنصب الخطير ، وقد أشار العلماء إلى هذه الشروط ، بعضهم بإيجاز ، وأخرون بإسهاب ، فمنهم من جعلها أربعة[١] ، ومنهم من جعلها سبعة ، ومنهم من جعلها عشرة ، وعلى كل التقسيمات ، فإنهم على اتفاق فى الأساسية منها .

فالإمام الماوردى عددها سبعة بقوله : (وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة :

١ - العدالة على شروطها الجامعة .

٢ - العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام .

٣ - سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها .

٤ - سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض .

٥ - الرأى المفضى إلى سياسة الرعية .

---

(١) وممن جعلها أربعة : البغدادى فى أصول الدين وابن خلدون فى المقدمة ١٩٣ . وجعلها الماوردى سبعة والغزالى فى إحياء علوم الدين جعلها عشرة .

٦ – الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو .

٧ – النسب بأن يكون من قريش[١] .

(أ) فالعدالة التى هى رأس الشروط والتى جعلها الفقهاء من الشروط العامة فى كل الولايات على الإطلاق[٢] فهى من باب أولى فى الشخص المرشح لمنصب الإمامة العظمى والتى من أهم أركانها صدق صاحبها وبعده عن الكذب ، وكونه أمينا على مصالح الأمة ، وعفيفا عن المحارم ، متوقيا المآثم ، بعيدا عن الشبه والريب ، مأمونا فى الرضا والغضب ، صفته العامة المروءة فى دينه ودنياه ، فالكاذب لايصلح للإمامة ، وكذا الخائن والغارق فى المأثم والريب ، والمتخلى عن صفات المروءة والأخلاق الحسنة ، وقد سماها الإمام الغزالى بالصفة التى لا يمكن استعارتها أو تحصيلها من جهة الغير[٣] ، لأنها صفة ذاتية تتعلق بالشخص نفسه ، فالذى لم يقدر على كبح نفسه وتسييرها فى الخط الذى يريده الله تعالى . فمن باب أولى لا يستطيع أن يكبح جماح نفوس الأخرين ، والإمامة من أبرز مهامها تسيير الأمة فى الخط الذى رضيه الله تعالى لها . ولقد قيل (فاقد الشئ لا يعطيه) .

(ب) وكذا العلم الذى يقتضى أن يعرفه الإمام من القرآن والسنة الخاص والعام ، والمبين والمجمل ، والناسخ والمنسوخ ، ومتواتر السنة وغيره ، والمتصل والمرسل ، كذا حال الرواة من حيث القوة والضعف . ثم لسان العرب لغة ونحوا ، ثم معرفة أقوال العلماء صحابة وغيرهم ، اجتماعا واختلافا ، ثم الإحاطة بباقى مصادر الدين من قياس وغيره[٤] . وقد لخص ذلك الإمام الماردى فى الأحكام بقوله[٥] : (ويشترط أن يكون عالما بالأحكام الشرعية وعلمه بها يشتمل على أصولها ، والارتياض بفروعها ، وأصول الأحكام فى الشرع أربعة :

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٦ .

(٢) راجع الأحكام السلطانية للإمام الماوردى ص ٦٦ (بتصرف) .

(٣) الرد على الباطنية ص ٧٢ (باختصار) .

(٤) النووى على مسلم ٢٤٣/١٢ باختصار .

(٥) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٦ .

أحدها : علمه بكتاب الله عز وجل ، على الوجه الذى تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام – ناسخا ومنسوخا ، ومحكما ومتشابها .

الثانى : علمه بسنة رسول الله ﷺ الثابتة من أقواله وأفعاله وطرق مجيئها .

الثالث : علمه بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه .

الرابع : علمه بالقياس ، لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها ، حتى يجد طريقا إلى العلم بأحكام النوازل ، وقد ترجم الدكتور ضياء الدين الريس فى النظريات السياسية هذا الشرط بقوله :

(فإذا شئنا أن نترجم هذا الشرط إلى لغة حديثة ، قلنا : إنه يشترط إذاً أن يكون الإمام وكذلك وزير التفويض والأمير العام عالما بالعلوم الآتية :

علوم التفسير ، الحديث ، تاريخ التشريع ، تاريخ الدولة الإسلامية ، الأصول ، المنطق ، علوم اللغة العربية) .

وأضاف بقوله : (والاجتهاد لا يكمل الآن إلا إذا أضيف إلى ماتقدم دراسات : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وقانونية)[1] .

هذه العلوم هى مرحلة ما قبل الإمامة حيث الإمامة هى نتيجة الاجتهاد ، والاجتهاد نتيجة للتضلع بهذه العلوم ، فيفهم من هذا الشرط وما قبله ، أن الجاهل لا يصلح للخلافة ، وكذلك الفاسق . لأن الإمام هو صدر الفتوى فى الأمة ، ومن ثم فلا يصح أن يتصدر هذا المركز إلا كل من أحاط بأصول الدين علما وبمعالم التطور العصرى فهما وإدراكا .

(ج) وأما الشرط الثالث والرابع وهما من التكامل الجسدى فقد توسع فيه الإمام الماوردى[2] .

(د) وأما الشرط الخامس والذى هو الرأى المفضى إلى سياسة الرعية .

---

(١) النظريات السياسية لضياء الدين الريس ص ١٨٧ .

(٢) الأحكام السلطانية ص ٦ .

(هـ) والسادس وهو الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو ، فإنهما يأتيان نتيجة لتحقق الإنسان بالشرطين الأول والثانى . فالإنسان الذى وصل إلى العدالة ورعا وتقوى ، وإلى الاجتهاد معرفة وعلما ، هو فى الغالب ومن باب أولى سيكون متصفا بالحنكة فى سياسة الرعية والشجاعة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو لأنها من أوليات نتائج العلم والمعرفة .

والخلاصة : أن الأمة فى حاجة ماسة إلى رجال عدول ، فى زمن كل شئ فيه ملوث بالخيانة ، وإلى علماء ربانيين يسددون خطاها ، فى زمن تولى زعامة هذه الأمة جهالها وأراذلها ، ولقد طال ليل ذلك الزمن ، فهل من فجر قريب ؟! ... .

هذه هى الشروط التى يمكن أن نقول أن الناس فيها على اتفاق .

٤ - اختلاف العلماء فى شرط النسب :

وأما الشرط الأخير وهو الشرط السابع وهو أن يكون الإمام أو الخليفة قرشيا ، فإن فيه وجهات نظر مختلفة ، فأهل السنة يكونون وجهة نظر عبر عنها الإمام الماوردى بقوله : (والسابع النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه)[1] وأيده فى ذلك ابن حزم بقوله : (بنص رسول الله ﷺ على أن الأئمة من قريش فى رواية جاءت مجئ التواتر ، وإذعان الأنصار لهذه الحجة يوم السقيفة أمر من المحال التنازل عن اجتهادهم بدون ثبوت حجة الطرف الثانى ، وهم أهل العدة والعدد)[2] وخالفهم فيها الخوارج وجمهور المعتزلة .

نقل ابن حزم رأيهم فقال[3] : (وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة إلى أنها جائزة فى كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان أو عربيا أو

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٦ .
(٢) الفصل فى الملل لابن حزم ٢٨٩/٤ .
(٣) المرجع السابق ٨٩/٤ .

ابن عبد) . وقال : ابن خلدون معللا ذلك لهم[1] :

(إن الحكمة فى اختصاص قريش بهذه الميزة ، أنها كانت صاحبة عصبية ومركز زعامة يعترف بها كل العرب ، فكان تخصيص الشرع الولاية لقريش أدعى إلى انتظام الشمل ، واجتماع القلوب ، وعليه فمتى وجدت العصبية لشخص ارتفع الخلاف حوله ، وسكنت إليه الملة وأهلها إليه ، فكلما وجدت تلك العلة تحقق هذا الشرط فى واحد من الناس بصرف النظر عن جنسه ونسبه) .

٥ - الراجح فى شرط النسب عندى :

ووجهة نظر ابن خلدون فى هذا الصدد أقرب إلى واقع حركة الأمة اليوم وهى فى طريقها إلى إقامة جماعة المسلمين وإمامهم .

فواقع الأمة اليوم أنها مقسمة إلى جماعات تدعو إلى الإسلام ، هذه الجماعات على رأس كل واحدة إمام بايعه أفراد تلك الجماعة على قيادتهم ، فالجماعة التى ستصل إلى إقامة الخليفة ستصل إليه وقد أعطت ولاءها لقيادتها من حين تأسيسها أو من حين توليه قيادتها بصرف النظر عن نسبه ، وستطلب من المسلمين إعطاءه ولاءهم ، والبيعة له ، سواء وصلت هذه الجماعة إلى الحكم عن طريق الائتلاف أو عن طريق الانتخابات العامة كما هو معروف ، أو عن طريق الثورة .

وأقرب مثال على ذلك ماحدث فى إيران عام ١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ من قيام الخمينى بثورة ، سقطت على أثرها حكومة الشاه[2] ، وتولت البلاد الإيرانية قيادة حركة الخمينى المذكور ، وطالبت بقية الشعب بالسمع والطاعة له .

فالخمينى هو القيادة لهذه الحركة من تأسيسها فى المنفى قبل ١٥ سنة إلى أن انتصرت فى عام ١٣٩٩ هـ . وهكذا إذا قامت حركة مماثلة فى أى بلاد إسلامية فستأخذ نفس الوصف ونفس الطابع . فالقيادة التى بدأت الحركة وأعطى أفراد

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٩٣ - ١٩٤ ط مصطفى محمد .

(٢) الحاكم الأسبق لإيران محمد رضا بهلوى شاه إيران .

الجماعة المنتصرة ولاءهم لها ، هى التى ستعلن للناس كقيادة عامة لا يجوز لأحد الخروج عليها .

ثم إن هذه الوجهة تؤيدها آيات وأحاديث عامة كثيرة دون تخصيص لنسب معين .

مثل قوله تعالى : ﴿ يأيُّها الّذِين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإنْ تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول .... ﴾[1] هذه الآية وغيرها كثير فى الأمر بالطاعة لأولى الأمر عموما وبدون تخصيص .

ومثل قوله ﷺ فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن يعصنى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى »[2] .

فهذا الحديث وغيره كثير واضح فى تعميم الأمر على غير قريش .

ثم إن هناك أحاديث صريحة فى تأييد وجهة إمكان كون الخليفة من غير قريش مثل الحديث المتفق عليه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : (إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الأطراف) وفى رواية (عبدا حبشيا مجدع الأطراف) .

وعند البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة »[3] . ومما يؤيد تعميم الأمر على غير قريش تلخيص الحافظ ابن حجر لأحاديث تخصيص الأمر فى قريش وجعلها مقيدة باستقامة قريش على دين الله فإذا وجد من هو أكثر استقامة وكفاءة من القرشى فإنه يقدم عليه[4] .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها ٧٧/٩ وهو عند مسلم ١٤٦٦/٣ وابن ماجه ٩٥٤/٢ والنسائى ١٥٤/٧ ، وأحمد ٢٥٣/٢ .

(٣) البخارى فى عدة مواضع منها ٧٨/٩ ومسلم ١٤٦٧/٣ – ١٤٦٨ .

(٤) انظر فتح البارى ١١٥/١٣ – ١١٧ .

ومما يؤيد هذه الوجهة أيضا : ما أخرجه أحمد من حديث ذى مخمر الحبشى عن النبى ﷺ قال : « كان هذا الأمر فى حمير فنزعه الله منهم وصيره فى قريش وسيعود إليهم »(١) .

ومما يؤيدها كذلك حديث أبى هريرة : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه .... »(٢) .

فهذا الحديث وغيره يدل على إمكان خروج الخلافة عن قريش ، وهى فى نفس الوقت شرعية فى الأمة الإسلامية ، لايحق لأحد الخروج عنها لكونها فى غير قريش . والله تعالى أعلم .

٦ - المتولى صنع القيادات الإسلامية :

وأحب أن أشير إلى نقطة هامة بهذه المناسبة أطمئن بها القلوب المتطلعة إلى ذلك اليوم المشهود ، والذى ستعلن فيه الخلافة الإسلامية على نهج النبوة كما وعدنا سيد المرسلين ﷺ بذلك ، وستأتى مثل فلق الصبح قريبا إن شاء الله تعالى ، فلقد طال ليلها ، واقترب فجرها ، وازداد شوق الأمة إليها ، إن الرسول ﷺ عندما قسم أطوار الحكم الذى ستمر به الأمة كما أشرنا سابقا فى مبحث لمحة تاريخية جعل الطور الجبرى والذى نحن فيه هو الأخير ، تليه الخلافة على نهج النبوة ، ونحن فى هذا العصر نكاد نجمع أنه لايوجد أى شعب فى أى أرض إسلامية إلا وهو مجبور على طاعة السلطة الحاكمة فيه ، وأنه غير راض عنها بحال .

وهذا مصداق خبر الصادق المصدوق ﷺ ، والأمة بل والعالم كله يحس بمخاض إسلامى عالمى اليوم سينبثق عنه فجر الخلافة الإسلامية قريبا إن شاء الله تعالى .

والنقطة التى أحببت الإشارة إليها بهذه المناسبة ، هى أن القيادة التى

---

(١) مسند أحمد ٩١/٤ وقال ابن حجر سنده جيد وهو شاهد قوى لحديث القحطانى حيث أن حمير يرجع نسبها إلى قحطان (انظر الفتح ١١٦/١٣ - ١١٧) .

(٢) البخارى فى عدة مواضع منها ١٦/٦ .

ستعلن ذلك الفجر المنتظر للخلافة على نهج النبوة هى قيادة تولى إعدادها واختيارها رب السموٰات والأرض ، لأنه هو العالم والمقدر للمهمة الخطيرة التى تنتظر تلك القيادة ، إن ظهور القيادة الإسلامية فى الوقت الحاضر يعنى مواجهة العالم بشطريه : الشرق ، والغربى ، وهذه المواجهة تقتضى قوة أكبر من قوتى الشرق والغرب مجتمعتين . وهذه القوة الكبرى هى قوة الله تعالى المطلقة ، ولست فى شك أو خيال مما أقول بل هو إيمان عميق ، يقف على أرض صلبة ، يعتمد على أدلة محسوسة ومسلم بها .

وإننى على يقين ، لا يشوبه الشك ، أن القيادة التى ستنقذ البشرية من براثن الشر كفرا وفسادا ستكون من صنع الرب سبحانه وتعالى اصطفاء وتربية ، وحفظا ، بالكيفية التى تليق بجلاله وقدرته .

ولقد رأينا كثيرا هذه القدرة الإلهية وهى تصنع القيادات وتربيها ، إننى أكاد ألمس بحواسي تلك الحقيقة وهى تدير الأمور بالسنن الإلهية :

(أ) رأيتها وهى تصنع قيادة لتنقذ المستضعفين فى الأرض ، وتحولهم إلى أئمة ، وورثة للأرض كلها . قال تعالى : ﴿ ونريد أن نَمُنَّ على الّذِين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونُرِى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾[1] .

وإنها للفتة عظيمة توحيها لفظة (وجنودهما) فى الآية تلك اللفتة هى أن المواجهة ستكون عسكرية ، لأن ذكر الجند لا يطلق إلا على الجانب العسكرى فى الدولة ، ولقد كان ذلك يوم تواجه الجمعان ، وخسر يومها الطغيان ، وارتفعت فى ذلك اليوم راية الحق والإيمان . قال تعالى : ﴿ فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنَّا لمدركون ، قال كلا إنّ مَعِىَ ربِّى سيهدين ، فأوحينا إلى موسى أنْ اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ﴾[2]

---

(١) القصص آية : ٥ — ٦ .

(٢) سورة الشعراء الآيات من ٦١ — ٦٧ .

ويعقب ذلك الإعلان المتضمن إرادة الرب سبحانه إخراج بنى إسرائيل من عبادة فرعون إلى عبادته سبحانه ، والسيادة فى الأرض بالخطوات العملية فى بناء وإعداد تلك القيادة المنتظرة ، بالإشراف المباشر من قبل الرب سبحانه وتعالى :

قال تعالى .

١ - ﴿ وألقيت عليك محبة منى ولِتُصْنَعَ على عينى ﴾(١) .

٢ - ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾(٢) .

٣ - ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾(٣) .

٤ - ﴿ فإذا خِفْت عليه فألقيه فى اليم ﴾(٤) .

٥ - ﴿ إنَّا رادوه إليك ﴾(٤) .

٦ - ﴿ وقالت امرأت فرعونِ قرة عين لى ولك لا تقتلوه ... ﴾(٥) .

٧ - ﴿ إنْ كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها ﴾(٦) .

٨ - ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾(٧) .

٩ - ﴿ فرددناه إلى أمــه ... ﴾(٨) .

١٠ - ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾(٩) .

١١ - ﴿ فإننى معكما أسمع وأرى ﴾(١٠).

وهكذا تتابعت الآيات ، تفصل بترتيب دقيق ، وعناية بالغة صنع الله لموسى ، الذى سيمثل القيادة المنتظرة ، لقد تولى الرب سبحانه تربية موسى

---

(١) سورة طه آية : ٣٩ .
(٢) سورة طه آية : ٤١ .
(٣) سورة القصص آية ٧ .
(٤) سورة القصص آية ٧ .
(٥) سورة القصص آية : ٩ .
(٦) سورة القصص آية : ١٠ .
(٧) سورة القصص آية : ١٢ .
(٨) سورة القصص آية : ١٣ .
(٩) سورة القصص آية : ٣٥ .
(١٠) سورة طه آية : ٤٦ .

الخطوة تلو الخطوة حتى أصبح بحق القيادة التى ستتولى محاربة فرعون وهامان وجنودهما ، وأمد سبحانه هذه القيادة بالقوة والثبات حتى انتصرت عليهم[(١)] .

(ب) وإنى لأكاد ألمس بحواسي تلك العناية وهي تتولى مريم ابنة عمران منذ طفولتها ، بل من قبل ولادتها . قال تعالى : ﴿ إنَّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران ربِّ إنى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى إنَّك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت ربِّ إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنِّى سميتها مريم وإنِّى أعيذها بك وذرِّيتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ... ﴾[(٢)] .

لأنها ستلد قيادة للبشرية جديدة ، تلك القيادة هى عيسى ابن مريم عليه السلام .

(جـ) وإننى لأكاد ألمس تلك العناية وهى تنقذ عبدالله بن عبدالمطلب من القتل للمرة الثالثة فى قصة النذر[(٣)] لا لسواد عين عبدالله ولكن لأن فى صلبه محمدا رسول الله الذى سيصبح فيما بعد رأس القيادة التى ستتولى قيادة البشرية إلى الأبد ، تلك القيادة هى الأمة الإسلامية . وقد يقول قائل أن هذه القصص فى مستوى النبوة ولا نبى بعد محمد ﷺ . فأقول بل تولت عناية الله تعالى قيادات من البشر فى أمة محمد ﷺ منها ما يلى :

---

(١) انظر قصة موسى فى سور القرآن الكريم وفى مقدمتها سورة القصص .

(٢) سورة آل عمران الآيات من : ٣٣ – ٣٧ .

(٣) قال ابن هشام : فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدالمطلب يدعو الله ثم قربوا عبدالله وعشرا من الإبل ...... وقام عبدالمطلب يدعو الله فخرج القدح على عبدالله ثم عادوا الثانية ..... ثم عادوا الثالثة ..... فخرج القدح على الإبل فنحرت . انظر تفصيل القصة فى السيرة النبوية ١٤٣/١ وفى الروض الأنف ١٣١/٢ – ١٣٥ . وهو مبسوط فى شرح المواهب اللدنيةبأسانيد وروايات مختلفة منها حديث معاوية بن أبى سفيان قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى فقال : .... فعد على مما أفاء الله عليك يابن الذبيحين قال (معاوية) فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه . ثم رد على الذين قالوا أن الذبيح إسحاق مستشهدا بأقوال كثير من الصحابة والتابعين . انظر المواهب ٩٠/١ – ٩٧ .

● لقد تولت العناية اختيار أبى بكر رضى الله عنه للقيادة فى أشد أوقات الأمة صعوبة . عبر عن ذلك عمر رضى الله عنه (بأنها فلتة) اختير أبوبكر رضى الله عنه وأثبت أن غيره لم يكن يصلح لهذه المرحلة . واجتاز بالأمة أمواج الفتن إلى سواحل النجاة .

● وجاء بعده عمر رضى الله عنه اختيارا من الرب سبحانه وتعالى بدون منازع لأنه يمثل الشخصية الوحيدة فيما امتاز به عن الصحابة رضى الله عنه من صفات القيادة بشهادة التاريخ .

● وقصة صلاح الدين الايوبى[1] : منذ ولادته ثم باقى تطورات حياته ، تدل دلالة قاطعة أن المتولى الإشراف على تربية صلاح الدين قوة تعلم لماذا ولأى شئ يهيأ صلاح الدين .

إن المتصفح لتاريخه يجد أنه فى ليلة مولده صدر على والده أمر من حاكم بغداد بالنفى والترحيل من بغداد ، وكان صلاح الدين فى تلك الليلة شديد البكا والصياح ، فهم والده نتيجة لما هو فيه من اضطراب حاله بذبحه واستعد لذلك ، فإذا بنصرانى من أهل بغداد ينقذ صلاح الدين من موت محقق يأخذه إلى بيته ، ثم كيف تولى صلاح الدين السلطة فى مصر وكيف ضم إليها الشام وكيف كان ينجو من عشرات المؤامرات لاغتياله ، وكيف كان يتفوق فى إدارة المعارك ضد عدوه . كل هذه الإلهامات بالتوفيق والنجاح ، لأن صلاح الدين سيمثل قيادة تعيد إلى الإسلام مجده ، وتنصر أمة غزاها الصليب فى عقر دارها ، ودنس بالاحتلال ثالث مساجدها المقدسة لنيف وتسعين عاما ، هذا أبوبكر وعمر وصلاح الدين نماذج لأمثلة كثيرة تولى الرب سبحانه أمرها اصطفاء وإعدادا وحفظا ، والقيادة التى ستتولى زعامة الخلافة على نهج النبوة ستكون واحدة من تلك النماذج إن شاء الله تعالى ، فلا أرى أن يختلف أحد فى شروطها ، ولا يفكر أحد فى ماهيتها، ومن هى وما نسبها .

---

(١) محاضرة لسعيد حوى عن صلاح الدين الأيوبى .

وليس معنى ذلك دعوة الأمة إلى التواكل ، إنما أقصد بذلك تعيين الجهة التى ستتولى صنع القيادة لِيَجِدَّ المسلمون فى التوجه إليها بالوسائل التى شرعتها تلك الجهة وهى الله تعالى شأنه .

ثم إن من سننَ الرب سبحانه وتعالى فى صنع تلك القيادات أن يلهم البشر الطريق الصحيح إلى صناعة تلك القيادات فتصنع بتوجيه منه سبحانه وتعالى وإرشاد ، وهذا ما يلحظ من نفس الآيات التى استشهدنا بها على توليه التوجيه المباشر لصنع القيادات فأم موسى مثلا هى التى قامت بإرضاعه وأخته دلت على المرضعة ، وزوجة فرعون تولت الدفاع عنه ، والرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى هو الذى أخبر موسى بمكيدة القتل التى كانت تحاك ضده ، وشعيب هو الذى تولى إتمام تربيته ، وهارون الذى شد الله به أزره إلى آخر مراحل حياة موسى عليه السلام .

فالمقصود إذا من إثارة نقطة أن الله تعالى هو الذى يتولى صنع القيادات الدلالة عليه سبحانه ليقصده الراغبون فى إعادة الخلافة إلى الأمة الإسلامية لتعود إليها عزتها وقوتها ، وليتوجهوا إليه يطلبون الهداية والإرشاد والتسديد . قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾[1] .

والله تعالى أعلم وهو على كل شئ قدير .

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

الفصل الرابع

أهم أهداف جماعة المسلمين ووسائلها

وفيه المبحثان الآتيان :

المبحث الأول : أهم أهداف جماعة المسلمين وأقسامها .

المبحث الثاني : أهم وسائل جماعة المسلمين للوصول إلى أهدافها .

المبحث الأول

أهم أهداف جماعة المسلمين وأقسامها

وبعد أن أوجزت الكتابة عن هيكل جماعة المسلمين ، وبينت أنه مكون من قاعدة هى الأمة ، وركنين هما مجلس الشورى ، والخليفة ، أختصر أهم أهداف الجماعة وهى قسمان :

الأول : أهداف خاصة بالأمة الإسلامية نفسها .

الثانى : أهداف عامة بالبشرية كافة .

١ – أهم الأهداف الخاصة بالأمة الإسلامية ما يلى :

(أ) بناء الفرد المسلم وإعادة الشخصية الإسلامية إليه بعد أن مسختها الحضارة الأجنبية بشطريها الغربى والشرقى .

(ب) بناء الأسرة الإسلامية وإعادة طبيعتها إليها لتقوم بواجبها الذى هو الإسهام فى تخريج الإنسان المسلم الحقيقى .

(جـ) بناء المجتمع المسلم الذى يحمل الإسلام دعوة وسلوكا ، بحيث ترى البشرية حقيقة الإسلام الحنيف صورة متحركة على هذه الأرض .

(د) توحيد الأمة المسلمة من أقصاها إلى أقصاها لتكون كتلة واحدة فى وجه معسكر الكفر والشرك والنفاق، بحيث يسمع لها إذا قالت ، ويخشى بأسها إذا تحركت .

إن الأمة المسلمة بواقعها الحالى ، أفرادا وأسرا ومجتمعات بعيدة كل البعد عن حقيقة الإيمان بربها وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره عقيدة ، كما أنها بعيدة كل البعد عن حقيقة الإسلام المتمثلة فى صلاتها وزكاتها وصومها وحجها عبادة .

كما أنها بعيدة كل البعد عن أحكام الإسلام وتعاليمه . شريعة وقانونا .

ولهذا يجب على جماعة المسلمين أن تجعل هدفها الأساسى هو إعادة الأمة المسلمة أفرادا وأسرا ومجتمعات إلى حقيقة دينها الحنيف . ثم تنتقل بعد ذلك إلى البشرية كافة لتعرض عليها الإسلام ، وتطالبها بالدخول فى السلم كافة ، أو تخضع لأحكامه .

٢ – الأهداف العامة لجماعة المسلمين :

وأما أهم الأهداف العامة الشاملة لكل البشرية فقد حددها كتاب الله تعالى شأنه وبينتها سنة رسول الله ﷺ .

الهدف الأول : أن تعبد البشرية ربا واحدا :

بين الله سبحانه وتعالى أن الغاية من خلق الجن والإنس هى عبادة الله سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجنَّ والإنس إلّا ليعبدون﴾(١) . وأرسل سبحانه رسله عليهم السلام لتبين تلك الغاية السامية قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿إنَّا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(٣) .

ورسولنا ﷺ هو آخر أولئك الرهط الكريم عليهم السلام . وجماعة المسلمين بشطريها – السلطان والعلماء – هى الوارثة لرسول الله ﷺ فى مواصلة السير بهذه الغاية العظيمة ، تبينها وتوضحها للبشرية ، وتقهر كل عقبة تقف فى طريق سيرها لتبليغ غاية ربها التى خلق البشر من أجلها ، وهى توجيههم لعبادة الله وحده ، على المنهج الذى رسمه رسول الله ﷺ ، وهى غاية أساسية لجماعة المسلمين وهدف سام لها .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٢) سورة النحل آية ٣٦ .

(٣) سورة فاطر آية : ٢٤ .

والله سبحانه وتعالى أراد من الناس جميعا فى كل زمان ومكان أن يعبدوه وحده . قال تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّاس اعبدوا ربَّكم الَّذِى خلقكم والَّذِين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[1] . وفهم تلك الإرادة علماء الإسلام حيث نقل القرطبى قولهم فى المراد بالناس فى هذه الآية الكريمة بقوله : (واختلف من المراد بالناس هنا على قولين : أحدهما الكفار الذين لم يعبدوه ، والثانى أنه عام فى جميع الناس فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة وللكافرين بابتدائها)[2] أ هـ ، وقال سيد قطب : (إن النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذى خلقهم)[3] أ هـ .

ولقد بلغ رسول الله ﷺ ما اتسع له عمره تبليغه من الناس تلك الإرادة ، وكلما جاءت جماعة للمسلمين على امتداد ألف وأربعمائة عام بلغت ما وسعها تبليغه كذلك ، وشئ طبيعى أن يكون الهدف الأول لجماعة المسلمين المنتظرة أن تواصل البلاغ إلى الناس بأن يعبدوا ربهم الذى خلقهم ، وهو هدف رئيسى من أهدافها نحو البشرية ، لأنه يترتب عليه جنة أو نار بالنسبة لأولئك الناس ، لأن عبادة الله وحده طريق إلى الجنة . وصرف العبادة إلى غيره طريق إلى النار .

الهدف الثانى : أن تتزعم مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والأمة الإسلامية وعلى رأسها جماعة المسلمين . هى خير الأمم وخير الناس لكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ... قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للنَّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[4] . فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذن من أهم أهداف جماعة المسلمين فبهما مع الإيمان تكتسب الخيرية وبدونهما تخسرها . وقد ذكر الطبرى فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ تأمرون بالمعروف ﴾ أنه يعنى : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه . ﴿ وتنهون عن المنكر ﴾ يعنى : وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب

---

(١) البقرة آية : ٢٠ .
(٢) القرطبى فى الجامع ٢٢٥/١ .
(٣) فى ظلال القرآن ٥١/١ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

رسوله وعن العمل بما نهى عنه[1] . أ هـ .

وقال القرطبي فى جامعه : (إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم أفشى) . أ هـ .

وقال أيضا : (دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان واجبا[2] فى الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة . قال الحسن : قال النبى ﷺ : « ومن أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه »)[3] ا هـ .

وقال أيضا : (مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به فإذا تركوا وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم)[4] أ هـ .

وقد جعل الأستاذ سيد قطب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم وظائف الجماعة المسلمة وأعظمها[5].

الهدف الثالث : أن تبلغ البشرية كافة دعوة الإسلام :

والطريق إلى ذلك الهدف أن تتحقق الأمة بوصف الوسط والشهادة حيث الأمة الإسلامية بقيادة جماعة المسلمين هى التى جعلها الله تعالى وسطا أى خيار الناس وعدولهم فى تصرفاتهم وأحكامهم[6] بقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[7] لايمكن أن تصل مرتبة كونها وسطا وشاهدة على الناس إلا بعد تبليغ أولئك الناس دعوة الحق ، فهى تشهد على الأمم تبليغ رسولهم دعوة الله إليهم ، كما أخرج ذلك

(١) تفسير الطبرى ٤٠/٤٥ .
(٢) جامع الأحكام للقرطبى ١٧٠/٤ .
(٣) جامع الأحكام للقرطبى ٤٧/٤ .
(٤) الأحكام للقرطبى ١٧٣/٤ .
(٥) الظلال ٢٥/٤ .
(٦) انظر الطبرى ٧/٢ .
(٧) البقرة آية : ١٤٣ .

البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :« يجيئ نوح وأمته فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، أى رب . فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ . فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبى . فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ . فيقول : محمد ﷺ وأمته . فنشهد أنه قد بلغ »[1] ، وهو قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس ... ﴾[2] فتلك شهادة الأمة على الأمم التى قبلها ، وأما شهادتها على البشرية بعد بعثة محمد ﷺ ، أن تقيم الحجة عليها بدعوتها إلى الإسلام ، ونشره بينها .

قال القرطبى : (فكل عصر شهيد على من بعده)[3] .

ولا يمكن أن تصل الأمة إلى هذه المرتبة حتى تبلغ البشرية ما أمكنها تبليغه من رسالة محمد ﷺ ، وتقيم الحجة على البشرية بحقيقة هذا الدين ، فالتبليغ إذن من أهم أهداف جماعة المسلمين لتعتلى بحق مرتبة الوسط والشهادة على الناس فى هذه الدنيا كما أنها شهيدة عليهم يوم القيامة ، كما جاء فى حديث أبى سعيد السابق ، ومما يساعد ويشجع على السير فى طريق التبليغ إلى آخره أحاديث كثيرة منها :

قوله ﷺ : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الإسلام ، وذلا يذل به الكفر ... الحديث »[4] .

وقوله ﷺ : « إن الله زوى (أى جمع وضم) لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ... الحديث »[5] .

---

(١) أخرجه البخارى ٣٢٤/٥ وهو عند أحمد ٣٢/٣ .

(٢) البقرة آية : ١٤٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٢ .

(٤) ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/١ وقال رواه ابن حبان وصححه وانظر تحذير الساجد ص ١٢١ للألبانى .

(٥) أخرجه مسلم ١٧١/٨ وأبوداود ٩٧/٤ والترمذى ٢٧/٢ وقال صحيح وهو عند أحمد ٢٧٨/٥ وذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/١ .

قال الألبانى عن هذا الحديث : (ومما لاشك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء)[1] .

فهذه الأحاديث تعطى السائرين على هذه الطريق قوة دفع أكبر ، وتبشرهم بالنجاح والنصر المبين ، لأن رسولهم لا ينطق عن الهوى وأخباره كلها صادقة والسير على هذه الطريق يعنى الجهاد فى سبيل الله تعالى . ولا جهاد إلا بجماعة المسلمين وعلى رأسها الإمام أو الخليفة فإذا كان الأمر كذلك فالتبليغ من أهم أهداف جماعة المسلمين المنتظرة .

الهدف الرابع : أن تزيل الفتنة من الأرض كافة :

وجماعة المسلمين مكلفة بإزالة الفتنة – أى الشرك – من الأرض وجعل الدين فى حياة البشرية كله لله ، وأن تحمل فى سبيل هذا الهدف السلاح – بعد أن تعد الأمة له وتدربها عليه – قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾[2] .

فمحو الفتنة من الأرض وإزالة الشرك من حياة البشرية هدف أساسى من أهداف جماعة المسلمين .

الهدف الخامس : فتح روميه عاصمة إيطاليا :

ثبت فى أكثر من كتاب من كتب السنة أن رومية – وهى اليوم عاصمة إيطاليا وتسمى روما – ستفتح على يد المسلمين . والمتتبع للتاريخ يجد أنها لم تفتح من قبل ، وأنها لابد مفتوحة لصدق خبر الصادق المصدوق ﷺ بذلك الفتح ، وهذا الفتح لابد أن يكون من أوائل الأهداف العامة لجماعة المسلمين الجديدة ، لأن فيه زيادة إثبات لنبوة محمد ﷺ ، لأنه خبر عن المستقبل . ففى الحديث عن أبى قبيل قال : كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص وسئل أى المدينتين تفتح

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٧ للألبانى .
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

أولا : القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبدالله بصندوق له حلق ، قال فأخرج منه كتابا قال : فقال عبدالله – بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : « أى المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولا – يعنى قسطنطينية »[1] .

قال الألبانى معلقا على الحديث : (وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثمانى كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبى ﷺ بالفتح وسيتحقق الفتح الثانى بإذن الله تعالى ولابد ولتعلمن نبأه بعد حين) .

ولا شك أيضا أن تحقيق الفتح الثانى يستدعى أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة وهذا مما يبشرنا به ﷺ[2] أ هـ .

وعندما تعود الخلافة بإذن الله لابد أن يكون هذا الفتح لرومية هدفا رئيسيا من أهدافها . نسأل الله تعالى أن يعجل ذلك قريبا .

الهدف السادس : قتال الناس كافة حتى يشهدوا شهادة الحق :

كما أخبر ﷺ محددا هدفا من أهداف جماعة المسلمين المنتظرة ، عندما أمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وأن لايكف عنهم القتال حتى يفعلوا ذلك كما جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر رفعه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله »[3] .

فالقتال إذا حتى يشهد الناس شهادة الحق ويذعنوا لله تعالى فى كل شئونهم هدف من أهداف جماعة المسلمين ، وفرض واجب على الأمة كافة ، لا تعلنه إلا

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٦/٢ والدارمى ١٢٦/١ وهو فى المستدرك فى عدة مواضع منها ٤٢٢/٣ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ووافقهما الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨/١ .

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ٨/١ .

(٣) أخرجه الشيخان وتقدم تخريجه فى ص ٩٠ من البحث .

قيادتها وهو الفريضة القائمة إلى يوم القيامة .

ولقد قاتل ﷺ ما وسعه ذلك ، وقاتل بعده الصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم ، وسيقاتل خليفة المسلمين المنتظر حتى يدخل الناس جميعا فى دين الله وحتى يقول الحجر للجندى المسلم ياعبد الله إن ورائى كافرا فاقتله .... وإنه لبدر بدأت تشرق سهام أشعته على الأرض .

كما جاء بهذا المعنى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يامسلم ياعبدالله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله . إلا الفرقد فلأنه من شجر اليهود »[1] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥١/٤ وانظر فتح البارى ١٠٣/٦ وأخرجه أحمد فى مسنده ١١/١ ، ٢١٩ واللفظ له .

المبحث الثانى

أهم وسائل جماعة المسلمين للوصول إلى أهدافها

بعد أن أوجزنا الحديث عن أهم أهداف جماعة المسلمين . وقسمناها إلى قسمين : أهداف خاصة بالأمة الإسلامية ، وأهداف عامة للبشرية كافة . نشرع فى أهم الوسائل للوصول إلى تلك الأهداف .

١ - أهم وسائل جماعة المسلمين إلى أهدافها الخاصة :

أما للوصول إلى أهدافها الخاصة فأهم وسائلها ما يلى :

(أ) وجوب إعادة أجهزة الإعلام ، والتعليم ، والاقتصاد ، وغيرها من أجهزة الدولة إلى الإسلام ليتولى توجيهها ضمن حدوده وتشريعاته .

(ب) الضرب بيد من حديد على يد كل عناصر النفاق والفسق فى الأمة وتطهير المجتمع منهم .

(جـ) إعداد الأمة الإسلامية إعدادا يتناسب مع مطالب المرحلة القادمة من حيث الإعداد والعدة .

٢ - أهم وسائل جماعة المسلمين للوصول إلى أهدافها العامة :

وأما للوصول إلى أهدافها العامة فأهم وسائلها ما يلى :

(أ) إعلان مبادئ الإسلام للبشرية كافة ، من خلال أجهزة الإعلام فى الدولة الإسلامية .

(ب) مطالبة كافة البشرية بالدخول فى الإسلام كافة ، لنسخه لسائر الأديان والملل .

(جـ) مطالبة كافة الدول بالخضوع لتعاليم الإسلام فى هذا الباب[1] سواء كانت هذه الدول غربية – علمانية لا صلة لها بالنصرانية ولا اليهودية ، أو شرقية – اشتراكية لا تعترف بالأديان .

(د) إعلان الجهاد المسلح والمستمر حتى النصر على كل من خالف ورفض مطالب جماعة المسلمين الآنفه وذلك حسب أحكام ومراحل الجهاد المنصوص عليها فى مواضعها من هذا الدين الحنيف[2] وبحسب خطة وإمكان تلك الجماعة المباركة .

فهذه الوسائل كفيلة بعون الله تعالى للوصول بجماعة المسلمين إلى أهدافها .

ووصولها إلى أهدافها يعنى جعل كلمة الله تعالى هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فى هذه الأرض هى الغاية النهائية لجماعة المسلمين على هذه الأرض .

٣ – المحور الذى يحدد نقاط الحركة :

والذى يحدد نقاط الحركة بين الوسائل والأهداف فى الجماعة هو واقع خطط هذه الحركة نفسها من حيث السلب والإيجاب .

ولنأخذ على ذلك مثالا :

---

(١) انظر المراجع الآتية فى تعاليم الإسلام :
(أ) مستقبل الإسلام لمحمد عبد القادر العمارى (ب) الوحدة الإسلامية للشيخ محمد أبوزهرة .
(جـ) دعوة الإسلام للشيخ السيد سابق . (د) الإسلام (دين الهداية والإصلاح) لمحمد فريد وجدى .
(هـ) الإسلام لحامد عبد القادر . (و) الإسلام لسعيد حوى .

(٢) انظر المراجع الآتية فى الجهاد :
أ – الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك .
ب – آيات الجهاد فى القرآن الكريم لكامل سلامة الدقس (رسالة دكتوراه) .
جـ – الجهاد المشروع فى الإسلام لعبدالله بن زيد آل محمود القطرى .
د – الجهاد فى الإسلام لمحمد شديد .

الهدف الأول لجماعة المسلمين كما قدمنا هو بناء الإنسان المسلم ، والوسيلة إلى بناء ذلك الإنسان ، أن يتعلم الإسلام الحق فى المدارس والجامعات ، وأن يسمع ويقرأ عن الإسلام بواسطة أجهزة الإعلام ، وأن يعبأ بالإسلام بواسطة المعسكرات والدورات ، فبالقدر الذى تنجح جماعة المسلمين فى تكثيف هذه الوسائل لذلك الإنسان فى تربيته وبنائه .

وبالقدر الذى تنجح فى تربية ذلك الإنسان وبنائه ستنجح فى بناء الأسرة المسلمة ، لأن الإنسان المسلم من أهم وسائلها إلى بناء تلك الأسرة ، وبالقدر الذى تنجح فى إعداد تلك الأسرة إسلاميا ، سيكون نجاحها مؤزرا فى بناء المجتمع المسلم والأمة المسلمة ، لأن الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع المسلم ، والأمة الإسلامية ، كما أن الفرد المسلم هو اللبنة الأولى فى الأسرة .

وبالقدر الذى تستطيع فيه جماعة المسلمين إعداد الأمة ، وتعبئتها ، تستطيع أن تحدد موقفها من البشرية ، ومن السير فى أهدافها معها ، وبدون هذا الترتيب لا تستطيع جماعة المسلمين أن تحدد ذلك الموقف ولا الزمن الذى تخاطب فيه هذه البشرية بهذا الدين . كما أنها لا تستطيع أن تصل إلى مجتمع إسلامى قبل تعبئة الأسرة وإعدادها وكذلك لا تستطيع أن تصل إلى أسرة مسلمة قبل إعداد الفرد المسلم بحسب ما تريد حيث أن الفرد المسلم طريقها إلى الأسرة المسلمة والأسرة المسلمة هى الطريق إلى المجتمع المسلم ، والأمة المسلمة .

إذن الذى يحدد ساعات الانتقال من هدف إلى هدف هو السير بتلك الحركة على هذا الترتيب ، وبمدى ما تثبته التقارير من زيادة نسبة النجاح ، أو نقصانها .

إن الرسول ﷺ لم يحدد الدخول فى مجابهة قريش عسكريا فى معركة بدر الكبرى إلا بعد أن تأكد من استعداد كافة قطاعات جيشه لهذه المجابهة ، وذلك فى استقطاب آراء كبارهم قبل دخول المعركة . كما جاء فى حديث أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان فتكلم أبوبكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يارسول الله ؟ والذى

نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، فندب ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا .. الحديث[1] .

وذلك بعد ما تأكد له ذلك الاستعداد فى أعلى مراتبه ، تحرك نحو العدو مجابها إياه ، كما أنه لم يحدد ساعة المجابهة أصلا إلا بعد أربعة عشر عاما من التربية والإعداد للفرد المسلم وللأسرة المسلمة وهذا مايجب أن تفعله جماعة المسلمين لتحقيق أهدافها . والله تبارك وتعالى أعلم .

---

(١) انظر صفحة (٧٣) من البحث فقد خرج الحديث هناك .

الباب الثانى

الطريق إلى جماعة المسلمين

وفيـه أربعـة فصـول :

الفصل الأول : الأحكام الإسلامية .

الفصل الثانى : خطوة الرسول الأولى فى دعوته (بناء الجماعة) .

الفصل الثالث : معالم من سيرة الرسول فى بناء الجماعة .

الفصل الرابع : طبيعة الطريق إلى جماعة المسلمين .

الفصل الأول

الأحكام الإسلامية

وفيه مبحث واحد يشمل :

١ ـ حكم تبعيض الأحكام الإسلامية .

٢ ـ وقت تطبيق الأحكام الإسلامية .

٣ ـ أقسام الأحكام الإسلامية .

الفصل الأول
الأحكـام الإسـلامية

١ - لا تبعيض فى الأحكام الإسلامية :

(أ) عند إهلالة الدعوة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ فى مكة المكرمة كانت تتنزل التوجيهات[١] الربانية بحسب حاجة الجماعة إلى تلك التوجيهات وبما تتطلبه المرحلة التى تعيشها الجماعة .

وهذه القاعدة لا تحتاج إلى كثرة أدلة لوضوحها . قال تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناهُ لتقرأه على النّاس على مكثٍ ونزلناه تنزيلا ﴾[٢] .

قال الطبرى : (ونزلناه تنزيلا يقول تعالى ذكره فرقنا تنزيله وأنزلناه شيئا بعد شئ)[٣] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك فى عشرين سنة)[٤] .

(ب) وتلك القاعدة تختلف اليوم بالنسبة للجماعة الإسلامية فى حالة إرادتها السير فى طريق إقامة جماعة المسلمين من جديد فى حياة الأمة الإسلامية . حيث إن التوجيهات الربانية قد اكتملت والسنة النبوية قد تكاملت وبنيت . وأصبح المسلم أو الجماعة الإسلامية مطالبين بكل هذه التوجيهات الربانية والسنة النبوية كاملة دون تبعيض .

---

(١) انظر مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٠٥

(٢) الإسراء آية : ١٠٦ .

(٣) تفسير الطبرى ١٧٩/١٥ .

(٤) انظر الدر المنثور ٢٠٥/٤ وهو فى تفسير الطبرى ١٧٨/٥ .

ولأن أحكام الإسلام ترفض تبعيض الإسلام ، وتحكم على من فعل ذلك بالخسران والخزى فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة . قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الّذِين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾[١] .

إن مسايرة الأنظمة الكافرة والخضوع لها بأخذ ما تسمح به تعاليم الإسلام وترك ما تمنع مزاولة المسلمين له بأى دعوى كانت ، أمر شنيع توعد الله سبحانه وتعالى فاعله بضعف الحياة وضعف الممات والإخراج عن حظيرة الإيمان وملة الإسلام .

قال تعالى : ﴿ ولولا أنْ ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناكِ ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا ﴾[٢] .

قال الطبرى عند هذه الآية : (يعنى ضعف عذاب الدينا والآخرة)[٣] .

وقال القرطبى : (أى لو ركنت لأذقناك مثلى عذاب الحياة فى الدنيا ومثلى عذاب الممات فى الآخرة وهذا غاية الوعيد)[٤] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ الّذِين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ، ذلك بأنهم قالوا للّذِين كرهوا مانزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ﴾[٥] .

فالآية الكريمة اعتبرت الذين يطيعون الذين كرهو ما نزل الله ولم يحكموا به ولو فى بعض الأمر مرتدين .

---

(١) البقرة آية : ٨٥ — ٨٦ .
(٢) الإسراء آية : ٧٤ .
(٣) انظر الطبرى ١٣١/١٥ .
(٤) انظر القرطبى فى الجامع ٣٠١/١٠ .
(٥) محمد آية : ٢٥ — ٢٦ .

والذى دفعنى لإثارة هذه النقطة أن كثيرا من أفراد المسلمين لايفعلون ولا يطبقون من تعاليم الإسلام إلا ما يتمشى مع أنظمة البلاد التى يقيمون فيها ، بل بعضهم يقومون بنصرة وتشجيع الابتعاد عن بعض أحكام الدين ، لأن السلطة السياسية تمانع فى ذلك ، وكذلك كثير من الجماعات التى تدعوا إلى الإسلام فى بلاد العالم الإسلامى فإنها لايمكن أن تأخذ الصفة الرسمية بالدعوة إلا بعد أن تقدم لائحة عملها الداخلية إلى الجهات المختصة فى الدولة التى تريد العمل فى سلطانها ، ولابد أن تحتوى تلك اللائحة على ماهو مباح ، وتبتعد عن كل محرم فى نظام تلك الدولة من تعاليم الإسلام ، حتى تحظى بالموافقة عليها ، ولو علم أولئك الأفراد ، أو تلك الجماعات أن فعلهم ذلك يعنى مساعدة حكم الكفر على الاستمرار والبقاء – وأنهم بفعلهم هذا يقضون على أمهات الأحكام والتعاليم الإسلامية ، لما أقدموا على ذلك ولأدركوا أنهم بعيدون عن روح الدعوة الإسلامية التى ينتمون إليها ، إنهم يهدمون بذلك أحكام الجهاد ونظام الحكم ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر عليه .

إن كافة الدول القائمة فى العالم الإسلامى تمانع فى الحكم بما أنزل الله تعالى ، ورفع راية الجهاد ، وتأمر بالمنكر ، وتنهى عن المعروف ، وتقمع من طلب عكس ما تريد ، وإن الذين يسيرون فى ركابها وبحسب ما تريد رغبة فى التعايش السلمى معها مخطئون ، وعليهم أن يتوبوا ويقلعوا عن الذى هم فيه ويستغفروا الله تعالى .

٢ – متى تطبق الأحكام :

والذى يمكن أن نقرره هنا هو أن الفرد أو الجماعة فى الأمة الإسلامية يمكن أن يأخذ من أحكام الإسلام بحسب ما تقتضيه أحواله ، وموقعه فى الحياة ، وتطوره فيها ، شريطة أن يؤمن ذلك الفرد أو تلك الجماعة بكل أحكام الإسلام ، واستمراريتها ، وأن يظهر ذلك الإيمان من خلال المشاركة الفعالة كل فى ما يخصه من أحكام الإسلام .

بمعنى أن الفرد المسلم مثلا يمر بمرحلة طفولة فعليه أحكام من أحكام الإسلام دون غيرها ، وكذا مرحلة الرجولة على الإنسان فيها أحكام إسلامية تختلف باختلاف حالاته ، فقد يكون فيها متزوجا أو غير متزوج ، فله فى كل حالة أحكام من أحكام الإسلام تخصه دون غيرها ، أو متزوجا وله أولاد ، أو ليس له أولاد فله أحكام من الإسلام تخصه دون غيرها ، وقد يكون ابنا لوالدين فله أحكام ، وقد يكون صاحب تخصص لا يوجد غيره فى البلاد كأن يكون طبيبا أو عالما ... فتكون أحكام الإسلام الكفائية بالنسبة له أحكاما عينية ، إلى آخر أحوال الفرد المسلم ، فهو مطالب بأحكام دون أحكام ، ولكن هناك أحكام إسلامية عامة تلزم كل مكلف من المسلمين مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو مبدأ يشمل كل جوانب الحياة . كما جاء فى قوله ﷺ : عن تميم الدارى رضى الله عنه : « الدين النصيحة (ثلاثا) قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] . بل وفى قمتها نصيحة الحاكم وتقويمه كما روى عن جابر رضى الله عنه : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »[2] .

وكذلك الجماعة الإسلامية بحكم كونها جماعة مطالبة بكافة الأحكام الإسلامية وعلى وجه الخصوص حركة الرسول ﷺ فى مكة المكرمة ، بل التزامها حركة الرسول ﷺ يعنى التزامها بأحكام الإسلام .

ولأن سيرة الرسول ﷺ فى مكة وما احتوته تعتبر من أحكام الإسلام تطبق فى وقتها المناسب على ضوء هديه ﷺ ، ووقتها المناسب كل وقت غابت فيه دولة الإسلام ، وعاد الإسلام غريبا ، ففى مثل هذا الوقت يتوجب أن تكون هناك جماعة تحمل الناس على الإسلام وتقيم دولته ، وعند تأسيس تلك الجماعة من سنة الله أن تمر بمراحل ، هذه المراحل واضحة فى سيرة الرسول ﷺ فى مكة

---

(١) أخرجه البخارى ٥٤/١ بهذا اللفظ ومسلم ٧٤/١ وبنحوه رواه الترمذى ٣٢٤/٤ وأبوداود ٢٨٦/٤ والدارمى ٣١١/٢ ، وفى مسند أحمد ٣٥١/١ ، ٢٩٧/٢ ، والنسائى ١٥٦/٧ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٩٥/٣ وصححه على شرط الشيخين وذكره الهيثمى فى المجمع ٣٦٨/٩ مرفوعا عن ابن عباس .

ويتوجب على الدعاة المؤسسين لهذه الجماعة أن يقفوا عند كل مرحلة من مراحل الرسول عليه السلام ويستنبطوا منها الأحكام ، ليأخذوا بها فى بناء جماعتهم ، فهى الأحكام المعصومة من الخطأ والنقص والهوى . وحينئذ فإن أخذهم بأحكام المرحلة الأولى مثلا وتأجيلهم أحكام باقى المراحل لايعتبر تبعيضا لأحكام الإسلام ، بل اقتداء بالرسول فى سيرته ودعوته المباركة .

وخلاصة هذه النقطة أن الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة موقعهما ومرحلتهما الحياتية هما اللذان يحددان ما يخصهما من الأحكام دون غيرها ، وأنه يتوجب عليهما الإيمان بباقى أحكام الإسلام وأن يستعد كل واحد منهما للعمل بتلك الأحكام .

٣ – أقسام أحكام الإسلام :

وبما أن الأحكام الإسلامية تنقسم باعتبار الماهية والكيفية إلى قسمين :

أحدهما : ما هية تلك الأحكام .

ثانيهما : كيفية تنفيذ تلك الأحكام .

فالفاتحة والتشهد فى الصلاة مثلا من الماهية وكيفية قراءتها ومكانها فى الصلاة من أحكام الكيفية .

وهذان القسمان ينقسمان باعتبار الفاعل إلى قسمين أيضاً :

أحدهما : أحكام خاصة بالمسلم كفرد فى الأمة الإسلامية .

ثانيهما : أحكام خاصة بالجماعة كجماعة من الأمة الإسلامية .

ونعنى بالجماعة من الأمة الإسلامية الفئة والطائفة التى تحمل الدعوة إلى إقامة جماعة المسلمين كلما جفاها الزمن ، أى الجماعة التى يتحقق هدفها المنشود عندما توجد جماعة المسلمين – حاكم يحكم الأمة بكتاب الله وسنة رسوله – عندما يوجد ذلك الحاكم فلا تعدد فى الإسلام لجماعات أو أحزاب . وعلى

اعتبار عدم وجود جماعة المسلمين كما قررنا ذلك فى التمهيد[1] على رأس الأمة الإسلامية فى زمننا هذا وعلى اعتبار الطريق إلى إيجاد جماعة المسلمين ، أن توجد جماعة من المسلمين تسعى لهذا الأمر . فإن بحثنا سيلخص بعض الأحكام الخاصة بتلك الفئة – الجماعة من المسلمين – من حيث الكيفية ، من سيرة الرسول ﷺ وهو يسعى ليقيم جماعة المسلمين ، التى آل إليها تسيير أمور الأمة الإسلامية بعد ذلك ماشاء الله لها ذلك ، وهى الأحكام التى يجب أن تأخذ بها كل الجماعات التى تعمل اليوم لإعادة جماعة المسلمين إلى الأمة الإسلامية من حيث المرحلية فى الخطة ، مع ملاحظة التزام الجماعة مع أفرادها بأحكام الإسلام كلها ، الجماعة كجماعة ، والأفراد كأفراد ، كل بحسب موقعه من هذه الحياة . كما تقرر آنفا[2] .

وحصر الكتابة فى جانب الكيفية دون الماهية من الأحكام الإسلامية فى بناء الجماعة الإسلامية .

١ – لأن ماهية أحكام الإسلام فى هذا المجال معلومة من قبل كثير من دعاة الإسلام ، ولكن كيفية التطبيق مجهولة لأكثرهم ، فطلاب العلم مثلا يعلمون أن هناك داراً في سيرة الرسول ﷺ تسمى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، ولكن قليلا منهم من يعلم مكانة هذه الدار فى بناء الجماعة ، وتربية أفرادها ، وأنها تمثل مرحلة من مراحل الدعوة .

٢ – ولأن جل أحكام الإسلام عموما ماهية وكيفا متعلق بوجود دولة إسلامية تقيمها ، وتنفذها ، فالكتابة فيها مع عدم وجود الذى سيقيمها نوع من العبث وضياع الوقت .

٣ – ولأن ماهية الأحكام فى هذه المرحلة تقررها قيادة الجماعة بحسب مستويات أفرادها ، ونوعية حاجتهم منها ، وبحسب ترتيبها من حيث الأهمية ، كأن يكون فى الجماعة أفراد درسوا فى بلاد ليس فى مناهجها مواد

---

(١) انظر التمهيد من هذا البحث ص ٢٣ – ٣٤ .

(٢) انظر صفحة ١٣٩ من نفس البحث .

دينية ، فهؤلاء يحتاجون إلى منهج مكثف فى المواد الدينية ، وأفراد فى مؤسسات دينية بعيدة عن الفكر المعاصر ، فهم يحتاجون إلى منهج ثقافى مكثف فى هذه الناحية ليسد عندهم جانب النقص وهكذا .

٤ ــ ولأن الكيفية فى بناء الجماعة الإسلامية لم يكتب فيها إلا القليل[١] وفى الأيام المتأخرة ، خاصة فى تعاليم سيرة الرسول ﷺ فى بناء الجماعة لعدم الحاجة إليها عند علمائنا القدامى لوجود جماعة المسلمين وإمامهم فى كل العصور الماضية ، فلم يكتبوا عنها كالعلوم الأخرى ، ولم يستنبطوا منها فروعا نعتمد نحن عليها، كما فتحوا لنا أبوابا كثيرة وسبلا عديدة من خلال استنباطهم من أحكام الإسلام الأخرى غير أحكام بناء الرسول ﷺ للجماعة الأولى.

---

(١) مثل الإمام حسن البنا والإمام أبو الأعلى المودودى ومثل الأستاذ سيد قطب فى كتابه فى ظلال القرآن ومعالم فى الطريق والأستاذ سعيد حوى فى كتابه جند الله ثقافة وأخلاقا ، والمدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين ، والأستاذ فتحى يكن ، فى أكثر مؤلفاته .

الفصل الثانى

خطوة الرسول الأولى فى دعوته

(بناء الجماعة)

وفيــه مبحثان :

المبحث الأول : إدراك الرسل واتباعهم لهذه الخطوة .

المبحث الثاني : دعاة الإسلام وخطوة الرسول الأولى .

المبحث الأول

إدراك الرسل واتباعهم لهذه الخطوة

١ ـ إدراكه ﷺ لأهمية هذه الخطوة :

(أ) أدرك الرسول ﷺ من الساعات الأولى من الوحى الربانى إليه أن ما وكل إليه القيام به أمر لا يمكن لبشر أن يحمله بمفرده وأنه لابد لهذا الأمر من جماعة قوية تطبقه على نفسها ثم تحمله إلى العالمين .

قال تعالى : ﴿ إنَّا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾[١] . قال صاحب الظلال عند تفسير هذه الآية : أى (ثقيلا فى تبعاته ومستلزماته لا فى لفظه أو معناه بل هو ميسر للذكر)[٢] فكانت الخطوة الأولى فى حياته ﷺ هى إقامة وإيجاد تلك الجماعة .

(ب) أدرك ﷺ هذا المعنى من كتاب ربه المنظور والمسطور .

أدرك من الكتاب المنظور أن كل شئ فى الكون يتعاون بعضه مع بعض ، كتلة واحدة ، ليؤدى مهمة واحدة ، هى تسهيل عيش هذا الإنسان على هذه الأرض بعبارة واحدة ، هى : ﴿ أتينا طائعين ﴾[٣] حتى عبر بعضهم عن هذا المعنى بقوله : (حركة واحدة من السرة إلى المجرة)[٤] أى أن كل شموس المجرة وكواكبها تتحرك ، لتوصل الطعام إلى معدة ذلك الإنسان .

(جـ) وأدرك ﷺ ذلك من خلال سير من سبقه من الأنبياء والمرسلين فى

---

(١) المزمل آية ٥ .

(٢) فى ظلال القرآن ١٤٧/٢٩ .

(٣) فصلت آية : ١١ .

(٤) من محاضرة للأستاذ عبد المجيد الزندانى ألقيت بدار الحديث المدنية .

التنزيل الحكيم ، أدرك أن النبى الذى استجاب له قومه فكونوا حوله جماعة تحمل دعوته بقيت دعوته وحكمت صحفه ، وأن النبى الذى لم يستجب له قومه ولم يكونوا حوله جماعة تحمل دعوته طويت صحفه وغطى الزمان على دعوته .

(د) عبر ﷺ عن هذا المعنى بقوله فيما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ﷺ : « عرضت على الأمم ، فرأيت النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل ، والرجلان ، والنبى وليس معه أحد إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى ، فقيل لى هذا موسى وقومه ، ولكن انظر : إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم . فقيل لى انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك »(1) .

فالنبى الذى استجابت له أمته وكونت حوله السواد ، ترعرعت وبقيت دعوته على هذه الأرض ما شاء الله لها أن تبقى ، ثم بعث ذلك السواد يوم القيامة يزف نبيه على رؤوس الأشهاد فى صورة بديعة معبرة ، والنبى الذى لم تستجب له أمته ، ولم تكون حوله جماعة لتحمل معه دعوته هو ذلك النبى الذى غادر هذه الأرض ولم يؤمن به أحد ، ثم بعث وليس معه أحد ، ولكنه أمة فى ذاته .

(هـ) ولنأخذ على هذا المعنى مثالا من قصص الأنبياء من كتاب الله تعالى : فذلك موسى ، وذاك عيسى ، وهذا محمد ﷺ. موسى استجاب له قومه ، وكونوا حوله الجماعة فبقيت توراته حتى يومنا هذا على ما أصابها من تحريف . وعيسى عندما استجاب له الحواريون ، وكونوا حوله جماعة تحمل دعوته بقيت النصرانية تحمل اسمه إلى يومنا هذا ، على ما تخللها من تحريف .

ومحمد ﷺ عندما تجمعت حوله أمة من الناس تؤمن بدعوته ، وتحملها إلى العالمين بقى الإسلام ضاربا فى أعماق الأرض ممتدا على وجهها شرقا وغربا ، وسيبقى أبد الدهر مادامت هناك طائفة تحمله منصورة به لايضرها من خذ لها ، أو عرقل سيرها .

---

(1) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٩٩/١ وأخرجه البخارى بنحوه فى عدة مواضع منها ١٦٣/٧ إحياء التراث ، وفى الفتح ١٥٥/١٠ ، وأخرجه الترمذى ٦٣١/٤ ، وقال حديث حسن صحيح . وهو فى مسند أحمد بتحقيق شاكر ١٤٧/٤ - ١٤٩ .

وهناك أنبياء ورسل لم تستجب لدعوتهم أقوامهم ليكونوا حولهم الجماعات التى تحمل الدعوات والتى بها تنتشر وبدونها تخبو وتندثر .

فغادر أولئك الأنبياء هذه الأرض ومعهم صحفهم لم تنشر ، ومحقت أممهم على الكفر ولم نسمع لواحدة منها ركزا .

هل لأن الله تعالى لم يرد إرادة شرعية لأمم أولئك الأنبياء الهداية والرشاد ؟ كلا وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل الله لايحب الكافرين ، ولا يرضى لعباده الكفر .

أو لأن واحدا من أولئك الرهط المرسلين قصر فى اتخاذ وسيلة من وسائل إنجاح الدعوات ؟ حاشا وكلا بل سلكوا كل وسيلة لإقناع أممهم .

ولكن عدم استجابة تلك الأمم لتكوين الجماعة التى تحمل الدعوة كان السبب الوحيد فى عدم بقاء صحف أولئك الأنبياء وانتشارها .

لقد سلك الأنبياء كل وسيلة فى إمكانهم ، وبذلوا كل جهد هو فى مقدورهم ، لتؤمن تلك الأمم وتهتدى ، ولكنها أبت وأعرضت ، فهذا إبراهيم عليه السلام سلك مع قومه فى بابل[1] كل وسيلة ليؤمنوا ، فأعرضوا عنه وتولوا مدبرين ،بدأهم بالتى هى أحسن ، وبالحجة الواضحة ، والبيان الساطع ، قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم إذْ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾[2] .

وقال تعالى :﴿وإنَّ من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم . إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة فى النجوم.فقال إنِّى سقيم. فتولوا عنه مدبرين﴾[3] .

---

(١) انظر البداية والنهاية فى تفصيل قصة سيدنا إبراهيم فى شعب بابل ١٤٣/١ - ١٤٧ .
(٢) الشعراء آية : ٦٩ - ٧٤ .
(٣) الصافات آية : ٨٣ - ٩٠ .

ثم واجههم بالتهديد والوعيد ، قال تعالى : ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾[1] . ثم نازلهم باليد والسنان قال تعالى : ﴿ فراغ إلى آلتهم فقال ألا تأكلون . مالكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين . فأقبلوا إليه يزفون ﴾[2] .

فما كان منهم إلا أن نكسوا على رؤوسهم بعد أن أقام إبراهيم عليه السلام الحجة عليهم ، وأضلهم الله تعالى على علم ، قال تعالى : ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون ﴾[3] فاعترفوا بظلمهم فسحقا للقوم الكافرين .

وعندها استراحت نفس إبراهيم عليه السلام إلى ما بذل معهم ، وأدرك أنه قد أدى واجبه نحوهم ، وأنهم هم اللذين قعدوا عن نصرته ودعوته ، بأن يكونوا عصبة تؤمن به وتحمل معه الدعوة ، وتبلغها للناس من بعده فتركهم على كفرهم وهو يقول : ﴿ إنّى ذاهب إلى ربى سيهدين ﴾[4] .

٢ - إبراهيم عليه السلام يدرك تلك الحقيقة :

وإبراهيم عليه السلام فى طريقه إلى ربه أعلن عن تلك الحقيقة التى لابد منها لنصر الدعوات ، وهى إما جماعة تحمل الدعوة فتنتصر تلك الدعوة ، أو لا جماعة فلا نصر ، وهى الحقيقة التى أدركها سيدنا محمد ﷺ لأول وهلة فى دعوته ، والتى يجب أن يدركها كل داعية إلى هذا الإسلام .

أدركها إبراهيم عليه السلام فطلب من الرب سبحانه أن يهب له من الصالحين ، جماعة تلتف حوله تحمل دعوته ، وتطبقها على نفسها ، ثم تنشرها فى العالمين من بعده .

قال تعالى : ﴿ ربِّ هب لى من الصالحين ﴾[5] .

---

(١) الأنبياء آية : ٥٧ .
(٢) الصافات آية : ٩١ - ٩٣ .
(٣) الأنبياء آية : ٦٤ .
(٤) الصافات آية : ٩٩ .
(٥) الصافات آية : ١٠٠ .

هذه هى الحقيقة التى انتهى إليها سيدنا إبراهيم بعد ما سلك كل الطرق لتبقى دعوته ، وهى الحقيقة التى أدركها سيدنا لوط فى الليلة التى داهم قومه ضيفه ، أحس بقيمة الجماعة وأنها خطوة لابد منها للدفاع عن الدعوة والداعية .

قال تعالى : ﴿ قال لو أنَّ لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾[1] .

قال القرطبى عند هذه الآية : (مراد لوط بالركن العشيرة والمنعة)[2] .

وهى الحقيقة التى أدرك أهميتها قوم شعيب وحالت بين شعيب والمعتدين عليه بالرجم . قال تعالى : ﴿ ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾[3] .

وهى الحقيقة التى جعلها رسول الله ﷺ خطوته الأولى فى دعوته . إنها حقيقة يجب أن يدركها الدعاة فى كل زمان ومكان ، وأن يعملوا بها . هذه الحقيقة هى : ﴿ ربِّ هب لى من الصالحين ﴾ وبدونها لايمكن للدعوة أن تبقى أو تنتشر .

٣ - الرسول ﷺ يبين أهمية هذه الحقيقة :

ولقد عبر رسول الله عن أهمية هذه الحقيقة فى نجاح الدعوة ، وبين أنها هى التى تقرر مصير الدعوة من حيث البقاء وعدمه ، وذلك فى أثناء مناجاته لربه سبحانه وتعالى فى يوم بدر .

كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله[4] : « لما كان يوم بدر ...... فاستقبل النبى ﷺ : ثم مد يده فجعل يهتف بربه اللهم إن تهلك هذه العصابة[5] من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض » ... الحديث .

---

(١) سورة هود آية ٨٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧٨/٩ .
(٣) سورة هود آية : ٩١ .
(٤) رواه مسلم ١٣٨٤/٣ من حديث طويل وهو فى الترمذى ٢٦٩/٥ . ومسند أحمد ٣٠/١ ، ٣٢ ، ١١٧ .
(٥) قال عبدالباقى على مسلم العصابة : الجماعة .

هكذا إن تهلك تلك العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض لأن محمدا ﷺ هو آخر الرهط الكرام من الأنبياء والمرسلين ، ولأنه لا يستطيع أن يربى جماعة جديدة إن هلكت عصابته التى مكث يزكيها ويربيها ويقويها خمس عشرة سنة كاملة ، بين مكة والمدينة ، فعلى ذلك لاعبادة لله فى الأرض . إنها حقيقة يجب أن يقف الدعاة عندها كثيرا ، هذه الحقيقة هى أن الدعوة لابد لها من جماعة تحملها ، وأن على الدعاة أن يضحوا بكل شئ فى سبيل إيجادها ، وأن ينسوا كل شئ فى سبيل المحافظة عليها وعلى وحدتها .

٤ – إجماع مفكرى العصر الحديث عليها :

وعلى هذه الحقيقة اتفق أصحاب الفكر الإسلامى المعاصر .

يقول الأستاذ المودودى(1) : (ومن سنن الله فى الأرض أن يحمل هذه الدعوة رجال يحافظون عليها ويسوسون أمرها) .

ويقول الأستاذ حسن البنا : (يجب أن تحمل هذه الدعوة جماعة تؤمن بها وتجاهد فى سبيلها)(٢) .

ويقول الأستاذ سيد قطب : (فكيف تبدأ عملية البعث الإسلامى إنه لابد من طليعة تعزم هذه العزمة)(٣) .

ويقول الأستاذ سعيد حوى : (هذا هو الحل الوحيد الآن أن تقوم جماعة)(٤) .

ويقول الأستاذ فتحى يكن : (فالرسول ﷺ لم يعتمد أسلوب العمل الفردى قط ، وإنما حَضَّ من أول يوم على إقامة جماعة)(٥) .

---

(١) تذكرة دعاة الإسلام ص ١٩ .
(٢) المؤتمر الخامس ص ١٧ .
(٣) معالم فى الطريق ص ٩ .
(٤) جند الله ثقافة ص ٣١ .
(٥) ماذا يعنى انتمائى ص ١٠٣ .

ويقول الأستاذ محمد أحمد الراشد : (إن نقطة البدء الآن هى نقطة البدء من أول عهد الرسول ﷺ ، أن يوجد فى بقعة من الأرض أناس يدينون دين الحق)[1] .

فإذا وضحت هذه الحقيقة من سيرة الرسول ﷺ ، وانتصب ذلك الواجب أمام الدعاة إلى الله تعالى ، فعلى كل مسلم أحس بواجب الدعوة الإسلامية عليه ، وأراد أن يتحرك لهذه الدعوة ، يجب أن تكون الخطوة الأولى فى حياته هى خطوة الرسول ﷺ الأولى ، ألا وهى البحث عن الجماعة ، أو إيجادها لتعينه على ذلك الواجب ، ذى الحمل الثقيل الواسع التبعات ، قال تعالى : ﴿ إنَّا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾[2] .

---

(١) المنطلق ص ١٦٥ .

(٢) المزمل آية : ٥ .

المبحث الثانى

دعاة الإسلام وخطوة الرسول الأولى

أقسام الدعاة بالنسبة لهذه الخطوة :

بعد أن اتضح أن خطوة الرسول ﷺ الأولى فى دعوته بمكة المكرمة كانت هى إيجاد الجماعة التى تحمل مهام الدعوة وتنشر تعاليمها من بعده ، واستبان وجوب التزام الدعاة الإسلاميين بهذه الخطوة ، والمحافظة عليها ، يحسن أن أبين هنا أن الدعاة الإسلاميين اليوم ، وفى غياب جماعة المسلمين بالنسبة لهذه الخطوة النبوية قسمان :

(أ) دعاة من أرض توجد بها جماعة أو جماعات إسلامية ، فهذا القسم له حكمه الخاص به . بالنسبة لخطوة الرسول الأولى التى هى إيجاد الجماعة .

(ب) دعاة من أرض لا توجد بها جماعة تدعو إلى الإسلام أصلا ، وهذا القسم له حكم مستقل عن الأول أيضاً .

أولا : دعاة من أرض بها جماعة أو جماعات إسلامية :

(أ) واجبهم إذا وجد فى البلد جماعة واحدة :

إن الدعاة الذين توجد فى بلادهم جماعة أو جماعات تدعو إلى الإسلام لا يحق لهم بحال من الأحوال تأسيس جماعة جديدة فى تلك البلاد ، لأن ذلك يعنى أن البلاد ستتحول إلى جماعات بعدد الدعاة من أهلها ، ثم تدخل بعد ذلك فى صراع واختلاف وشقاق لا حصر له ، وهذه النتائج من الصراعات والاختلافات تصطدم مع قواعد الاعتصام ونبذ الشقاق والاختلاف بين المسلمين ، والمحافظة على أخوة المؤمنين ووحدتهم فى الدين الإسلامى ، والذى

أسست الجماعة فى الأصل لحمل دعوته ونشرها بين الناس ، ولكن الذى يجب عليهم هو الانخراط فى الجماعة الموجودة فى البلاد والتى سبقوا إلى تأسيسها ، ثم محاولة إصلاح ما يلاحظونه من نقص وهم داخل الجماعة ، وكل موقف غير الانضمام إلى تلك الجماعة فهو موقف سلبى يجب أن يترفع عنه الدعاة إلى الله تعالى ، هذا إذا كانت جماعة واحدة ، أما إذا كانت فى البلاد عدد من الجماعات فإن الحكم يختلف .

(ب) واجبهم إذا وجد فى البلد عدد من الجماعات :

أما إذا كان فى البلاد عدد من الجماعات ، الداعية إلى الإسلام فموقف الدعاة إلى الله هو أن يقيسوا مبادئ وأفكار تلك الجماعات الموجودة بميزان الإسلام الحنيف ، لينظر أى تلك الجماعات أقرب إلى الإسلام فى مبادئها ، وأفكارها ، فتكون هى الجماعة التى يجب أن ينخرط الدعاة إلى الإسلام فى صفها ، ثم يحاولوا ضم باقى الجماعات إليها ، إن تيسر ذلك ، لأن فى ضمها قطعا لدابر الخلافات بينها ، وتوحيدا لجهة الدعوة أمام أعدائها .

وقبل الدخول فى معرفة مبادئ وأفكار تلك الجماعات – من حيث القرب من الإسلام أو البعد عنه – على الدعاة ملاحظة ما يلى :

١ – ملاحظة ماهية الأمور التى تمثل النقص فى تلك الجماعات ، هل هى من أصول الدين أو من فروعه ؟ فإن كانت من أصول الدين فلا وفاق مع الجماعة التى فيها ذلك النقص ، والواجب إرشاد تلك الجماعة إلى نقصها دون الانخراط فى صف تلك الجماعة .

وأما إذا كان النقص فى فروع الدين فيجب أن لا يحول ذلك النقص بين الدعاة وبين الانخراط فى صف تلك الجماعة ، بل الواجب الانخراط فى الجماعة ومحاولة إصلاح ذلك النقص الفرعى من داخل الجماعة .

٢ – ويلاحظ أنه إذا اجتمعت جماعتان فى النقص فى الفروع تقدم الجماعة الأقل نقصا على الأكثر نقصا .

٣ - ملاحظة أن الجماعات تقوم فى مجموعها على أفراد من جنس البشر ، تنطبق عليهم قاعدة الخطأ البشرى ، والضعف البشرى ، وعليه فإن كان النقص فى تلك الجماعات نتيجة لاجتهاد بشرى ، فيجب أن لا يحول ذلك النقص بين تلك الجماعة التى فيها ذلك النقص ، ووواجب أولئك الدعاة الانضمام إليها أيضاً .

٤ - وخلاصة هذه النقطة أن البلاد الإسلامية منها ما يوجد به جماعة أو جماعات تدعو إلى الإسلام ، فعلى الداعية أن ينخرط فى أقربها إلى الإسلام .

مع مراعاة حقيقة هى أن كل البلاد الإسلامية لاتخلو من خير وهذا الخير فيه من الدخن مافيه ، وعلى الداعية الإسلامى الماهر محاولة تنقية ذلك الدخن ، وهذا الدخن لايخلو من قصور بشرى ، لأن الدين الإسلامى منزه عن الدخن ، وإنما جاء الدخن ممن يحمل ذلك الدين من البشر ، وهؤلاء البشر فيهم من القصور والضعف البشرى الكثير ، وعلى الداعية الذكى أن يتقرب إلى هؤلاء البشر بالحكمة ليصل إلى قلوبهم ، ثم يبدأ التغيير بعد ذلك . هذا مع ملاحظة ما قرر من قواعد تقدمت الإشارة إليها .

ثانيا : دعاة من أرض لا توجد بها جماعة إسلامية :

فهؤلاء واجبهم الأول تأسيس الجماعة وسنكتب لهم معالم من سيرة الرسول ﷺ عندما بعث فى مكة وأسس فيها جماعة حملت هذا الدين من بعده إلى العالمين ، وعلى هؤلاء الدعاة أن يدركوا أن كل خطوة فى حياة دعوتهم لا تؤدى إلى تأسيس أو تقوية بناء الجماعة فهى سلبية ، وأنهم يسيرون على غير نهج الرسول ﷺ فى دعوته ، وهو النهج الذى نزهه الله تعالى عن القصور وعصمه من الخطأ وأن الشارع ألزمهم وأوجب عليهم السير على نهجه ﷺ ، ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾[١] .

---

(١) الأحزاب آية : ٢١ .

الفصل الثالث

معالم من سيرة الرسول فى بناء الجماعة

وفيه ستة مباحث :

المعلم الأول : نشره لمبادىء الدعوة .

المعلم الثانى : التكوين على الدعوة .

المعلم الثالث : المجابهة المسلحة .

المعلم الرابع : السرية فى بناء الجماعة .

المعلم الخامس : الصبر على الأذى .

المعلم السادس : الإبعاد عن ساحة المعركة .

المبحث الأول

فى المعلم الأول من سيرة الرسول

وهو نشره لمبادئ الدعـوة

١ ــ الطرق التى سلكها فى النشر :

والمعلم الأول فى حياته ﷺ فى بناء الجماعة نشره لمبادئ الدعوة وتعاليمها ، والطريق إلى نشر المبادئ والتعاليم الإسلامية هي إخبار الناس بهذه الأفكار والمبادئ شيئا فشيئا ، وبحسب أهمية تلك المبادئ والأفكار فى الدعوة ، وبحسب اتساع مفاهيم أولئك الناس وقدرة عقولهم على الإدراك والاستيعاب .

وكان شعار هذا المعلم قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن .... الآية﴾(١) .

ولقد سلك رسول الله ﷺ فى هذه المرحلة — التى سميناها إخبار الناس وإطلاعهم على مبادئ وأفكار الدعوة الجديدة ، شيئا فشيئا ، بحسب أهميتها فى الدعوة ، وبحسب قدرة عقول أولئك الناس على الاستيعاب والتطبيق لهذه المبادئ والأفكار طريقين :

(أ) الطريق الأول : الاتصال الفردي :

وهو الذى يسميه مؤرخو السيرة الشريفة المرحلة السرية فى الدعوة ، وخلاصة هذه الطريق أنه كان عليه الصلاة والسلام يأتى إلى من يثق به من أهله

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

وأصدقائه فيطلعه على خبره على انفراد ، ثم يطلب منه الموافقة عليه وأن يكتم ذلك الاتصال مطلقا ، سواء وافق عليه أو لم يوافق ، حرصا منه عليه الصلاة والسلام أن لا تضرب الدعوة فى مهدها والشواهد على هذا الطريق كثيرة منها :

١ - عرضه ﷺ خبره على السيدة خديجة زوجه ﷺ كما جاء فى صحيح البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها من حديث طويل : « ..... فقال لخديجة وأخبرها الخبر .... الحديث »[١] . وقال شارح بهجة المحافل : (وممن أسلم أولا خديجة أى لما مر أولا فى ابتداء الوحى من رجوعه ﷺ إليها وقوله لها زملونى زملونى)[٢] أ هـ .

وقال ابن هشام تحت عنوان : (إسلام خديجة رضى الله عنها) : (وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله وآزرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن نبيه)[٣] .

٢ - ومن ذلك عرضه ﷺ خبره على ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه كما جاء فى سيرة ابن إسحاق :

قال : (ثم إن علي بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان ، فقال على : ما هذا يامحمد ؟ فقال النبى ﷺ دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته .... فقال له : على هذا أمر ... فلست بقاض أمراً حتى أحدث أباطالب ..... فقال له الرسول ﷺ : ياعلى إذا لم تسلم فاكتم)[٤] .

وعن ابن هشام قال : قال ابن إسحاق : (ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : على بن أبى طالب

---

(١) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها ٥/١ ومسلم ١٣٩/١ وأحمد ٣٩/٣ ، ٢٢٣/٦ ، وانظر أيضا سيرة ابن هشام ٢٣٧/١ - ٢٣٨ .
(٢) بهجة المحافل ٧٣/١ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ .
(٤) كتاب السير والمغازى لمحمد بن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ١٣٧ .

رضى الله عنه وهو يومئذ ابن عشر سنين)[1] .

وقال ابن كثير : (وكان على يكتم إيمانه)[2] . وقال صاحب عيون الأثر : (إن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه فيصليان فيها)[3] .

وتشتد حاجة الدعوة إلى سلوك هذه الطريق فى مرحلتين :

الأولى : فى ابتداء الدعوة وتأسيس الجماعة .

والثانية : عند منع السلطة الحاكمة لرجال الدعوة من مزاولة نشاط الدعوة علنا ومن دروس عامة .

(ب) الطريق الثانى : الاتصال العام :

وهو الذى يسميه مؤرخو السيرة المطهرة مرحلة الجهر بالدعوة وخلاصة هذه الطريق : أن تستعمل الدعوة كل وسائل الإعلام فى الوقت الحاضر ، من إذاعة وصحافة وتلفاز وكتب وخطب ومحاضرات وندوات ، لنشر أفكار الدعوة ومبادئها فى الناس على مختلف طبقاتهم .

وقد سلك الرسول ﷺ فى هذه الطريق عدة وسائل لإيصال دعوته إلى الناس منها :

(أ) جمعه ﷺ الناس على طعام فى بيته ثم إخبارهم بما عندة من مبادئ الدعوة .

كما جاء فى مسند الإمام أحمد عن على بن أبى طالب قال : (جمع رسول الله ﷺ أو دعا رسول الله ﷺ بنى عبدالمطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجزعة

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٤٥ .

(٢) البداية ٧/٢٢٤ .

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس ١/٩٣ .

ويشرب الفرقة قال : فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وقال : وبقى الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا بغمر[1] فشربوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب فقال يابنى عبدالمطلب إنى بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ؟ قال : فلم يقم إليه أحد وكنت أصغر القوم . قال : فقال : اجلس قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لى اجلس حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى)[2] .

(ب) جمعه ﷺ الناس فى أماكن مختلفة ثم تبليغهم رسالة ربه :

كما روى البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « لما نزلت : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : ياصباحاه . فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه . فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى . قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... الحديث »[3] .

(جـ) ذهابه إلى أماكن تجمع الناس وتبليغهم دعوة الله تعالى :

أخرج أحمد عن ربيعة الديلى وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »[4] . وقال ابن إسحاق : (فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبى مرسل)[5] .

---

(١) قال فى الوسيط : الغمر القدح الذى يشرب به الناس ٦٦٨/٢ .

(٢) مسند أحمد تحقيق شاكر (٣٥٢/٢) وقال شاكر : إسناده صحيح والحديث نقله ابن كثير (٢٤٦/٦ - ٢٤٧) وهو أيضا فى الزوائد (٣٠٢/٨) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . وهو الثابت فى الأصول ومجمع الزوائد . أ . هـ . وانظر البداية ٣٩/٣ .

(٣) أخرجه البخارى ٢٢١/٦ ، وهو فى الفتح ٧٣٧/٨ ، مسلم ١٩٤/١ ، وأحمد ٢٨١/١ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٩٢/٣ ، وانظر أيضا البداية ٤١/٣ وابن هشام ٤٢٢/١ - ٤٢٩ ، وعيون الأثر ١٦٢/١ .

(٥) سيرة ابن هشام ٤٢٢/١

وقال صاحب بهجة المحافل : (اجتهد رسول الله ﷺ فى عرض نفسه على القبائل فى مجامعهم فى المواسم منى وعرفات ومجنة وذى المجاز وغيرهم)[1]

(د) ارتحاله إلى البلدان لتبليغ الدعوة :

كما جاء عن ابن إسحاق قوله : (لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف ....)الحديث[2] .

وكما جاء بنحوه عن عائشة رضى الله عنها قالت : (يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ...) الحديث[3] .

(هـ) كتاباته ﷺ إلى رؤساء القبائل وملوك الأقاليم يدعوهم إلى الله تعالى :

قال صاحب بهجة المحافل : (جهز رسول ﷺ كتبه إلى ملوك الأقاليم الجبابرة يرغبهم ويرهبهم ، فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ، وعبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى ، وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وصلت بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى ومما اشتهر من ذلك واتفق عليه الصحيحان كتابه إلى هرقل وهوقيصر)[4] كما جاء ذلك فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما من حديث أبى سفيان مع هرقل وفيه نص رسالة رسول الله ﷺ وهى « بسم الله الرحمن الرحيم .. فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ..... » الحديث[5].

---

(١) بهجة المحافل ١٢٧/١ ، وانظر أيضا عيون الأثر ١٥٢/١ والمواهب اللدنية ٣٠٩/١ ، والبداية ١٣٨/٣ .

(٢) السيرة لابن هشام (٤١٩/١) ، المواهب اللدنية (٣٠٥/١) البداية (١٣٥/٣) .

(٣) تقدم تخريجه فى المبحث الثالث من هذا الفصل ص (١٥٤) .

(٤) بهجة المحافل (٣٣٦/١) .

(٥) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها ١٦/١٠ وهو فى الفتح ٣١/١ - ٣٣ وفى مسلم ١٣٩٣/٣ - ١٣٩٧ وأحمد ٢٦٣/١ .

٢ - الجانب التنظيمي فى نشر الدعوة :

بعد أن وضحت الطريقين اللتين سلكهما الرسول ﷺ فى نشر دعوته ، وهما الاتصال الفردى ، والاتصال العام - أو الجماعى ، ووضحت الوسائل إلى هذين الطريقين .

أبين الآن الجانب التنظيمى ، أو خطة العمل لهذا النشر ، وهى تتلخص فيما يلى :

(أ) أن يحدد الداعية إلى الله ماهية المبادئ التى سيبدأ بنشرها بحسب أهميتها فى الدعوة فالرسول ﷺ عندما أوحى الله تعالى إليه أنه نبى الله تعالى ورسوله . حدد الله تعالى المبدأ الأول والأهم لدعوته ، وهو المبدأ الأول لكافة الرهط الكريم من الأنبياء والمرسلين ، هذا المبدأ هو : ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ .

قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنَّه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾(٢) .

(ب) يتفق مع من أجابه ووافقه على المبدأ الذى حدده على أن يأتى كل واحد منهما بواحد موافق على دعوتهما التى اتفقا عليها فى فترة زمنية معينة ، وعلى هذا سيصبح الاثنان أربعة ، بعد تلك الفترة من الزمن ، وهكذا سيصبح الأربعة ثمانية والثمانية ستة عشر ..... وسنوضح هذه النظرية التنظيمية بالنموذج التالى :

١ - ليكن المبدأ تعليم الناس فاتحة الكتاب مثلا ، أو التركيز على أهمية العمل الجماعى ، أو الحث على الصلاة .. .

---

(١) النحل آية : ٣٦ . وانظر آيات الأعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ . وهود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ .
(٢) الأنبياء آية : ٢٥ .

٢ – الزمن الذى سيستغرقه تنفيذ ذلك المبدأ ساعة واحدة من كل يوم لمدة شهر كامل .

ولنبدأ بداعية واحد قرر أن يقوم بذلك العمل ويأتى بآخر بعد شهر :

الزمن المتفق عليه	العدد المتكرر	الموضوع المدروس
الشهر الأول من السنة الأولى	٢	كيف تصلى
الشهر الثانى من السنة الأولى	٤	
الشهر الثالث من السنة الأولى	٨	
الشهر ٤ من السنة الأولى	١٦	
الشهر ٥ من السنة الأولى	٣٢	
الشهر ٦ من السنة الأولى	٦٤	
الشهر ٧ من السنة الأولى	١٢٨	
الشهر ٨ من السنة الأولى	٢٥٦	
الشهر ٩ من السنة الأولى	٥١٢	
الشهر ١٠ من السنة الأولى	١٠٢٤	
الشهر ١١ من السنة الأولى	٢٠٤٨	
الشهر ١٢ من السنة الأولى	٤٠٩٦	
الشهر الأول من السنة الثانية	٨١٩٢	
الشهر ٢ من السنة الثانية	١٦٣٩٤	
الشهر ٣ من السنة الثانية	٣٦٧٦٨	
الشهر ٤ من السنة الثانية	٧٧٥٣٦	
الشهر ٥ من السنة الثانية	١٥٥٠٧٢	
الشهر ٦ من السنة الثانية	٣١٠١٤٤	
الشهر ٧ من السنة الثانية	٦٢٠٢٨٨	
الشهر ٨ من السنة الثانية	١٢٤٠٥٧٦	
الشهر ٩ من السنة الثانية	٢٤٨١١٥٢	
الشهر ١٠ من السنة الثانية	٤٩٦٢٣٠٤	
الشهر ١١ من السنة الثانية	٩٩٢٤٦٠٨	
الشهر ١٢ من السنة الثانية	١٩,٨٤٩,٢١٦	

ملاحظة : فى حالة الرغبة فى زيادة المواضيع المدروسة يزاد الزمن بحيث يصبح شهرين ، شهر لتعليم كيف يصلى المسلم مثلا ، والشهر الثانى كيف يقرأ القرآن .... وإلى آخره .

من هذا الجدول التوضيحى تدرك مايلى :

(أ) أن جماعة من الناس تعدادها (١٩,٨٤٩,٢٦١) قد تشربت مبدأ معينا أو عملا معينا فى زمن قصير قدره سنتان .

(ب) وتلمس أن النظرية أكثر واقعية من حيث الإمكان فالداعية الذى لايعطى ساعة واحدة من يومه لدعوته ليس داعية بحق ، وداعية لا يستطيع أن يخرج تلميذا حافظا لفاتحة الكتاب بعد ثلاثين ساعة من الزمن – هذا الزمن طوله شهر كامل – ليس داعية بحق .

(جـ) ثم تدرك أن جماعة هذا عددها ستفعل أشياء كثيرة وكثيرة جدا .

(د) وأن زمنا تكونت فيه هذه الجماعة الكثيرة العدد لزمن قصير وقصير جدا بمقياس بناء الجماعات ، ولكن فى الحقيقة أن همم الرجال إذا نظمت تفعل أكثر من ذلك .

فإذا أدركت ذلك كله فاعلم أن هذا العدد لهذه الجماعة فى الشهر الأول من السنة الثالثة سيصبح ٣٩,٦٨٩,٤٣٢ ، وفى الشهر الثانى من السنة الثالثة سيصبح ٧٩,٣٩٦,٤٣٢ ، وهكذا تتضاعف الأرقام تضاعفا هائلا كلما تقدم الزمن .

فاستعن بالله وتوكل عليه .

المبحث الثانى
فى المعلم الثانى من سيرة الرسول
وهو التكوين على الدعوة

١ - مفهوم معلم التكوين :

المعلم الثانى من سيرة الرسول ﷺ فى بناء جماعته التكوين على الدعوة ، وهو الذى سينتج عن المعلم الأول من سيرة الرسول ﷺ سواء فى الاتصال الفردى ، أو الاتصال الجماعى ، وتفصيل ذلك أنك تلاحظ أن ناسا ممن نشرت فيهم تعاليم الدعوة وافقوا عليها فآمنوا بالدعوة واستجابوا لها ، وناسا منهم لم يوافقوا على الدعوة ورفضوها .

وأقرب مثال على ذلك عرض الرسول ﷺ دعوته على ابن عمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فوافق عليها واستجاب[1] لها ، وعرضه ﷺ دعوته على عمه أبى طالب فلم يوافق عليها ورفضها[2] .

هذا فى مرحلة الاتصال الفردى (أى مرحلة الدعوة السرية) .

ومن المرحلية الجهرية وقوفه ﷺ على الصفا ومناداته لبطون قريش وعرضه عليه السلام دعوته عليهم ، فمنهم من آمن بدعوته ومنهم من قال تبا لك وانصرف[3] .

فالمعلم الثانى من سيرة الرسول ﷺ خاص بالقسم الذى وافق على الدعوة

---

(١) انظر ابن اسحاق بتحقيق سهيل زكار ١٣٧ فى قصة إسلام على بن أبى طالب .
(٢) انظر ابن هشام ص ٢٤٧/١ فى تفصيل عرضه ﷺ الإسلام على عمه أبى طالب .
(٣) انظر فتح البارى ٧٣٧/٨ فى تفصيل وقوفه على الصفا ﷺ .

من المعلم الأول (الذى هو نشر الدعوة) واستجاب لها وآمن بها ، فمفهوم هذا المعلم إذن هو تكوين ذلك المستجيب للدعوة على أسس الدعوة ، وصبغه بمحتواها وأفكارها وتعاليمها ، وهذا ما لا يمكن أن يكون فى نطاق المعلم الأول الذى هو النشر والإعلام بل لا يمكن أن يكون إلا فى نطاق التربية والتعليم ، والتربية والتعليم لا يمكن أن تكون إلا فى نطاق المعلم الثانى وهو معلم التكوين .

وأما القسم الذى رفض الدعوة ولم يستجب لها فمكانه أن يبقى فى المعلم الأول ؛ وصلة الدعوة به التبليغ والإنذار ، حتى يفتح الرب سبحانه وتعالى ويأذن بمجابهته وإخضاعه للدعوة الإسلامية .

﴿ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أُرسلتُ بِهِ وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾[1] .

قال الإمام الطبرى عند تفسير هذه الآية (يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ وإن كان طائفة منكم ...... ﴾ وإن كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا ، يقول صدقوا ﴿ ... بالذى أرسلت به ... ﴾ من إخلاص العبادة لله ... فاتبعونى على ذلك ﴿ .... وطائفة لم يؤمنوا .... ﴾ يقول جماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه .

﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا ... ﴾ فهو خير من يفصل ..)[2] .

٢ - نموذج الحركة فى هذا المعلم :

ولتوضيح ما قلنا فى هذه النقطة قمنا برسم توضيحى[3] له تضمن الكرة الأرضية ، وموقع مكة منها ، وكيف بدأ الرسول ﷺ المعلم الأول ، ثم انقسام الناس إلى موافق على دعوته ، وغير موافق عليها ، ثم كيف بدأ المعلم الثانى مع القسم الموافق وماذا فعل مع القسم الذى لم يوافق على دعوته .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٨٧ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٨/٢٤٠ .

(٣) انظر الرسم بصفحة/ ٢٠٩ .

والمعلم الثانى من سيرته عليه الصلاة والسلام مكمل للمعلم الأول وملتحم به ، فهما معلمان يتمم أحدهما الآخر . فالذين يقفون عند الخطوة الأولى من الدعوة والتى هى التبليغ والإخبار ، ولم ينتقلوا بمن وافقهم على دعوتهم إلى الخطوة الثانية ، التى هى البناء والتكوين ، أناس يسيرون بدعوتهم على غير نهج الرسول ﷺ فى دعوته .

إن الذين اكتفوا فى دعوتهم بالخطب على المنابر فى المساجد والمحاضرات والندوات فى المدارس والجامعات ، ولم ينقلوا من وافقهم على ما جاء فى خطبهم ومحاضراتهم إلى خطوة تكوينية كمرحلة ثانية ، مثلهم كالباسط يديه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه لأنه لم يرفع يديه بالماء إلى فيه كمرحلة ثانية للوصول إلى الشرب .

فكما أنه لابد أن يبلغهم ما عنده من دعوة يجب عليه أن يربيهم على عقائد وأخلاقيات تلك الدعوة ويكونهم عليها ، وإلا فلا يمكن أن تصل دعوته إلى غايتها المرجوة .

وإذا كان للمعلم الأول وسائله وخطواته فإن لهذا المعلم أهدافه وأساليبه كذلك .

٣ - شعار هذه المرحلة :

ومن أهم شعارات ذلك المعلم هو توجيه الرب سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ والدعاة من بعده ذلك التوجيه المتمثل فى قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الَّذِين يدعون ربَّهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان أمره فرطا ﴾[1] .

فالآية الكريمة تأمر النبى ﷺ بأن يصبر على تقصير وأخطاء المستجيبين لدعوته ، وأن يصبر على كثرة تساؤلاتهم خاصة إن كانت خاطئة ، وأن يصبر على

---

(١) الكهف اية : ٢٨ .

ترددهم فى قبول التوجيهات ، وأن يجتهد فى تصبيرهم على فتنة أعداء الدعوة ، وأن يوضح لهم طبيعة طريق الدعوة ، وأنها شاقة ، وأن لا يغرر به مغرر ليبعده عنهم ، وأن لا يسمع فيهم منتقصا ، ولا يطيع فيهم متكبراً أغفل الله قلبه عن حقيقة الأمور وجوهرها .

٤ - أهداف تلك المرحلة :

ومن أعظم أهداف هذا المعلم ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ هو الَّذِى بعث فى الأمِّيين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾(١) .

فالآية تبين أن من أهم أهداف هذا المعلم تحويل عقل الأمى من أميته إلى العلم والحكمة والمعرفة ، وتحويل روحه وسلوكه من الضلال والغى إلى الطهر والتزكية ، وهذا لا يكون إلا عن طريق التربية والتعليم اللذين هما محور معلم التكوين .

٥ - الجانب التنظيمى فى هذا المعلم :

والجانب التنظيمى فى المعلم الثانى من سيرة الرسول ﷺ فى بناء الجماعة الذى هو التكوين ، قد يأتى دوره فى مرحلة الاتصال الفردى فى المعلم الأول ، وهى المرحلة السرية ، وقد يأتى وقته أو دوره فى مرحلة الاتصال الجماعى من المعلم الأول ، أو يأتى وقته فى كلا المرحلتين .

ولقد سلك الرسول ﷺ أسلوبا خاصا فى كل حال من الأحوال الثلاثة .

(أ) إذا جاء وقته فى المرحلة السرية :

فإذا كان وقت ذلك المعلم فى مرحلة الاتصال الفردى وهى المرحلة

---

(١) الجمعة آية : ٢ .

السرية ، فقد سلك الرسول ﷺ طريق توزيع المستجيبين للدعوة والذين هم فى معلم التكوين إلى خلايا صغيرة يتراوح عدد أفرادها بين الثلاثة إلى الخمسة ، تجتمع تلك الخلايا يوميا أو دوريا لتتكون فى أماكن مختلفة وأزمنة مختلفة ، ومن الأمثلة على ذلك من سيرة الرسول ﷺ :

١ - ما قاله ابن اسحاق « كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم أهريق فى الإسلام »[1] .

فهذا قول صريح فى توزيع الرسول ﷺ أفراد الدعوة إلى خلايا صغيرة وفى أماكن مختلفة .

٢ - وكذلك من قصة خروجه ﷺ مع على بن أبى طالب إلى شعاب مكة يصليان فيها . قال ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها[2] .

٣ - ومن قصة إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ابن اسحاق من حديث طويل : « فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها مطلع سورة طه يقرئهما إياها ... » ففى هاتين القصتين أيضا دليل على ما نقول وهو توزيع الرسول ﷺ لأصحابه فى تلك المرحلة العصيبة من حياته ﷺ إلى خلايا صغيرة وهى مرحلة سطوة الباطل عليهم وسرية الدعوة نتيجة لتلك السطوة الطاغية .

---

(١) السيرة لابن هشام ٢٦٨/١ ، وانظر بهجة المحافل وشرحه ٧٦/١ والروض الأنف للسهيلى ٤٣/٣ .

(٢) السيرة لابن هشام ٢٤٦/١ وكذا فى عيون الأثر لابن سيد الناس ٩٣/١ .

٤ – وكذلك من قصة(1) إسلام على رضى الله عنه عندما جاء ووجد الرسول ﷺ يصلى مع زوجه خديجة وكانا بصلاتهما معا يمثلان خلية من خلايا الدعوة المنتشرة فى مكة حينئذ ، وهى مرحلة بارزة فى الدعوة الإسلامية فى المرحلة المكية بقيادة الرسول ﷺ ، يتوجب على الدعاة فى كل زمان ومكان أن يقفوا عندها طويلا ، وعلى وجه الخصوص فى عصرنا الحاضر الذى بلغت فيه أجهزة التجسس على الإسلام والمسلمين أعلى ما يمكن أن يتصوره عقل بشرى من حيث العدد والعدة ، والخبث فى التخطيط ، والمهارة فى الأساليب والدقة فى التنفيذ .

(ب) إذا جاء وقته فى المرحلة العلنية :

وأما إذا كان وقت ذلك المعلم هو التكوين فى وقت الاتصال العام ـــ أى مرحلة الجهر بالدعوة ـــ فقد سلك الرسول ﷺ طرقا تختلف عن الطرق التى سلكها فى المرحلة السرية ، من هذه الطرق :

١ – الحلقات الجماعية الكبيرة .

٢ – والرحلات الجماعية الخاصة .

٣ ـــ وكذا تهيئة الجو العام للدعوة بالخطب والمواعظ العامة .

فقد كانت دار الأرقم ابن أبى الأرقم من أكبر حلقات التكوين فى حياة الرسول ﷺ حيث كان يجتمع فيها ما يقارب الأربعين ما بين رجل وامرأة للاستماع لدروسه

(1) جاء فى السير والمغازى :
(نا أحمد : حدثنى يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن على بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان فقال على : ما هذا يامحمد ؟ فقال النبى ﷺ : دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى ، فقال له على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : ياعلى إذا لم تسلم فاكتم ، فمكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب على الإسلام فأصبح غاديا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال : ما عرضت على يامحمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد ففعل على وأسلم ومكث على يأتيه على خوف من أبى طالب وكتم على إسلامه ولم يظهر به) أ . هـ . السير والمغازى ص ١٣٧ لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار .

التكوينية الخاصة ، كما ذكر ذلك ابن إسحاق من حديث طويل قال : « فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء »[1] .

وكذلك أسلوب الرحلات الجماعية الذى سلكه الرسول ﷺ فى تلك المرحلة التكوينية ، فقد اشتهر منها هجرتا الحبشة الأولى[2] ، والثانية وهما غنيتان عن التعريف فقد كان الصحابة رضى الله عنهم فيها يبتعدون عن الجو الشركى ليخلو لهم جو البيئة الصالحة ، وتدارس القرآن وإقامة الصلوات ... وهما أسلوبان يتوجب على الداعية الوقوف عندهما للوصول بالدعوة وحملتها إلى ما وصل الرسول ﷺ بالصحابة رضوان الله عليهم إليه من إيمان وصبر وشجاعة وصلاح ونجاح .

أما أسلوب الوعظ والإرشاد فقد كان شغل الرسول الشاغل سحابة نهاره كما أشرنا إلى ذلك سابقا[3] .

■ ومما يدخل تحت هذا المعلم الاهتمام بمناهج التربية والتعليم ، فعندما يتولى ذلك الدعاة إلى الله يمكن أن يخرج جيل إسلامى من هذه المدارس والجامعات يحمل الدعوة قولا وعملا . وينشرها فى العالمين .

(ج) إذا جاء وقته فى المرحلتين السرية والعلنية :

أما إذا جاء وقت هذا المعلم فى كلتا المرحلتين الاتصال الفردى والاتصال الجماعى فيمكن للداعية تطبيق كل الأساليب الواردة فى المرحلتين الاتصال الفردى والاتصال الجماعى .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٤٣/١) وهى مبسوطة فى مغازى ابن اسحاق بتحقيق زكار ١٨١ – ١٨٥ .

(٢) انظر تفصيل قصتى الهجرتين فى البداية من ٣/ ص ٦٦ – ٨٤ ، وكذلك عيون الأثر لابن سيد الناس ١١٥/١ .

(٣) مثل وقوفه ﷺ على الصفا ، وذهابه إلى أماكن تجمعات الناس ولقاءاتهم وعرضه دعوته عليهم .

وهذا واضح تمام الوضوح فى سيرة الرسول ﷺ فقد كان للدعوة فى مرحلتها الجهرية واجهتان :

الأولى : علنية ومعروفة للناس وهى تمثل الأعلام من رجالات قريش الذين أسلموا ولم تخش الدعوة عليهم سطوة قريش ، لقوة قبائلهم ، ومتانة سندهم من قريش ، فكانت تلك الواجهة تعلن للإسلام وتدعو للعمل به والدعوة إليه ، فكان لها عملها العلنى ومنهاجها العلنى . وأقرب مثال على ذلك أبوبكر الصديق(1) فمن اللحظة الأولى لإسلامه قام بدعوة أصدقائه إلى الإسلام علنا ، فأسلم على يده الكثير وكان رضى الله عنه يتولى الدفاع عن مستضعفى المسلمين بالعتق وغيره(2) .

الثانية : سرية وغير علنية للناس – أى أنها مستخفية بإسلامها وهى تمثل ضعاف المسلمين ممن لا سند لهم يدافع عنهم أمام سطوة قريش وجبروتها ، فكان عملهم كله سريا ، وكانت مناهجهم كلها سرية ، والأدلة على ذلك بدهية لكل متصفح لسيرة رسول الله ﷺ المكية أدنى تصفح ، وهذه نقطة مهمة أيضاً تستوجب توقف الدعاة إلى الإسلام عندها ، وأخذها بعين الاعتبار ففى قصة خباب(3) حين دهم عمر منزل أخته وختنه أبلغ دليل على هذه الواجهة السرية ، حيث اختفى خباب من عمر رضى الله عنهما وما كان اختفاؤه عن جبن وعدم رغبة فى الشهادة لو حصلت ، ولكن لأن عمله كان فى منتهى السرية وكذا أمره ﷺ لأبى ذر(4) والطفيل بن عمرو الدوسى بمغادرة مكة بعدإسلامهمامباشرة دون أن يعلم بهما أحد وأن يأتياه عندما يعلما بانتصاره ﷺ .

---

(1) انظر قصة إسلام الصديق رضى الله عنه والذين أسلموا معه فى سيرة ابن هشام ٢٤٩/١ – ٢٥٢ وهى فى بهجة المحافل ٧٥/١ وكذا فى فتح البارى ١٧٠/٧ .

(2) انظر قصة الذين أعتقهم أبو بكر الصديق من مستضعفى المسلمين ٣١٨/١ من سيرة ابن هشام .

(3) انظر تفصيل قصة خباب بن الأرت فى سيرة ابن هشام ٣٤٢/١ ، وهى فى عيون الأثر ١٢١/١ – ١٢٤ وفى الفتح ١٧٧/٧ – ١٨١ .

(4) انظر تفصيل قصة إسلام أبى ذر الغفارى فى فتح البارى ١١٧٣/٧ – ١١٧٦ وهى فى البداية لابن كثير ٣٤/٣ . وانظر قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فى سيرة ابن هشام ٣٨٢/١ – ٣٨٤ .

المبحث الثالث

فى المعلم الثالث من سيرة الرسول

المجابهة المسلحة لأعداء الدعوة

١ - مكان هذا المعلم من معلمى النشر ، والتكوين ، ومفهومه :

بعد بيان مكانة المعلم الثانى الذى هو التكوين للأفراد المستجيبين على مبادئ الدعوة ، وصبغهم بتعاليمها ، من المعلم الأول الذى هو نشر الدعوة بين الناس ، وبيان أنهما معلمان لا ينفصل بعضهما عن بعض فى عمل الداعية إلى الإسلام ، نشرع فى بيان المعلم الثالث من سيرة الرسول ﷺ فى بناء الجماعة وترسيخ قواعدها ، وبسط سرادقها[1] على هذه الأرض ، وهو المجابهة المسلحة مع المعارضين لهذه الدعوة ، والذين يمثلون العقبات فى نشر تعاليم الإسلام ، وتكوين المستجيبين له على مبادئ الدعوة وتعاليمها ، ومكانة هذا المعلم من المعلمين السابقين .

إن طبيعة معلم النشر كما قلنا سابقا أنه يقسم الناس الذين تتمكن الجماعة من نشر الدعوة فيهم إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : هم المستجيبون لأفكار الدعوة .

والقسم الثانى : هم الذين رفضوا ما جاءت به الدعوة .

فالقسم الأول : هو الذى يختص به المعلم الثانى الذى هو التكوين على الدعوة .

والقسم الثانى : المعارضون للدعوة وهم الذين يختص بهم المعلم الثالث ،

---

(١) السرادق كل ما أحاط بشىء من حائط . انظر المعجم الوسيط ١/٤٢٨ .

الذى هو المجابهة بالقوة لإخضاعهم لسلطان الدعوة ، بعد أن تقام الحجة البيانية عليهم ، فى المعلم الأول الذى هو النشر لأفكار الدعوة وتعاليمها .

فمكانة معلم المجابهة إذن هو تسلم القسم المقابل لقسم معلم التكوين والتصدى له ، إذا أدركنا مما سبق أن الذين يختص بهم معلم التكوين هم المستجيبون للدعوة .

وعلى هذا تكون خلاصة المعالم الثلاثة من سيرة الرسول ﷺ فى بناء الجماعة :

نشر دعوة ، زائد ناس = موافق على الدعوة ، أو غير موافق .

فالموافق يخص معلم التكوين ، **وغير الموافق** يخص معلم المواجهة بالقوة بعد إقامة الحجة .

٢ – المواجهـة فى العهـدين :

ومن خلال النظر فى سيرة الرسول ﷺ نخرج بقسمين رئيسيين لهذه السيرة المباركة .

قسم بدأ من البعثة إلى الهجرة .

والقسم الآخر بدأ من استقرار الرسول ﷺ فى المدينة المنورة إلى أن توفاه الله تعالى .

ومن أبرز معالم قسم ما قبل الهجرة أنه نشر للدعوة ، وتكوين عليها ، ومنع لأى مواجهة ابتداء أو لرد اعتداء ، وكان شعار ذلك القسم قوله تعالى :

﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وذرنى والمكذبين أولى النَّعمة ومهلهم قليلا ﴾[٢] .

---

(١) المدثر آية : ١١ .

(٢) المزمل آية ١١ .

وقوله تعالى : ﴿ كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[1] .

وقوله عليه السلام لآل ياسر « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة »[2] الحديث .

إنه شعار الابتعاد عن ساحة الصدام ، والتفرغ للدعوة ، والتكوين عليها ، وجعل المواجهة فى هذه المرحلة بين رب الدعوة مباشرة ، وأعدائها ، وهذه المهادنة والمسالمة وعدم المواجهة من قبل الجماعة ولو على سبيل الدفاع عن النفس ، لا تعنى أنها صفة أصيلة فى الجماعة الإسلامية ، بل الصفة الأصيلة للجماعة هى التى يمثلها قوله تعالى :

﴿ والَّذِين إذا أصابهم البغىُ هم ينتصرون ﴾[3] .

إنما تعنى أنها صفة تفرضها المراحل التكوينية للدعوات .

إن دعوة لا تكون هذه صفتها وذلك شعارها فى مراحلها التكوينية فهى دعوة مقضى عليها فى مهدها ، ولو كان عدم الالتزام بهذه الصفة ممكنا لأى دعوة فى مرحلتها التكوينية ، لما اتصفت بها الدعوة الإسلامية فى صدرها الأول ، وهى الدعوة المعصومة والموجهة من العليم الخبير ، ولما تحمل الرسول ﷺ وصحابته كل أنواع الأذى والمهانة فى مكة المكرمة ، وهم صابرون ولم يحرك أحد منهم ساكنا ، فى الوقت الذى تهتك أعراض شريفة وتسيل دماء ذكية ، ويشرد رُجال لايمر الذباب على أنوفهم عزة وكرامة ، وأنفة وشهامة .

وهى الصفة التى امتدت إلى القسم الثانى من حياة الرسول ﷺ فيما بعد الهجرة ، ولكنها لم تكن شعار ذلك القسم البارز كما كانت فى القسم الأول من حياته ﷺ ، بل شعار ذلك القسم وصفته البارزة هى قوله تعالى : ﴿ قاتلوهم

---

(١) النساء آية : ٧٧ .

(٢) أخرجه أحمد تحقيق شاكر ٣٤٩/١ وهو عند ابن إسحاق ٢٠٣/١ والحاكم ٣٨٣/٣ - ٣٨٩ ، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة للغزالى ص ١٠٧ (وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى) . وسيرة ابن هشام ٣٢٠/١ وهى فى الروض الأنف ٢٠١/٣ .

(٣) الشورى آية : ٣٩ .

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾[3] .

أما صفة المهادنة والمسالمة فلم تكن ظاهرة ظهورها فى عهد ما قبل الهجرة ، ولكنك تلاحظها كثيرا فى العهد الذى بعد الهجرة ، فمع جبهة اليهود كانت المهادنة ظاهرة فى أول الأمر ، قال تعالى :

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إنَّ الله على كل شئ قدير ﴾[4] .

فالآية صريحة فى أمر الجماعة الإسلامية فى المدينة المنورة بالعفو والصفح عن استفزازات اليهود ، ومصابرتهم حتى يأتى أمر الله تعالى بمواجهتهم .

وكذلك مع جبهة المنافقين كانت المهادنة واضحة كثيرا ، وإلى زمن طويل من العهد المدنى ، وأمثلة تلك المهادنة كثيرة ففى غزوة بنى المصطلق وهى فى السنة السادسة على بعض الروايات حدثت قصة : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ..... الآية ﴾[5] والتى كادت أن تحدث خلافا كبيرا لولا أن تغاضى رسول الله ﷺ عنها ومررها ، كما جاء ذلك فى البخارى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال : « كنا فى غزاة ..... فسكع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار .... فسمع بذلك عبدالله بن أُبَى فقال : فعلوها ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .... .

---

(١) التوبة آية : ١٤ .
(٢) النساء آية : ٩١ .
(٣) الأنفال آية : ٣٩ .
(٤) البقرة آية : ١٠٩ .
(٥) انظر تفاصيل القصة فى سيرة ابن هشام ٢٩١/٢ وهى فى البداية ١٥٧/٤ .

فقام عمر فقال : يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبى ﷺ : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ... »[1] .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال : يانبى الله والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : « أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال وأى صاحب يارسول الله ؟ قال : عبدالله بن أبى . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال يارسول ﷺ ارفق به فو الله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا »[2] .

فهذه القصة وغيرها تدل على امتداد صفة المهادنة إلى العهد المدنى ، وتجعل منها حكما إسلاميا يتكرر كلما برزت علته ، فى أى زمان ومكان ، والجماعة الإسلامية مطالبة بالالتزام بهذه الصفة كلما أحست قيادتها أن المهادنة أكثر مصلحة للجماعة من المواجهة .

والجماعة فى نفس الوقت غير مفرقة بين العهدين المكى والمدنى من حياة الرسول ﷺ لما أسلفنا .

ولأن صفة الجهاد أى المواجهة فى الإسلام لا يعلنها إلا إمام المسلمين بعد أن يتأكد من قوة جيشه واستعداده .

فعليه لا يحق لأى جماعة من المسلمين أن تجابه مادامت لم تصل إلى الحكم ولو الجزء ، ومادامت لم تصل إلى الحكم ، والإمامة ، فهى فى مرحلة العهد المكى ، وعليها أن تلتزم بأحكامه من حيث المهادنة والمسالمة وعدم المواجهة مع الباطل ، بالقوة بل حتى لو وصلت إلى الإمامة وأعلنتها فمن حق الإمام أن يهادن

---

(١) أخرجه البخارى ١٩١/٦ - ١٩٢ وهو فى الفتح ٦٤٨/٨ .

(٢) انظر كامل تفصيل القصة فى سيرة ابن هشام (٢٨٩/٢) وفى البداية والنهاية لابن كثير (١٥٧/٤) .

الجبهة المحاربة إن رأى المصلحة فى ذلك ، لما أوردنا[1] من مهادنة الرسول ﷺ لجبهة المنافقين واليهود فى المدينة فى الوقت الذى كان على رأس دولة تهابها أكثر الجزيرة العربية .

والذى يحق لأى جماعة فعله بعد أن تدرس كل الجوانب المتعلقة به هو حرب العصابات والمناوشات الفردية ، كما هو واضح من سيرة الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة ، فقد كان يناوش قريشا من بعيد بواسطة سرايا صغيرة .

٣ - متى تكــون المواجهــة :

إن تحديد نقطة الانطلاق فى معلم المواجهة مع الباطل خاصية من خصوصيات القيادة العليا فى الجماعة القائمة على الدعوة فى أى زمان ومكان لكونها المالكة لزمام الأمور والعالمة بكل المعلومات التى تعطى الإشارة بذلك .

فهى التى تعلم قدرة الجماعة واستعدادها لهذه المرحلة .

وهى التى تعلم تقديرات إمكانات واستعدادات الجبهة المقابلة .

والجماعة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول ﷺ وتوجيه الرب سبحانه وتعالى وهو الموجه الأعلى للدعوة وقتها ، من مثل قول الرب سبحانه : ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ واصْبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[4] .

ثم استند عليه الصلاة والسلام فى اتخاذه قرار المواجهة فى المدينة المنورة على

---

(١) انظر ص ١٧٧ من البحث نفسه .
(٢) المدثر آية : ١١ .
(٣) المزمل آية : ١٠ - ١١ .
(٤) النساء آية : ٧٧ .

مثل قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ للذين يقاتلون بأنَّهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾[2] .

وبما أن الوحى قد انقطع بموت رسول الله ﷺ إلا أن الشريعة قد اكتملت قبل انقطاع الوحى ولقاء الرسول ﷺ ربه ، فمن خلال سيرة الرسول ﷺ واستطلاع الأحكام الإسلامية فى هذا الجانب ، سنكتب بعض التوجيهات الإسلامية لتحديد نقطة الانطلاق فى المواجهة مع الباطل .

أولا : استقلالية الأرض التى تقف عليها الجماعة :

(أ) مفهوم الاستقلاليــة :

أعنى باستقلالية الأرض التى تقف عليها الجماعة ، أن تكون الجماعة هى صاحبة الأرض التى تقف عليها وتنطلق منها ولها السيطرة عليها ، ففى الوقت الذى لا تتمكن الجماعة من إخضاع الأرض التى سوف تنطلق منها للمواجهة ، ومن إحكام سيطرتها عليها ، ومن أنها مستوفية لكل الشروط المساعدة على المواجهة ، من حيث الاكتفاء الاقتصادى ، وتأمين طرق الاتصال الخارجى ، ولها من وسائل الحماية الطبيعية ما يكفى ، فى الوقت الذى لا تتمكن الجماعة من ذلك كله لا يحق لها أن تحدد ساعة المواجهة مع الباطل ، بل ولا تفكر فيها ، وعليها أن تلتزم بمهادنة ومسالمة العهد المكى من حياة الرسول ﷺ وفى الوقت نفسه تبحث عن الأرض المطلوبة .

(ب) عاقبة تحديد المواجهة قبل امتلاك الأرض :

إن الجماعة التى تحدد المواجهة مع السلطة القابضة على الأرض التى تقف

---

(١) الحج آية : ٣٩ .
(٢) البقرة آية : ٢١٦ .

عليها الجماعة نفسها جماعة تعبث بقوتها وتهلك أفرادها بأقل كلفة وأيسر خسارة لتلك السلطة المهيمنة على تلك الأرض .

وهى جماعة مقضى عليها بالفشل والتقهقر ، أو الهلاك المحقق عند الاستمرار فى المواجهة ، وهى جماعة بعيدة عن النهج النبوى والتوجيه الربانى .

والأمثلة القريبة على فشل ذلك النهج المتعجل الثمرة قبل نضوجها ، قضية شعب إرتيريا مع أثيوبيا ، وقضية مسلمى الفلبين مع حكومة الفلبين وغيرها من القضايا المماثلة . فقضية شعب إرتيريا : هى أن قيادته أدخلته فى مواجهة عسكرية مع حكومة أثيوبيا ، وحكومة أثيوبيا هى القابضة على أرض ذلك الشعب والمسيطرة عليها ، فكانت النتيجة أن قتل وشرد أكثر ذلك الشعب ، وانسحبت تلك القيادة تجر وراءها ذيول الفشل والخسارة .

وكذلك قضية مسلمى الفلبين ، يقتلون جنديا واحداً من جنود الحكومة التى تحكم الأرض التى يقطنها المسلمون ، فتبيد الحكومة الفاجرة قرية أو عددا من قرى المسلمين .

كل ذلك لأن قيادة المسلمين حددت نقطة المواجهة مع تلك الحكومة قبل أن تملك الأرض التى سوف تنطلق منها إلى تلك المواجهة .

(جـ) البحث عن الأرض فى سيرة الرسول ﷺ :

منذ اللحظات الأولى من بعثة الرسول ﷺ وهو يبحث عن الأرض التى تصلح للانطلاق منها للمواجهة ، وعن القوم الذين يمكن أن يحموا ظهره فى ساعة المواجهة .

١ – ففى أمره ﷺ لصحابته بالهجرة إلى الحبشة إشارة إلى بحثه ﷺ عن تلك الأرض[1] .

---

(١) انظر تفصيل الهجرتين إلى الحبشة فى البداية والنهاية ٦٦/٣ وهى فى سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زكار ١٧٤ ، وهى فى سيرة ابن هشام ٣٢٢/١ – ٣٤٠ .

٢ – وفى خروجه ﷺ بنفسه إلى الطائف كان فيه إشارة صريحة إلى بحثه عن تلك الأرض التى تصلح للمواجهة فيها . كما جاء فى صحيح البخارى وغيره من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ فقال ﷺ : لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبدياليل بن عبدكلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا بقرن الثعالب »[1] الحديث .

٣ – وفى سؤاله ﷺ عن الكم والكيف فى القبائل التى يعرض نفسه ودعوته عليها إشارة إلى أنه كان يبحث عن أرض وحماية ذات صفات مُعَيَّنَةٍ وشروط معلومة .

قال الحافظ ابن كثير : من حديث طويل عن ابن عباس عن العباس رضى الله عنهما « ......
فأتى بكر بن وائل فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من بكر بن وائل ..... ، قال فكيف المنعة ؟ قالوا : لا منعة ، جاورنا فارس فنحن لا نتمنع منهم ولا نجير عليهم .... قالوا : ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله ثم انطلق ..... »[2] .

فالحديث الشريف واضح فى طلب الرسول ﷺ لأرض ومنعة معينة ذات

---

(١) أخرجه البخارى ١٣٩/٤ ، ومسلم ١٤٢٠/٣ ، وانظر أيضا لابن اسحاق فى السيرة ٤١٩/١ وبهجة المحافل ١٢٣/١ . وقال صاحب بهجة المحافل : (وقد تعدد الحديث فى صحيح مسلم من رواية عائشة عنه ﷺ أن هذا الموقف بالطائف أشد ما لقى فى ذلك) أ.هـ . وقال محمد فؤاد عبدالباق فى تعليقه على صحيح مسلم ١٤٢٠/٣ وقرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١٦٠/٢ وهو فى البداية والنهاية ١٤٠/٣ . ويؤكده حديث ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبوبكر إلى منى .... والذى قال فيه الزرقانى أخرجه الحاكم وأبونعيم والبيهقى بإسناد حسن . انظر المواهب ٣٠٩/١ والسيرة النبوية لابن كثير ١٦٣/٢ ، وكذا حديث جابر رضى الله عنه عند أحمد وأبى داود والترمذى وابن ماجه قال : كان النبى ﷺ يعرض نفسه على الناس بالوقت فيقول : هل من رجل يحملنى إلى قومه .... والذى قال فيه الترمذى حسن صحيح . انظر مسند أحمد ٣٢٢/٣ ، وأبى داود ٢٣٤/٤ – ٢٣٥ ، والترمذى ١٨٤/٥ ، وابن ماجه ٧٣/١ ، وهو فى البداية والنهاية ١٤١/٣ والسيرة النبوية ١٧١/١ لابن كثير وكذا فى المواهب اللدنية ٣٠٩/١ .

شروط معلومة وذلك من خلال أسئلته الموجهة إلى تلك القبيلة ، فلما لم تتوفر له شروطه تركهم وانطلق إلى غيرهم .

٤ - وعدم قبوله ﷺ لشروط القبائل واحترازاتها عندما كان يعرض نفسه عليها دليل واضح أيضاً على أنه كان يبحث عن أرض ومنعة تكون له وحده السيطرة عليها ، ولله وحده حق التوجيه الأعلى لكل أمورها وأحوالها .

يؤكد هذا المعنى الحوار الذى دار بينه ﷺ وبين القوم من بنى شيبان وهو الحوار الذى جاء فى حديث ابن عباس الطويل عن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال : « لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبوبكر إلى منى ..... فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر أنه رسول الله .

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلام تدعو ياأخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ المجلس وقام أبوبكر يظله بثوبه فقال رسول الله ﷺ : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنى رسول الله وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ....

فقال المثنى : قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش وأعجبنى ما تكلمت به والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة ، وإنا إنما نزلنا بين صريين[1] أحدهما اليمامة والآخر السماوه . فقال رسول الله ﷺ : وما هذان الصريان ؟ .

فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لانحدث حدثا ولا نؤوى محدثا ، وهل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى بلاد العرب فعلنا .

---

(١) الصريين تثنية صرى وهو كل ماء مجتمع . انظر لسان العرب ١٩٢/١٩ .

فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه ... ثم نهض .. »[1] الحديث .

فالحديث واضح أيضاً فى طلب الأرض والمنعة غير المشروطة بشروط أو احترازات وصدق رسول الله ﷺ إنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه فلا يمكن أن ينصر هذا الدين من أخذ بعضه وترك بعضه الآخر .

٥ – وأخيرا وجد رسول الله ﷺ ضالته مستكملة الشروط والصفات ، وجدها فكانت المدينة المنورة ، وجد طلبه كاملا بعد أن رفع إلى الملأ الأعلى أكف الضراعة فجاء الأمر الكريم بالدعاء المبارك ﴿ وقل ربِّ أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾[2] .

وإنها لنقطة هامة يجب على الدعاة الوقوف عندها فى كل حركة ولحظة من دعوتهم إلى الله تعالى ، تلك النقطة هى العودة إلى قاضى الحاجات مع بذل الأسباب البشرية للوصول إلى الحاجات ، لقد سبق فى علم الرب تعالى شأنه أن الأرض صالحة لانطلاق الدعوة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ هى المدينة المنورة ، ولكنه سبحانه ترك السيد الرسول ﷺ يبذل من الأسباب البشرية للوصول إلى مطالبها الكثير ، والتى أشرنا إلى طرف منها[3] .

وذلك ليس للدعاة الإسلاميين ذلك المنهج القويم ، تركه يبذل من الجهد الكثير ويتحمل من العناء الكثير حتى ضاقت به الأرض بما رحبت دون أن يستقر رأيه على المكان المناسب لتلك الانطلاقة المباركة ، وأخيرا وبعد أن نفذت كل حيلة لذلك الرسول العظيم ، وبعد أن عبر لربه سبحانه عن نفاذها فى صورة ذلك الدعاء الفياض بعد عودته من الطائف[4] ، أرشده سبحانه وتعالى إلى مفتاح

---

(١) انظر الزرقانى على المواهب للقسطلانى ٣٠٩/١ وقال أخرجه الحاكم وأبونعيم والبيهقى بإسناد حسن وهو فى السيرة النبوية لابن كثير ١٦٣/٢ – ١٦٩ . وهو مؤيد بحديث جابر المذكور بهامش ص١٨٣ من البحث والذى قال فيه الترمذى حديث حسن صحيح فانظر تخريجه هناك .

(٢) الإسراء آية : ٨٠ .

(٣) انظر صفحة (١٨٢ – ١٨٤) من نفس البحث .

(٤) انظر الدعاء فى صفحة ١٦٣ من البحث .

ذلك المطلب ، ذلك المفتاح هو التوجه إلى قاضى الحاجات بطلب الهداية والإرشاد منه سبحانه ، فكان التوجه من الرسول العظيم وكانت الهداية إلى المفتاح : ﴿ وقل ربِّ أدخلنى مُدْخَل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾[1] .

إنه مفتاح فى برقية لاتتعدى كلماتها سطرا واحدا كان من بعدها مباشرة خروجه ﷺ المخرج المبارك بالهجرة ، ودخوله المدخل المبارك إلى المدينة المنورة ، ونصره النصر المؤزر بعد ذلك ، النصر الذى كان بعده الظهور والعزة للإسلام ولبنى الإسلام .

قال ابن إسحاق: « فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم فبينا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفتجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، ... فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم ... »[2] .

ثم كانت البيعة الأولى ، ثم الثانية فكانت الأرض بكل شروطها ، وكانت المنعة بكل لوازمها ، ثم كانت الهجرة النبوية العظيمة ، وبسطت الدعوة الإسلامية سلطانها على المدينة المنورة ، ثم كانت الانطلاقة من هناك ، من المدينة المنورة

---

(١) الإسراء آية : ٨٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٨/١ – ٤٣٠ وهو فى البداية ١٤٨/٣ – ١٤٩ ، وقد ورد هذا المعنى فى رواية ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فى الحديث السابق الذى أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى بإسناد حسن . انظر تخريجه فى صفحة (١٨٣) من البحث نفسه .

لمواجهة الباطل بقوة السلاح ، كانت الانطلاقة بعد أن حصلت الأرض التى وقفت عليها الدعوة الإسلامية ، والجماعة الإسلامية ، فكانت الفتوح بعد ذلك وكان النصر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، إن المقدمة الأولى لنقطة الانطلاق إلى الباطل لنواجهه هى أن توجد الأرض المكتملة للشروط التى أشرنا إليها ، وبدونها لا مواجهة ، بل مسالمة وبحث عن الأرض حتى توجد والله المستعان وهو ولى التوفيق .

ثانيا : اكتمال العــدد :

ونعنى باكتمال العدد أن يصل عدد أفراد الجماعة الذين سيدخلون المعركة رقما معينا ونسبة معينة ، من الجيش المقابل ، وسأحدد ذلك الرقم وتلك النسبة من النصوص الشرعية التالية .

١ - مفهوم العدد من آيتى المصابرة :

من قوله تعالى : ﴿ياأيها النّبى حرض المؤمنين على القتال إنْ يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الّذِين كفروا بأنّهم قوم لا يفقهون . الآنَ خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾[١] .

نفقه من هاتين الآيتين ما يلى :

(أ) أنهما تبدآن بأمر النبى ﷺ بتحريض المؤمنين على القتال وهو إشارة إلى المواجهة مع الباطل .

(ب) ثم تحدد الآيتان ضابطا دقيقا للقيادة الإسلامية يحدد لها بالأرقام متى يمكنها دخول المعركة مع العدو ومتى لا يمكنها ذلك وهذا الضابط هو متى بلغ

---

(١) سورة الأنفال الآيات : ٦٥ ، ٦٦ .

عدد الجيش الإسلامى نسبة واحد إلى اثنين من الجيش المعادى يجب على الجماعة دخول المعركة وهو أقل معدل ومتى بلغ عدد الجيش الإسلامى نسبة واحد إلى عشرة من الجيش المعادى يجوز للجماعة دخول المعركة ويجوز لها عدم دخولها . وهو أعلى معدل .

والذى يقرر النسبة الأولى أو الثانية هو هبوط المستوى الإيمانى فى الجيش الإسلامى أو ارتفاعه .

(جـ) وأن الآيتين تبينان لنا أن الجيش الإسلامى قد يكون فى مرحلة من مراحله على درجة عالية من الإيمان والصبر والنظام والتنظيم فيعدل الواحد منه عشرة من الجيش المقابل .

وقد يكون فى مرحلة من ضعف الإيمان والصبر وارتجال الأمور فيعدل الواحد منه اثنين من الجيش المعادى .

وأحب أن أشير هنا أن فقهنا هذا من الآيتين لا يعنى أننا نتجاهل جانب الناسخ والمنسوخ فى القرآن بل هو ظاهر الآيتين .

٢ - الأحاديث النبوية فى تحديد المواجهة :

حدد رسول الله ﷺ أرقاما مختلفة للجيوش التى لا تغلب من جهة النقص فى العدد مهما كان عدد الجيش المعادى أو ضخامته .

أخرج أحمد رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة .. »[1] .

---

(١) مسند أحمد بتحقيق شاكر ٢٣٧/٤ وقال شاكر إسناده صحيح وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه ، ونقل المناوى فى الفيض قول ابن القطان فى تصحيح الحديث . انظر فيض القدير ٤٧٤/٣ .

٣ - سيرته الشريفة تحدد عدد المواجهة :

ودخوله ﷺ معركة بدر الكبرى بثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فيه إشارة إلى العدد الذى يمكن للقيادة الإسلامية فى الجماعة أن تحدد بموجبه ساعة المواجهة مع الباطل . أخرج البخارى عن البراء[١] رضى الله عنه قوله : « حدثنى أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر بضعة عشر وثلاثمائة » .

٤ - تنبؤ عمر رضى الله عنه :

عندما حاول المشركون ضربه بعد إسلامه بالعدد الذى يمكن للجماعة الإسلامية أن تواجه به القوة الكافرة وهو ثلاثمائة رجل . قال ابن كثير فى البداية من حديث طويل عن قصة إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .... « افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا »[٢] .

وذكرى هنا لقول عمر هذا ليس على أنه نص قاطع فى تحديد نقطة الانطلاق فى المواجهة ولكن لأنه تنبؤ أكدته النقطة السابقة وهى مواجهة الرسول ﷺ المشركين فى بدر بهذا العدد وهى الغزوة التى تعتبر نقطة البداية فى المواجهة العسكرية مع الكفر حيث أن كل ما سبقها من سرايا وغارات يعتبر مقدمات وإرهاصات لها .

٥ - وخلاصة معلم المواجهة :

أن تحديد بدء المواجهة من خصوصيات القيادة العليا للجماعة ، وأنها لا تكون إلا بعد التمكن من الأرض الصالحة التى سيكون منها ذلك الانطلاق ، واكتمال العدد الذى ستكون به المواجهة ، فعلى الدعاة أن يدركوا هذا المعلم جيداً .

والله الموفق إلى ما فيه الصواب .

---

(١) صحيح البخارى المجلس الأعلى ٢٣٩/٦ وفى مسند أحمد ٢٩١/٤ وابن ماجه ٩٤٤/٢ .

(٢) البداية ٨٢/٣ وقال الحافظ ابن كثير عند سند هذا الحديث : وهذا إسناد جيد قوى .

المبحث الرابع
المعلم الرابع من سيرة الرسول
السرية فى عمل بناء الجماعة

١ – مفهوم السرية :

بعد أن بينت فى المعالم الثلاثة من سيرة الرسول ﷺ الكيفية التى يمكن بموجبها الوصول إلى بناء هيكل الجماعة ، التى سيكون على عاتقها إعلان جماعة المسلمين ورفع رايتها ، أبين العوامل التى يمكن بموجبها تمرير عملية بناء ذلك الهيكل بسلام ، وتتلخص هذه العوامل فى المعالم الثلاثة الآتية ، والتى هى :

١ – السرية فى حركة بناء الجماعة .

٢ – الصبر على متاعب الطريق .

٣ – الابتعاد عن ساحة المعركة مع الباطل فى المرحلتين الأوليين : النشر والتكوين .

ولنبدأ **بالمعلم الأول** : السرية . وترتيبه الرابع فى معالم سيرة الرسول ﷺ ونقصد بالسرية فى عمل بناء الجماعة : أن تنحصر معلومات خطة العمل فى محيط القيادة العامة للعمل ، وأن يجهل الأشخاص – فى العمل السرى – بعضهم بعضا من حيث التكاليف والمهام ، وأن يعلم كل واحد فى العمل مهمته دون غيره فلا تخرج معلومات مهام عمرو إلى زيد بحال من الأحوال ، وهذا واضح من حياة الرسول ﷺ فى دعوته .

(أ) ففى احتفاظ الرب سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم كاملا فى السماء الدنيا ، ثم تنزيله شيئا فشيئا إلى الرسول ﷺ والمؤمنين وهو الذى يمثل خطة العمل للدعوة الأولى ، دليل واضح على وجوب احتفاظ القيادة العليا فى الجماعة

بخطة العمل ككل ثم إنزالها إلى القواعد بتدرج وسرية كاملة .

(ب) وفى قصة هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة دليل واضح على ما نقول ، من حيث حصر خطة العمل كافة فى نطاق القيادة ثم توزيع مهام العمل على أفراد ، كل واحد فى مهمة خاصة لا علاقة لها بمهمة غيره .

فعلى بن أبى طالب على الأمانات والودائع ، وعبدالله بن أبى بكر على الأخبار وحركة العدو ، وأسماء بنت أبى بكر على جانب الطعام ، وعامر بن فهيرة على الأغنام ، وعبدالله بن أريقط على الراحلتين ودلالة الطريق ، الخ ... كما جاء ذلك فى قصة هجرته ﷺ(١) .

(جـ) وكذا قصة سرية عبدالله بن جحش للإتيان بأخبار قريش ، من حيث جعل خطة عمل السرية بيده ومن كونها مخفية حتى على عبدالله نفسه حتى ابتعد عن المدينة مسافة طويلة ، وكذا غيرها من القصص المماثلة .

إن الوقت الذى توفق الجماعة الإسلامية فيه إلى السير على الخطوط التى رسمها رسول الله ﷺ – وهو يبنى جماعته الأولى والتى كان على عاتقها نصر الإسلام – تكون سائرة على النهج القويم ، وفى الوقت الذى تتنكب طريقه ﷺ تكون معرضة للزلل والضلال .

والسرية فى العمل من أهم الخطوط التى رسمها ﷺ ليسير عليها الدعاة إلى الله تعالى .

٢ – الخلط فى مفهوم السرية :

وفى مجال السرية فى عمل بناء الجماعة الإسلامية يخلط كثير من الدعاة إلى الإسلام فى هذه الأيام خلطا كثيرا .

فمنهم من أدخل ما يجب الجهر به من تعاليم الإسلام ، فى نطاق ما يجب

---

(١) انظر تفصيل هجرته ﷺ فى البداية ٣/١٧٧ – ١٩٦ .

الإسرار به وكتمانه ومنهم من عكس الأمر ، فهو يثرثر بكل شيء وفي كل مكان ولأي إنسان .

أ ـ **القسم الأول** : فنجد الأول لا يخوض في موضوع من موضوعات الدعوة ، ويبتعد عن كل ما يشير إلى ذلك بل تجد بعضهم أخذ يتنكر لكثير من مظاهر الدين الإسلامي . ثم أخذ يتشبه ببعض التقاليد غير الإسلامية ، لإبعاد شبهة التزمت عنه وعن الدعوة التي يحملها بزعمه ، ولإخفاء شخصيته الحركية .

وهذا أمر خطير على الشخص نفسه من حيث وقوعه في الإثم ، وخطير على دعوته ، ومن حيث أن الداعية المسلم يدعو الناس بقوله وفعله وسلوكه ، فإذا سكت عما يجب الجهر به من الدعوة ، وتجرد عن التطبيق العملي لمظاهر الإسلام وتعاليمه فماذا بقي ؟ إنه تجرد عما يدل على إسلامه كفرد ، ونسف دعوته من حيث القدوة ، وضرب الجماعة التي ينتمي إليها من حيث تمثيله لها ، وتقمصه شخصيتها الإسلامية ، فلهؤلاء نقول : ليس من السرية بحال كتمان الدعوة الإسلامية كفكرة وتعاليم ، بل يجب أن يعرض على الناس هذا الدين عرضا شيقا يبرز محاسنه ، كما يبرز مساوئ غيره من المبادئ الهدامة أو الفكر المنحرف ، ولا يجوز بحال أن يكتم العلم ، فالله سبحانه وتعالى قد أخذ الميثاق على أهل العلم ليبينوا ذلك العلم وينشروه بين الناس .

قال تعالى : ﴿وإذْ أَخَذَ الله ميثاق الَّذِين أُوتوا الكتاب لتبيننه للنَّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه أَلْجَمَه الله يوم القيامة بلجام من نار »[2] .

وهذا ما تؤكده الآية القرآنية في وعيد شديد مخيف ﴿ إنَّ الَّذِين يكتمون

---

(١) آل عمران آية : ١٨٧ .

(٢) أخرجه أحمد في عدة مواضع منها ٤٣١/١ ، ٢٦٣/٢ ، الترمذي ٢٩/٥ – ٣٠ ، وقال حديث حسن ، أبوداود ٣٢١/٣ ، ابن ماجه مقدمه ص ٩٧ وأشار إليه السيوطي في جامعه بالصحة . ونقل المناوي تصحيح الحاكم للحديث وموافقة الذهبي عليه في الكبائر فيض القدير ١٤٦/٦ .

ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للنّاس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الّذِين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾(١) .

وهكذا يشترط فى توبة هؤلاء الصلاح والتبيين وهذا مما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بهذا الدين ، والآية السابقة وإن كان بعض أهل العلم قال :

« نزلت فى أهل الكتاب كتموا صفة محمد ﷺ » كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير(٢) : عن أبى العالية ، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ففى ذلك المجال العلمى لا تجوز السرية ولا يباح الكتمان .

وكذلك الأمر بالنسبة لتغيير المنكر إذا لم يوجد من يغيره ألبته باللسان فلا يكفى فيه التغيير بالقلب ، بل لابد من إقامة الحجة على أهل الباطل وأصحاب البدع والأهواء ، فأحمد بن حنبل رحمه الله حينما رأى أن العلماء فى عصره قد اكتفوا فى تغيير المنكر بقلوبهم فى فتنة خلق القرآن ، لم يسعه إلا أن يجهر برأيه ، وأن يقول كلمة الحق ، مدوية غير مبال بما يصيبه فى سبيلها(٣) .

وكم شهد التاريخ قديما وحديثا من أمثال أحمد بن حنبل الذين قالوا كلمة الحق ولم تأخذهم فى الله لومة لائم ، وكثير منهم فاز بالشهادة بسبب ذلك ، والرسول ﷺ يقول : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »(٤) .

ويقول : سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى امام جائر فأمره ونهاه فقتله(٥) .

ب ـــ القسم الثاني: والقسم الثاني من الذين خلطوا بين مايجب اظهاره وبين مايجب اسراره ، هو الذي يثرثر بكل شيء ، وفي أي مكان ، ولأي انسان ، ونقول

---

(١) البقرة آية : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٠٠/١ .

(٣) انظر أحمد بن حنبل إمام أهل السنة للأستاذ عبدالحليم الجندى ٤٤٩ - ٤٦٩ .

(٤) أحمد فى عدة مواضع منها ١٩/٣ وابن ماجه ١٣٢٩/٢ والنسائى ١٦١/٧ والترمذى ٤٧١/٤ ، وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه ونقل المناوى تصحيحه فى الفيض عن الضياء والمنذرى انظر فيض القدير ٣٠/٢ - ٣١ ، وأخرجه أبوداود ١٢٤/٤ .

(٥) وذكره السيوطي في الجامع الصغير وصححه وقال المناوي في شرحه قال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبي بأن في سنده حفيظ الصغار لا يعرفه الذهبي .

لهؤلاء لا تكونوا من الذين قال الله فيهم :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾(١) .

فإن هؤلاء قوم لم يألفوا النظام ، ولم تتشرب نفوسهم تعاليم الإسلام ولم تدرك عقولهم أثر الإشاعات في خلخلة الصفوف ، وما يترتب عليها من نتائج سلبية قد تكون مدمرة ، لأنهم لم يرتقوا إلى مستوى الأحداث ولم يدركوا حقيقة الموقف .

إن كلمة عابرة وفلتة لسان قد تجر من العواقب على الشخص نفسه وعلى جماعته كلها مالم يخطر له ببال .

وقد حث رسول الله (ﷺ) المسلمين على الكتمان في أحاديث كثيرة ، مثل قوله (ﷺ) « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »(٢) .

وقوله ﷺ : « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود »(٣) .

وعلى كلا الحالين فهنا إفراط وهناك تفريط ، والأفضل أن ينظر الطرفان فى أمرها ، بأن يكون لهما ميزان يفرقون به بين مايجب أن يكتم ، ومايجب أن يجهر به ، فى خطة العمل الجماعى للدعوة الإسلامية .

والميزان فى نظرى والله أعلم بالصواب : أن كل عمل ينقسم إلى قسمين من حيث وجوده فى الحياة : والعمل الإسلامى واحد من هذه الأعمال فهو ينقسم إلى قسمين :

---

(١) النساء آية : ٨٣ .

(٢) أخرجه البخارى ٨ / ١٢٥ مسلم ١ / ٦٨ وهو فى الفتح ١١ / ٣٠٨ وابن ماجه ٢ / ١٣١٣ والترمذى ٤ / ٣٤٥وأحمد ٥ / ٢٤ والدارمى ٢ / ٩٨ .

(٣) أخرجه السيوطي في الفتح الكبير ١ / ١٧٩ وقال عنه المناوي في فيض القدير ضعيف ونقل قول العراقي في تضعيفه ١ / ٤٩٣ وأشار السيوطي أنه قد خرجه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان ولم اطلع على ذلك .

(أ) قسم تنظيمى وهو الذى يجب أن يكون سرا .

(ب) قسم فكرى وروحى وهو الذى يجب أن يكون جهرا – ضمن خطة مدروسة .

فهذا التقسيم فى حياة الرسول ﷺ (خاصة العهد المكى) واضح كل الوضوح .

ففى الوقت الذى ينظم فيه ﷺ خلايا العمل السرى ، الذى يجرى فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وغيرها من الخلايا الأخرى ، مثل مهمة خباب بن الأرت فى بيت سعيد بن زيد ختن عمر بن الخطاب ، وما دار مع عمر نفسه فى هذا البيت كما أشرنا إلى ذلك سابقا[1] ، ومثل ما حصل بين الرسول ﷺ وبين أهل بيعة العقبة الأولى والثانية .... فهذا ما نقصده من العمل التنظيمى الذى يجب إسراره وكتمانه .

وفى نفس الوقت كان يقف ﷺ فى أسواق الناس وأنديتهم مناديا : « قولوا لا إلا إله الله تفلحوا »[2] وكذلك صلاته فى المسجد الحرام على رؤوس الأشهاد ، وهذا هو الذى قصدناه من القسم الثانى الذى يجب الصدع به وإعلانه للناس ، وشواهد[3] هذا كثيرة فى مسيرته ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم .

٣ – فهم قاصر للسرية :

وقد فهم أكثر الناس أن سرية الحركة فى حياة الرسول ﷺ مرحلة مرتبطة بظروف معينة ومحدودة بزمن معين ، حتى حددها أكثر المؤرخين[4] بثلاث سنوات فقط .

والحقيقة أن السرية صفة لدعوة الرسول ﷺ ملازمة لها فى كل أطوارها وعلى امتداد حياة الرسول ﷺ يروى بوضوح الجانب السرى فيما تجب فيه

(١) انظر صفحة (١٧١) من البحث .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة (١٦٢) من البحث .

(٣) مثل وقوفه على الصفا ومناداته الناس ، ومشيه فى أسواق الناس يدعوهم إلى الإسلام وصلاته فى الحرم .

(٤) كل مؤرخى السيرة المطهرة تقريبا .

السرية فى العهدين المكى والمدنى .

وإذا كانت أحداث العهد المكى واضحة فى صفة السرية ، فإن العهد المدنى أكثر وضوحا للسرية ، وأدق تنظيما لها ، لأنه مرحلة حرب وجهاد ، والحرب خدعة وتورية .

ففي العهد المكى على امتداده كانت هناك أحداث كثيرة تشهد بالتزام الرسول ﷺ وأصحابه بصفة السرية .

(أ) فدار الأرقم بن أبى الأرقم وما كان يدور فيها من أمور ، خير شاهد على اتصاف العهد المكى كله بصفة السرية ، قال صاحب[1] كتاب السرية فى حياة الرسول ﷺ عند حديثه عن تلك الدار « وكانت فى مكان آمن لا يهتدى إليه المشركون » .

(ب) ومن قصة ضرب المشركين لأبى بكر رضى الله عنه وما دار بينه وبين أم جميل فى حضرة أمه دليل على تعمق صفة السرية فى حياة الصحابة عموما . وهى قصة متأخرة فى تاريخها . كما أخرجها صاحب[2] البداية عن عائشة قالت : « خرج أبوبكر ..... فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : أن أبابكر يسألك عن محمد بن عبدالله ، فقالت : ما أعرف أبابكر ولا محمد بن عبدالله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ، قالت : نعم فمضت معها ..... » .

(جـ) وكذلك قصة إسلام عمرو بن عنبسه[3] وأمر الرسول ﷺ له أن يكتم إسلامه ويلحق بأهله .

(د) وكذا إسلام أبى ذر[4] والكيفية التى توصل بها إلى رسول الله ﷺ حيث اتفق معه الدليل وهو على بن أبى طالب أنه إن رأى بأسا فإنه سيجلس كأنه يريق الماء .

---

(١) السرية فى دعوة الرسول ص ١٠٠ للشيخ على محمد الزبيرى .

(٢) البداية والنهاية ٣/ من ٢٩ - ٣١ .

(٣) انظر البداية ٣١/٣ .

(٤) انظر البداية ٣٤/٣ .

(٥) انظر البداية ٣١/٣ .

(هـ) وكذا قصة جهل[٤] عمر بن الخطاب بإسلام أقرب الناس إليه وهما أخته وختنه . وهى قصة متأخرة جداً[١] عن الثلاث سنوات التى حدثت بها السرية .

(و) وكذا قصة العقبة الأولى ، والثانية فقد تمت فى غاية من السرية وهى من آخر أحداث العهد المكى زمناً .

(ز) وأخيراً ما أحاط به رسول الله حادث هجرته[٢] مع أبى بكر من سرية كاملة وهو الحادث الذى ختم به العهد المكى .

ففى تسلسل هذه الأحداث والقصص من أول العهد المكى إلى آخره دليل على بروز صفة السرية فى ذلك العهد على امتداده ، وأما الأحداث التى تشهد بامتداد صفة السرية إلى العهد المدنى فكثيرة . خاصة وأن العهد المدنى أخذ الطابع الحربى – ولم يكن ذلك فى العهد المكى – وهو الطابع الأكثر اضطرارا إلى السرية الكاملة . حتى جعل النبى ﷺ وزيرا له فى هذا الجانب وأطلق عليه أمين سر رسول الله ﷺ .

قال صاحب دروس فى الكتمان :

« وكان حذيفة بن اليمان العبسى رضى الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ »[٣] . وفى مقدمة تلك الأحداث الشاهدة بامتداد صفة السرية لدعوة الرسول ﷺ .

(أ) قصة خروجه ﷺ مع أبى بكر يوم بدر لاستطلاع خبر عدوه وسؤاله الشيخ وكتمه ﷺ خبره عن ذلك الشيخ ، قال صاحب البداية[٤] :

---

(١) كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير فى البداية ٣١/٣ .
(٢) انظر البداية ١٧٧/٣ .
(٣) دروس فى الكتمان من حياة الرسول القائد ص ١٢ تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب .
(٤) البداية ٢٦٤/٣ .

« .... حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ، فقال رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال : أو ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : ..... فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء ثم انصرف عنه ..... » .

فهذه التورية من رسول الله ﷺ على ذلك الشيخ تدل على أصالة السرية فى منهجه ، وأنها ليست خاصة بالعهد المكى أو المدنى ، وليست محصورة فى ثلاث سنوات من دعوته ﷺ .

(ب) وكذا قصة سرية عبدالله بن جحش عندما بعثه رسول الهدى ﷺ على رأس سرية ليأتى بخبر قريش . قال ابن اسحاق[1] : « وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش الأسدى فى رجب مقفله (أى مرجعه) من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه .... » وقد عنون العقاد[2] على هذا النوع من الرسائل عنوانا سماه (الرسائل المختومة) واعتبرها من صميم السرية .

والظاهر أن مراد القائلين بأن السرية محدودة بثلاث سنوات هو السرية المطلقة ، المشتملة على كل أمور الدعوة ، حتى أن الذين أسلموا معه فى هذه الفترة كان يطلب منهم كتمان إسلامهم ، ثم بعد هذه الفترة صارت السرية فى بعض أمور الدعوة دون البعض ، وهو مراد مقبول وبه يمكن التوفيق بين ما ذكرناه من مراحل السرية وبين هذا القول الذى يحد السرية بثلاثة أعوام .

٤ - خلاصة هذا المعلم :

وخلاصة معلم السرية فى حياة الرسول ﷺ أنه الصندوق الذى تحفظ فيه خطة العمل الجماعى ، والسرادق الذى يحيط بها ويصونها ، وأنه معلم مهم على

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٠١/١ .

(٢) عبقرية محمد ﷺ ص ٥٧ .

امتداد حركة بناء الجماعة ، وعلى وجه الخصوص مراحلها الأولى حتى لا تضرب فى مهدها ، وأنه خاص بالجانب التنظيمى من الدعوة فقط . وليس منه الجانب الفكرى أو الثقافى وغيرهما من الجوانب المعلنة فى الإسلام ، فعلى الدعاة أن يهتموا بهذا المعلم ، ويصدروا عنه فى حركتهم ، فهو صمام الأمان الذى يقى العمل الجماعى من العيون المتربصة به ، ولابد من فقه هذا المعلم ومعرفة حسن استخدامه فى مكانه المناسب وزمانه المناسب ، ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾[١] .

---

(١) سورة يوسف آية : ٦٤ .

المبحث الخامس

المعلم الخامس من سيرة الرسول

الصبر على استقرار الجبهة المضادة

١ - الصبر فى مرحلة التكوين سنة من سنن الله تعالى :

ومن أبرز عوامل صيانة هيكل الجماعة فى سيرة الرسول ﷺ فى مرحلة التكوين أمره لكافة أفراد الجماعة بالصبر ، وحبس النفس ، وضبط الأعصاب أمام كل تحديات الجبهة المضادة ، وعدم الالتفات لكل مايصدر عنها من سخرية ، وتطاول على الدعوة وأصحابها ، لأن سنة الله تعالى شأنه فى الكون أن كل المخلوقات فى مراحلها التكوينية يرافقها ضعف وعدم قدرة على التصدى للعوامل المضادة ، والجماعة الإسلامية جزء من ذلك الكون تنطبق عليها سننه ونواميسه ، فلابد لها من عوامل صيانة فى مرحلتها التكوينية ، والصبر من أهم عوامل تلك الصيانة وهو سنة إلهية لوقاية الجماعات فى مرحلتها التكوينية .

٢ - ظاهرة تكرار الأمر بالصبر :

أما ظاهرة تكرار أمر الله تعالى لأفراد الجماعة الإسلامية بالصبر فهى ظاهرة بارزة فى كل القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لحاجة الأمة الإسلامية إليه فى كل أحوالها فكان لابد من تذكيرها بهذا المعنى كلما غفلت عنه ، فكما أنها تحتاجه لتستعين به على الطاعة وتجنب المعصية ، فهى تحتاجه عند جهاد المشاقين لله ، وعند النصر عليهم، وتحتاجه عند ثقل الحمل وقلة المعين ، تحتاجه عند تأخر النصر ، وطول الطريق ، تحتاجه عند التواء النفوس وضلال القلوب ، بيد أن تكرار ظاهرة الأمر بالصبر فى الجانب المكى من القرآن الكريم كان أكثر بل وفى أوائل السور تنزيلا كان تكرار الصبر والحث على التمسك به واضحا جداً . لأن

الجماعة فى ذلك العهد فى مرحلة ضعف تكوينى ، وقلة سند مادى .

فعلى سبيل المثال لا الحصر وجه الله تعالى نبيه بالصبر فى سورتى المزمل والمدثر وهما من أوائل السور تنزيلا . قال تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ولربِّك فاصبر ﴾[٢] .

هذا التكرار الكثير للصبر فى الجانب المكى من القرآن يدل على أهمية هذا الخلق فى حفظ كيان الجماعة ، وعلى ضرورة التحلى به من قبل أفراد الجماعة ، خاصة فى مرحلتهم التكوينية .

٣ - والأدلة على صبره ﷺ ، وصبر الصحابة رضى الله عنهم على أذى المشركين فى مكة :

تتمثل فى كل أحوالهم فى مكة المكرمة قبل الهجرة ، فليس هناك حال للدعوة الإسلامية فى مكة فى ذلك العهد تقريبا إلا وترى صفة الصبر بارزة فيه ، ترى الصبر على الأذى من جهة طاغية ، على جهة مجردة من الحول والقوة ، ترى الصبر على مواقف الاستخفاف والاستفزاز مع القدرة على البطش والتصدى من قبل بعض أفراد الجماعة الإسلامية ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يؤمرون بكف أيديهم ، وترى الصبر على الجوع والفاقه ، ترى الصبر على الغربة والتشريد ، ترى الصبر على الخوف والإرجاف .

كل هذه الأحوال المؤلمة كانت على طول ذلك العهد المكى ، الذى قد يكون قياسه بالزمن قصيرا ، ولكن قياسه بمقياس معاناة النفس البشرية له ، يعتبر وزنا ثقيلا ومجالا واسعا خاصة على نفوس الصفوة البارة من الصحابة وفى مقدمتهم النفس الشريفة الطاهرة نفس رسول الله ﷺ .

نكتفى هنا بهذه الإشارة إلى ما كان يعانيه رسول الله ﷺ وصحابته

---

(١) المزمل آية : ١٠ .
(٢) المدثر آية : ٧ .

رضوان الله عليهم فى مكة وسنبسط نماذج من تلك الأحوال فى فصل طبيعة الطريق إن شاء الله تعالى .

٤ - ثقل ذلك الأذى على نفس الرسول ﷺ وصحابته :

ولقد عبر عن ثقل ذلك الحمل من الغمز ، واللمز تارة ، والسخرية والاستهزاء تارة أخرى ، والاعتداء على المحارم والأعراض تارة ، والاعتداء على الأجساد بالتعذيب ثم القتل والتشريد تارة ، عبر رسول الهدى ﷺ عن ذلك الحمل الثقيل على النفس والحال بعد أن أدمى سفهاء ثقيف قدميه الشريفتين ، عبر عنه وهو يناجى ربه :

« اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى قريب ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ؛ أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك ، أو يحل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »(١) ... الحديث وعبر عنه خباب بن الأرت رضى الله عنه بقوله : « أتيت النبى ﷺ وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله لنا ؟ »(٢) .

إنه تعبير صادق مغمور بالألم عن وزن ثقيل وتحديات كبرى ، بيد أن ضرب الجماعة والقضاء عليها فى مهدها كان أكبر وأعظم من ذلك الوزن ، فكان لابد من الصبر ولابد من التحمل ، وقد كان من ذلك السلف البار ، ولابد أن يكون من الخلف الحاضر ، والمنتظر إن شاء الله تعالى .

---

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وحسنه ١١٩/٢ فيض القدير ، وهو فى سيرة ابن هشام ٤٢٠/١ ، وحسب تقديرى أنه جزء من حديث عائشة فى الصحيحين (هل أتى عليك يوم أشد ؟) لأن فى آخر الحديث الصحيح مجئ جبريل مع ملك الجبال وعرضهما عليه ﷺ إطباق الأخشبين على الكفار وهذا العرض لا يأتى فى العادة إلا بعد الطلب بالدعاء .

(٢) أخرجه البخارى ٥٦/٥ - ٥٧ ، وفى الفتح ١٦٤/٧ - ١٦٥ .

قد كان ذلك التحمل من السلف عندما قال آل ياسر ... للباطل لا حتى الموت[1].

ولقد سارت الأمة الإسلامية[2] على طول أزمانها ، وامتداد أجيالها على هذا النهج الذى هو: لا للباطل حتى الموت ، وستقول الأجيال القادمة من هذه الأمة أيضا ، لا للباطل وألف لا حتى الموت ، وذلك لأن الباعث الذى دفع آل ياسر إلى قولة « لا » ، ونفخ فيهم قوة التحمل والاستعلاء بالحق على الباطل ، باق ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك الباعث هو الإيمان بأن هناك قوة أكبر من هذا الباطل ، وأن هناك يوما يعدل فيه بين الناس ، وأن هناك جنة تنتظر الشهيد ونار تنتظر كل كافر عنيد .

فلابد أن يهتم الدعاة بذلك الباعث ، ليوجد الصبر ثم لتبقى الجماعة ، ثم يكون النصر للإسلام والمسلمين ، والله المستعان .

---

(1) انظر قصة آل ياسر ٣١٩/١ - ٣٢٠ من ابن هشام وهى مبسوطة فى رجال حول الرسول لخالد محمد خالد ٢٥٧ - ٢٨١ .

(2) الأمثلة على ذلك كثيرة مثل محنة الحجاج ومحنة خلق القرآن .... وما لاقاه المسلمون من جراء ذلك وهم يقولون لا للباطل أبدا .

المبحث السادس
فى المعلم السادس من سيرة الرسول
وهو الإبعاد عن ساحة المعركة

١ – مفهوم معلم الإبعاد عن ساحة المعركة :

ولما كان الكتمان ، والصبر غير كافيين لضبط أمور الجماعة وصيانة بنائها من الأذى ، لاختلاف الناس فى القدرة على تطبيقهما ، ولاختلاط جوانب الكتمان بجوانب الإعلان عند أفراد الجماعة ، ولأن أكثر تعاليم الإسلام لابد أن تظهر على صاحبها سلوكا وثمرة ، ولاختلاف معادن الناس فى الصبر على القهر والاستفزاز ؛ لما كان الأمر كذلك ، بادرت القيادة الحكيمة بإيجاد عامل أضبط لصيانة بناء الجماعة ، الذى سيترتب على بقائها ، نصرة الإسلام ونشر تعاليمه ، وعلى هلاكها تجميد أحكام الإسلام ومحق تعاليمه ، كما عبر عن ذلك رسول الهدى ﷺ : « **اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض** »[1] فكانت فكرة الإبعاد لأفراد الجماعة عن ساحة المعركة مع العدو بالهجرة هو ذلك العامل الذى استطاعت القيادة بموجبه حفظ براعمها من بطش قريش ، وتجنب الجماعة بعد ذلك عملية محق وهلاك محقق .

٢ – أهمية ذلك المعلم فى صيانة بناء الجماعة :

إن فكرة إبعاد من أسلم عن ساحة المواجهة مع طغيان قريش وجبروتها توفيق من الله تعالى لرسوله ﷺ .

وهو توجيه كذلك للسائرين على هذه الطريق يقصدون نصرة الإسلام ،

---

(١) انظر صفحة (١٥١) من البحث فقد خرج هناك .

ورفع لوائه ، إن الابتعاد عن ساحة المعركة فى مراحل التكوين التى لا تقوى الجماعة على المواجهة فيها ، أمر يوجبه الدين ، وتقتضيه حال الجماعة فى مراحلها الأولى ، إنك تلمس من قول الرب تعالى شأنه :

﴿ ياعبادى إنَّ أرضى واسعة فإياى فاعبدون ﴾[1] .

أنَّ الابتعاد عن ساحة المعركة فيه صيانة لعبادة الله سبحانه وتوحيده .

وتدرك أن إعطاء المؤمنين ولاءهم لمن كان فى ساحة الكفر مرتبط بهجرته . وابتعاده عن الفتنة فى الدين ، لضعفه عن مقاومة ضغط قوى الكفر فى مرحلة التكوين ، ولأن وجوده فى الجماعة زيادة قوة لها قال تعالى : ﴿ والَّذِين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ﴾[3] .

وتدرك أن حجة الملائكة على الذين ادعوا الاستضعاف فى الأرض هى :
﴿ **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** ﴾[4] .

إن إبعاد الأفراد المستجيبين للدعوة عن ضغط السلطة الجائرة إلى أرض يأمنون فيها على أنفسهم ودعوتهم أمر يجب أخذه بعين الاعتبار من قبل الجماعة الإسلامية ، والدعاة إلى الله تعالى .

٣ – الجانب التطبيقى لمعلم الإبعاد فى حياة الرسول ﷺ :

ولقد وضح الجانب التطبيقى لعامل الإبعاد لأفراد الجماعة عن ساحة المعركة فى حياة الرسول ﷺ ، ووضحت كذلك نتائجه الحميدة ، والتى من أعظمها عودة أولئك المهاجرين إلى مكة فاتحين بعد تجمعهم فى مكان آمن ، ذلك المكان هو المدينة المنورة .

---

(١) العنكبوت آية ٥٦ .
(٢) الأنفال آية ٧٢ .
(٣) النساء آية : ٨٩ .
(٤) النساء آية : ٩٧ .

بدأ التطبيق العملى فى عامل الإبعاد بالإذن العام إلى كل أفراد الجماعة فى مكة بمغادرتها إلى أرض الحبشة ، لعلم القيادة بأمان ذلك المكان ، وإمكان عيش أولئك الأفراد فيه بسلام وأمن .

قال ابن إسحاق : « فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكان من الله ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لايقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسول ﷺ إلى أرض الحبشة »[1].

ثم الأمر العام لكل من أسلم من خارج مكة بالرجوع إلى أهله ، والبقاء هناك حتى ينصر الله الإسلام ويشتد عوده .

ومن الأمثلة على ذلك أمره عليه السلام لأبى ذر الغفارى والطفيل بن عمرو الدوسى ومن جاءه من الأنصار وغيرهم[2] ، بالعودة إلى بلدانهم حتى يفتح الله على الدعوة .

٤ — عامل الإبعاد أحبط جريمة قتل الرسول ﷺ :

ولقد شملت هذه الأوامر كل المستويات فى الجماعة ، القوى منها والضعيف ، من كان له سند يدفع عنه ، ومن لم يكن له ذلك السند ، قال ابن كثير : « ولم يبق فيها إلا من فتن أو حبس »[3] .

وختمت أخيراً بالقيادة نفسها ، متمثلة فى شخص رسول الله ﷺ وهجرته إلى المدينة المنورة ، وبهذا الأمر نجت الجماعة بأفرادها ، ونجت بقيادتها من محق وتدمير محقق ، قال تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٢١/١ .

(٢) انظر قصة إسلام أبى ذر الغفارى فى البداية ٤٣/٣ ، وإسلام الطفيل فى ابن هشام ٣٨٢/١ وإسلام الدفعة الأولى والثانية من الأنصار فى ابن هشام ٤٣١/١ ، ٤٣٨/١ .

(٣) البداية ١٧٥/٣ .

يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾[1] .

وكان المتفق عليه من مجتمعى الندوة هو القتل ، كما جاء ذلك فى اتفاق[2] دار الندوة المشئوم واختيارهم من كل قبيلة واحداً لتنفيذ عملية القتل الفاشلة ، وغلب الله على أمره وهاجر الرسول ﷺ ليواصل المسيرة المباركة ، وقد كانت الغلبة للحق نتيجة لذلك التوجيه الموفق لأفراد الجماعة بالابتعاد عن ساحة المعركة إلى مكان آمن .

وستكون تلك الغلبة إن شاء الله لطلائع البعث الإسلامى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، متى روعى ذلك العامل الصيانى العظيم من قبل قيادة ذلك البعث فى كل زمان ومكان . والله الموفق .

---

(٢) الأنفال آية : ٣٠ .

(٢) انظر البداية والنهاية لمزيد من التفصيل ١٧٥/٣ .



رسم توضيحي للمعالم الثلاثة الأولى من سيرة الرسول ﷺ في بناء الجماعة الأولى

الفصل الرابع

طبيعة الطريق إلى جماعة المسلمين

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مفهوم طبيعة الطريق وكونها سنة من سنن الله تعالى .

المبحث الثاني : نماذج من طبيعة الطريق .

المبحث الأول
فى مفهوم طبيعة الطريق
وكونها سنة من سنن الله تعالى

١ - مفهوم تلك الطبيعة :

وبعد أن أوجزت فى توضيح معالم الطريق إلى جماعة المسلمين ، وأنها تبدأ بنشر أفكار الدعوة ثم تكوين المستجيبين لهذه الدعوة على تعاليمها ، ثم إخضاع المعارضين لها ، وإجبارهم على التنحى عن طريقها وبعد أن بينت أهم عوامل الصيانة لحركة بناء الجماعة ، أشرع فى بيان طبيعة تلك الطريق التى هى ابتلاء واختبار وامتحان ، لأضع السالك لهذه الطريق على بصيرة من أمره ، وعلى وضوح من حقيقة طريقه .

إنها طبيعة قد تكون شاقة على النفس البشرية ، ولكنها تنتهى بالصابر عليها إلى جنة عرضها السموات والأرض ، جنة فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، جنة تنسى من رزقه الله تعالى دخولها كل مشاق ومتاعب الطريق إليها ، هذه الجنة هى التى سار فى الطريق إليها رسول الله ﷺ بكل وعورتها وعقباتها حتى دخلها ، وعندها أعلن لنا بإيجاز بديع عن طبيعة هذه الطريق بقوله : « حفت الجنة بالمكاره »[١] .

لقد سار رسول الله ﷺ على هذه الطريق فلقى فيها الساخرين المستهزئين ، ولقى عليها المعتدين الآثمين ، رأى على جوانبها السجون والمعتقلات ، رأى فى منعطفاتها أدوات القتل ، والفتك والتعذيب ، رأى رفاقه من الرهط الكرام وهم ينشرون بالمناشير فيقسمون قسمين ، رأى الذين تمشط لحومهم بأمشاط الحديد ،

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٤/٤ ، الترمذى وقال حديث حسن صحيح ٦٩٣/٤ ، أبوداود ٢٣٦/٤ ، الدارمى ٣٣٩/٢ .

رأى الأخدود وهى تتأجج بالنيران على المؤمنين ، رأى المصلوبين ، والمشنوقين ، والموتدين بالأوتاد ، رأى وعلم ، علم يقين كل هذا فعبر عند ذلك التعبير الصادق : « حفت الجنة بالمكاره » مبينا لنا أن هذه هى طبيعة طريق الدعاة إلى الله .

وأكد الرب سبحانه فى أكثر من آية فى كتابه العزيز على تلك الطبيعة لهذه الطريق :

قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتكم مثل الَّذِين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والَّذِين آمنوا معه متى نصر الله ألَّا إنَّ نصر الله قريب ﴾(1) .

وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يعلم الله الَّذِين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾(2) .

وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولمَّا يعلم الله الَّذِين جاهدوا منكم ﴾(3) .

وقال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لايفتنون ولقد فتنا الَّذِين من قبلهم ﴾(4) .

وعلى الجانب الآخر من هذه الطريق كان رسول الله ﷺ يشهد مصارع أولئك الساخرين المعتدين ، رأى نهاية كل الطغاة والجبابرة إلى جهنم يسحبون وبئس القرار .

رأى تلك المشاهد المرعبة والعواقب الوخيمة ، ثم أخبرنا عنها ، لتطمئن القلوب المؤمنة إلى نهايتها ، ونهاية أعدائها .

---

(1) سورة البقرة آية : ٢١٤ .
(2) سورة آل عمران آية : ١٤٢ .
(3) سورة التوبة آية : ١٦ .
(4) سورة العنكبوت آية : ٢ - ٣ .

ولقد عاش ﷺ كذلك النوع الثانى من طبيعة طريق المسلمين المؤمنين . جانب مابعد النصر والتمكين ، جانب بسط النعمة فى المال والأهل والولد ، وهو الجانب الذى يخشى على المؤمنين خطره ، إنه الجانب الذى يرافق الإنسان فيه غرور النصر والتمكين ، وهو الذى يحس الإنسان فيه بثقل اللحم والدم وجاذبية الأرض ، وهو الجانب الذى يجلب الإنسان إلى الدعة والراحة والاطمئنان ومن ثم يسقط فى أثناء الطريق ، يسقط فى متاهات الغرور ، والمتاع المؤقت الزهيد .

لقد عاش رسول الله ﷺ كلا جانبى الطريق ، وذاق طبيعة كل منهما ذاق أشد الأذى من قومه ، فصبر وثبت حتى نهاية الطريق ، ثبت وصبر ، صَبْرَ أولى العزم من الرسل ، وقد تجلى عزمه وإصراره على مبدئه فى قوله لعمه أبى طالب وهو يحاول تثبيطه عن دعوته : « ياعَمِّ والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ماتركته »[1] .

وعرضت عليه كل عروض الجانب الثانى من زينة ومتاع ، أخرج الترمذى عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال :

« عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب أشبع يوما وأجوع يوما »[2] .

هكذا أعرض عنه وهو يردد قولته المشهورة : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة »[3] .

أعرض عنه فعاش فى الكوخ والعريش ، ونام على الأرض والحصير .

أعرض عنه بكبح كل جاذبيته ومغرياته ، كبح النفس عن حب الدعة والمتاع ممتثلا قول الرب سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متعنا به

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٦٦/١ .
(٢) أخرجه الترمذى ٥٧٥/٤ ، وقال حديث حسن وهو عند أحمد ٢٥٤/٥ .
(٣) أخرجه البخارى فى عدة مواطن منها ١٠٩/٨ وهو فى الفتح ٢٢٩/١١ ومسلم ١٤٣١/٣ وأحمد فى عدة مواطن منها ٣٨١/٢ .

أزواجا منهم زهرة الحياة الدُّنيا ... ﴾[1] .

وكبح الأزواج عن جذبه إلى أحضان ذلك المتاع الزائل ، كبحهن بقول ربه سبحانه : ﴿ إن كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنَّ وأسرحكنَّ سراحا جميلا ، وإن كنتنَّ تردن الله ورسوله والدَّار الآخرة فإنَّ الله أعدَّ للمحسنات منكنَّ أجرا عظيما ﴾[2] .

هذه هي طبيعة الطريق إلى بناء جماعة المسلمين ، وذاك هو مفهومها أضعه أمام الدعاة إلى الله ليكونوا على بصيرة من أمرهم ، قبل ولوج تلك الطريق وليبصروا المستجيبين لدعوتهم بهذه الطبيعة ، حتى لا يسقطوا فى أثناء الطريق ، والله المستعان .

٢ - أنواع طبيعة الطريق :

وهذه الطبيعة لتلك الطريق تحدث القرآن عنها كثيرا ، ونوعها إلى أنواع كثيرة نستطيع أن نحصرها فى نوعين رئيسيين هما : الخير . والشر . كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾[3] .

وقد لخص الأستاذ سيد قطب أهم تلك الأنواع[4] نختصرها هنا :

(أ) من الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ، ثم لا يجد النصير الذى يسانده ويدفع عنه .

(ب) ومن الفتنة فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعا وهم يهتفون به ليسالم ، وينادونه باسم الحب والرحم واتقاء الله فى الرحم التى يعرضها للأذى والهلاك .

(جـ) ومنها فتنة إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين ،

---

(١) سورة طه آية : ١٣١ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٢٨ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .
(٤) من ظلال القرآن ٢٠/١٠٥ - ١٠٦ باختصار .

تهتف الدنيا لهم ، وتصفق لهم الجماهير والمؤمن مهمل منكر لايحس به أحد ولا يحامى عنه أحد .

(د) ومنها فتنة الغربة فى البيئة ، والاستيحاش بالعقيدة ، حين ينظر المؤمن فيرى كل ماحوله وكل من حوله غارقا فى دنيا الضلالة ، وهو فى طريق غريب .

(هـ) ومنها فتنة أن يجد المؤمن أمما ودولا غارقة فى الرذيلة ، وهى مع ذلك راقية متحضرة فى حياتها ومجتمعها ، ويجدها غنية فى الوقت الذى تشاق الله تعالى وتحارب دينه .

(و) ومنها فتنة الشهرة وجاذبية الأرض وثقلة اللحم والدم ، وهى الطامة لأنها مؤيدة بطبع الإنسان وفطرته .

(ز) ومنها فتنة إبطاء النصر وطول الطريق .

(ح) ومنها فتنة الغرور ، والاتكال على النفس بعد النصر .

هذه الأنواع كلها تعرض للمؤمن فى هذه الطريق ، والفائز هو الذى يستطيع أن يتجاوزها وهو فى طريقه إلى الله تعالى وجناته .

٣ - أهداف هذه الطبيعة :

فصل القرآن الكريم كثيرا[١] من الأهداف من وراء هذه الطبيعة لطريق الدعوة الإسلامية ، ولكنها كلها تصب فى هدف واحد هو الوصول إلى الإنسان الأحسن عملا ، قال تعالى : ﴿ إنَّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾[٢] .

---

(١) انظر الآيات التالية أرقامها وسورها فى تفصيل أهداف هذه الطبيعة : البقرة آية : ٥٥ ، ١٢٤ . آل عمران آية : ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٨٦ . سورة الأعراف آية : ١٦٣ ، ١٦٨ . المائدة آية : ٩٤ . الأنفال آية : ١٧ . الأنعام آية : ١٦٥ . يونس آية : ٣٠ . النمل آية : ٤٠ . الأحزاب آية : ١١ . الفجر آية : ١٥ . القلم آية : ١٧ . الإنسان آية : ٢ .

(٢) الكهف آية : ٧ .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملا ﴾[(١)] .

وبما أن حركات الإنسان وأفعاله ذات علاقة أصيلة فى تسيير دولاب الحركة البشرية – على هذه الأرض – من حيث السلب والإيجاب ، تصلح حركة ذلك الدولاب بصلاح حركة الإنسان ، وتفسد حركته بفساد حركة ذلك الإنسان وأفعاله ، قال تعالى : ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الَّذِى عملوا لعلَّهم يرجعون ﴾[(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إنَّ رحمة الله قريب من المحسنين ﴾[(٣)] .

وللوصول إلى حركة وأفعال الإنسان الصالحة التى تصلح ، بموجبها حركة دولاب الحياة البشرية كلها ، جعل الله تعالى شأنه محكا لتمييز الطيب من الخبيث من تلك الحركات والأفعال ، وأرشد سبحانه رسله وأنبياءه إلى ذلك المحك ، ليقوموا بموجبه بذلك الفرز والتمحيص ، وليسنوه بعد ذلك للسائرين على طريقهم ، والمتبعين لخطاهم من البشر ، ليصلوا إلى المعادن الصالحة من بنى الإنسان ، الذين سيكون على عاتقهم تسيير دولاب الحياة البشرية ، على هذه الأرض ذلك المحك هو الابتلاء والاختبار والامتحان ، الذى جعلناه طبيعة طريق الدعوة إلى الله تعالى .

فالهدف إذن من طبيعة هذه الطريق هو الوصول إلى الصالح من الناس من خلال أفعاله ، لتصلح بصلاحه الحركة البشرية على هذه الأرض .

ولتقريب ذلك المعنى إلى الذهن نأخذ عليه مثالا من قصة طالوت مع الملأ من بنى إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى

---

(١) الملك آية : ٢ .
(٢) الروم آية : ٤١ .
(٣) الأعراف آية : ٥٦ .

إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ...... وقال لهم نبيهم إنَّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا ...... قال إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم .... فلمَّا فصل طالوت بالجنود قال إنَّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنَّه منى إلَّا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والَّذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الَّذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء .... ﴾[١] .

وشاهدنا من هذه القصة العظيمة يبدأ من قوله تعالى : ﴿ فلمَّا فصل طالوت بالجنود ﴾ ، « حيث قرر سيدنا طالوت أولئك الجنود على المحك مرة بعد مرة ، ليصل بموجبه إلى المعدن الذى يمكن أن يدخل به المعركة ، فلا يتخاذل ولا يتراجع طالوت عليه السلام أن أدرك بعلمه الذى هو الصفة الأولى من مؤهلات اختياره قائدا لذلك الجيش قال تعالى : ﴿ وزاده بسطة فى العلم والجسم ﴾ . ضخامة المهمة الملقاة على عاتق جيشه ، وأن هذه المهمة تتطلب معدنا من الرجال تصمد إرادتهم للحرمان ، وتستعلى على الضرورات وتصبر على المتاعب والمشاق » .

وأدرك أن الطريق إلى تلك المعادن أن يبتليهم ويختبرهم ليميز منهم الخبيث والهش ، وليبعد بذرة الضعف والخبال ، وينحى ذوى الهزيمة والخذلان ، ليميزهم ويبعدهم عن اللبنات المؤمنة الموقنة ، عن المعادن الصابرة الثابتة ، المستعلية على كل قوى الأرض وجبروت أصحابها .

ولقد كانت لطالوت النتيجة التى كان يرجوها ، لقد غربل الجيش بالعطش فخرج الذين لايمكن أن يصبروا على شهوات ذواتهم وهم الكثير قال تعالى : ﴿ فشربوا منه إلّا قليلا منهم ﴾[٢] .

---

(١) سورة البقرة الآيات : ٢٤٦ ـــ ٢٥١ .

(٢) البقرة آية : ٢٤٩ .

ثم غربله مرة ثانية فى صورة ذلك القليل الذى لم يشرب ، وصبر على رغبات نفسه ومتطلبات شهوته ، غربل تلك الفئة القليلة ، ولم يقل لم يبق من الجيش إلا القليل فأقف عن الغربلة حتى لا ينفض من حولى ، لم يقل ذلك ومضى فى غربلته ، لأن الميزان عنده ليست الكثرة ولكن الميزان وجود الإرادة الصامدة ولو فى شخص واحد .

ولقد صدق ميزان طالوت ، وتقررت نهاية المعركة برجل واحد . قال تعالى : ﴿ وقتل داود جالوت ﴾[1] .

غربلها بتضخيم قوة جالوت ، وتقليل قوة الفئة المؤمنة ، فخرج منها الذين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، ولم يثبت إلا الذين يظنون أنهم ملاقوا الله واتحدوا مع طالوت فى الميزان وأيدتهم عليه السماء فى صورة قاعدة عامة تتكرر كلما توفرت لوازمها .

تلك القاعدة هى كما قال تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾[2] .

تلك القلة المؤمنة هى التى برزت لجالوت وجنوده . قال تعالى : ﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴾[3] .

والعبرة التى تهمنا هنا من هذه القصة ونسجلها من بين عبرها الكثيرة هى :

(أ) أن طالوت لم يغتر بحماس الكثرة . وهو يسمع دوى هتافها لنبيها : ﴿ ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ﴾ .

(ب) ولم يكتف بمحك واحد لنفوس جيشه بل عرضهم لتجارب متعددة حتى توصل إلى المعدن الذى يريده غير مكترث بالعدد والكثرة . وهى عبرة على

---

(١) البقرة آية ٢٥١ .
(٢) البقرة آية : ٢٤٨ .
(٣) البقرة آية : ٢٥١ .

الدعاة أن يقفوا **بأفرادهم** عندها كثيرا **وأن** لا يدخلوا بهم مهمة قبل أن يمتحنوهم ويختبروهم بمواقف مشابهة لمواقف تلك المهمة ، كالجندى يتدرب على السلاح قبل استعماله فى المعركة .

وخلاصة هذه النقطة :

(أ) أن دولاب حركة هذه البشرية على هذه الأرض لايمكن أن يسير السير الذى يريده الله تعالى له إلا أن تتسلمه أيد تربت التربية التى يريدها الله .

(ب) ولا يمكن الوصول إلى معرفة تلك الأيدى الصالحة إلا بعد تجارب فينكشف بموجبها الصالح من الطالح .

وتلك التجارب هى التى نسميها طبيعة الطريق .

والأيدى الصالحة هى كما قررنا هدف هذه الطبيعة المباركة .

٤ - طبيعة الطريق سنة من سنن الله :

وجعل الله تعالى شأنه طبيعة هذه الطريق سنة من سننه ، يخضع لها أصل خلق الإنسان ، قال تعالى : ﴿ إنَّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملا ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيُّهم أحسن عملا ﴾[٣] .

فالابتلاء فى الآيات معناه الاختبار والامتحان لأفعال الإنسان على هذه الأرض ، وتميز الحسن منها عن الخبيث ، والجماعة الإسلامية قيادة وأفرادا جزء

(١) الإنسان آية : ٢ .
(٢) الملك آية ٢ .
(٣) الكهف آية : ٧ .

من ذلك الإنسان تخضع لما يخضع له أصلها .

فتنطبق عليها سنة الله تعالى شأنه فى اختبار أعمالها ، وتمييز صفها ، وإبعاد الهش من لبناتها ، قال تعالى : ﴿ ولنبلونَّكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثَّمرات وبشر الصَّابرين ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما أتاكم ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾[4] .

وكما أنها تنطبق على عامة المسلمين فهى أشد انطباقا على صفوة الإنسانية من الأنبياء والرسل .

ثم على الذين يلونهم فى التقوى والإيمان .

وقال تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن ... ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربِّى ليبلونى ﴾[6] .

وروى الترمذى وغيره من حديث سعد بن أبى وقاص قلت : « يارسول الله أيِ الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »[7] ... الحديث .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٥ .
(٢) سورة محمد آية : ٣١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٥ .
(٤) سورة الأحزاب آية : ١١ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٢٤ .
(٦) سورة النمل آية : ٤٠ .
(٧) أخرجه الترمذى ٦٠١/٤ وقال عنه حديث حسن صحيح وهو عند ابن ماجه ١٤٣٤/٢ ، والدارمى ٣٢٠/٢ .

وعليه فالابتلاء سنة من سنن الله سبحانه وتعالى لا مفر منها لكل إنسان خلق على هذه الأرض وعلى الأخص دعاة الحق من ذلك الإنسان ، فهم بمجرد نطقهم بالحق يطالبهم الرب سبحانه وتعالى بالدليل على صدق دعواهم . قال تعالى : ﴿ ألم . أحسب النَّاس أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم ﴾[1] .

(۱) سورة العنكبوت آية : ۲ .

المبحث الثانى
نماذج من طبيعة الطريق

أولا : نماذج ما قبل البعثة النبوية :

وكما أن طبيعة الطريق سنة يخضع الإنسان لأحكامها ، والجماعة الإسلامية تتكون من ذلك الإنسان ، فنماذج هذه الطريق تبدأ من اللحظات الأولى لهذا الإنسان :

(أ) النموذج الأول :

قصة ابنى آدم وما قرباه من قربان على هذه الأرض فالله سبحانه يروى لنا قصة من أول قصص الصراع بين الحق والباطل متمثلة فى صورة ابنى آدم وما قرباه من قربان .

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قرَّبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنَّك قال إنَّما يتقبل الله من المتَّقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنِّى أخاف الله ربَّ العالمين . إنِّى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النَّار وذلك جزاء الظَّالمين . فطوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾[1] .

من هناك من لدن سيدنا آدم عليه السلام بدأ الصراع بين الحق والباطل ، وطويت صورة من صور الحق على هذه الأرض لتعود إلى الجنة مرة ثانية منتصرة على الباطل ، الذى كان سببا فى إخراجها منها .

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٧ — ٣٠ .

فما أعظمها وأجلها من طبيعة لهذه الطريق ، وعظمتها تكمن فى سرعة الحركة فيها ، إنها سرعة تفوق كل سرعة تعارف عليها البشر ، سرعة تقطع المسافة على طولها بسرعة أسرع من لمح البصر .

إن طول هذه الطريق هي المسافة بين الأرض والجنة . والوقت الذى تستغرقه هذه الرحلة بمقياس سرعة هذه الطريق ، هو لحظات إزهاق الروح فقط ، والذى يوضح هذه السرعة قصة الرجل المؤمن فى النموذج التالى :

(ب) النموذج الثانى . قصة المؤمن حبيب النجار :

وخير شاهد على سرعة الانتقال من أول هذه الطريق على هذه الأرض ، إلى آخر هذه الطريق وهى الجنة ، نلمسه من برقية بعث بها إلينا مؤمن[1] بعد أن قطع هذه الطريق فى أقل من لمح البصر كما بين ذلك قوله تعالى :

﴿ إنِّى آمنت بربِّكم فاسمعون . قِيلَ ادخل الجنَّة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربِّى وجعلنى من المكرمين ﴾[2] .

فآخر كلمة قالها على الأرض هى (فاسمعون) بعدها مباشرة (قِيل ادخل الجنَّة) وهى نهاية الطريق ، فالفترة التى استغرقتها رحلة ذلك المؤمن ، هى اللحظة ما بين نطقه بكلمة (فاسمعون) وكلمة قيل . كما يصور ذلك النص الربانى من واقع القصة ولحظاتها ، وذهبت تلك اللحظة وصارت عبرة تتلوها الأجيال ويرددها الكون نموذجا من نماذج هذا الطريق .

ومثل هذا ما وقع فى عهد رسول الله ﷺ من ذلك الصحابى الذى كان فى يده ثمرات فرماها وهو يقول إنها حياة طويلة ، فقاتل فقتل[3] ، فإذا هو فى الجنة . فيالها من حلاوة لا يتذوقها إلا من سار على هذه الطريق – طريق الدعوة إلى الله – وياله من إكرام من رب العالمين للسائرين على هذه الطريق ، إكرام فى الدنيا بأن

---

(١) المؤمن قال المفسرون هو حبيب بن مرى النجار (القرطبى ١٧/١٥ والجلالين ص ٢٧٠) .

(٢) يٰس آية : ٢٥ .

(٣) يشير إلى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده ١٣٦/٣ – ١٣٧ فى قصة عمير بن الحمام بن الجموح رضى الله عنه ، وهى فى المستدرك ٤٢٦/٣ ، وأخرجه مسلم مختصرا ٤٤/٦ – ٤٥ .

تسجل أسماؤهم فى سجل الخالدين ، وإكرام فى الآخرة بأن يعيشوا فى رحاب رب العالمين : ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾[1] .

يالها من طبيعة حلوة المذاق فى حقيقتها ، شديدة الوقع على النفس الإنسانية فى ظاهرها ، عظيمة الوزن بمقياس رب العالمين لمن صبر عليها ، وسيئة الوطء بالمقاييس الأرضية الناقصة ، والطبائع البشرية القاصرة .

(جـ) النموذج الثالث : قصة أصحاب الأخدود :

ومن مشهد حبيب النجار إلى نجران حيث جرى مشهد من مشاهد هذه الطريق . إنه مشهد قتل أصحاب الأخدود ، بالنار ذات الوقود ، وهى القصة التى أخذت من القرآن الكريم سورة كاملة سردا وتعقيبا ، ثم جاءت السنة المشرفة تبيينا وتفصيلا .

قال تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النّار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ...... ﴾[2] .

وعن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : « ..... كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إنى كبرت فابعث إلىَّ غلاما أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاما يعلمه ، فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، إلى أن قال : ... فقال : له الملك من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى قال ولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام . فجىء بالغلام فقال له الملك : أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل ، فقال : إنى لاأشفى أحدا ، إنما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل

---

(١) يس آية : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة البروج آيات : ١ إلى ٨ .

على الراهب ، فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا كذا ، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله تعالى .... فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك .... فقال للملك إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ، ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارمنى فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس .... ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام .... فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخدت وأضرم النيران . وقال : من لم يرجع عن دينه فاحملوه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : ياأمه اصبرى ، فإنك على الحق »(1) .

وقد استوقفت هذه القصة الأستاذ سيد قطب فجعلها معلما من « معالم فى الطريق » نلخص بعضه هنا : « أن قصة الأخدود كما وردت فى سورة البروج — حقيقة بأن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله ، إنها قصة فئة آمنت بربها واستعلنت ذلك الإيمان واستعلت به ، ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين مستهترين بحق الإنسان فى حرية الاعتقاد بالحق .

---

(1) أخرجه مسلم ٢٢٩٩/٤ – ٢٣٠١ وهو عند أحمد ١٦/٦ – ١٨ .

لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة فلم يستذلها حب البقاء .

وفى مقابل هذه القلوب المؤمنة الخيرة كانت هناك جبلات شريدة مجرمة تجلس على النار متلهبة بمنظر النار وهى تتوقد بالأجساد المؤمنة الطاهرة .

هذه هى صورة المشهد كما يصورها سيد قطب ، ثم يعالج نقطة هامة فى هذه الطريق ، وهى أن ظاهر تلك النهاية المؤلمة على هذه الطريق يحيك فى الصدر شيئا بالمقايس البشرية ، ولكن القرآن الكريم يبدد هذه النظرة ويمسح ما يحيك فى النفس ، بتعليم المؤمنين شيئا آخر ، ويكشف لهم عن حقيقة أخرى ، ويبصرهم بطبيعة القيم التى يزنون بها ، وبمجال المعركة التى يخوضونها ، إن الحياة وسائر ما يلابسها من لذائذ وآلام ليست هى القيمة الكبرى فى الميزان الإلهى ، إن القيمة الكبرى فى ميزان الله هى قيمة العقيدة ، وانتصار الروح على المادة ، ولقد كان ذلك الانتصار لأصحاب الأخدود .

ثم يقرر السيد : نقطة أخرى وهى أن الناس جميعا يموتون وتختلف الأسباب ولكن الناس جميعا لا ينتصرون هذا الانتصار .

ثم يقرر حقيقة أخرى من نفس القصة وهى : أنه كان فى استطاعة تلك الفئة المؤمنة أن تنجو بحياتها مقابل الهزيمة لإيمانها ، ثم يتساءل سيد ولكنها كم كانت تخسر هى نفسها وهى تقتل هذا المعنى الكبير ؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر بقتل ذلك المعنى الكبير ؟ معنى قتل الإيمان مقابل الحياة الهزيلة المؤقتة .

ثم يواصل سيد استنباطاته من قصة أصحاب الأخدود ، لينير بها حلكة تلك الطريق ، طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى يقرر سيد أن قصة أصحاب الأخدود أخذ للمؤمنين، وترك للمجرمين ، وفى أكثر قصص صراع الحق مع الباطل فى القرآن أخذ للمكذبين ، ونجاة للمؤمنين ، ويعلل ذلك بأن من حكمة الله تعالى شأنه أن يستقر فى حس المؤمنين فى كل زمان ومكان أنهم قد يدعون إلى نهاية كهذه النهاية — نهاية أخذ المؤمنين وترك الكافرين .

ثم يقرر واجب أولئك المؤمنين فى مثل ذلك الموقف بقوله : « إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا — وواجبهم أن يختاروا الله وأن يؤثروا العقيدة على الحياة ،

وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة وأن يصدقوا الله فى العمل والنية . (ثم يعلل) إنهم أجراء عند الله أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا عملوا ، وقبضوا الأجر المعلوم وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى آى مصير فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير »[1] .

هذ هو المشهد والنموذج الذى دارت وقائعه على أرض نجران . والذى ذهب ضحيته فئة آمنت بربها وزادها الله هدى .

ولقد آثرت الأستاذ سيد قطب على نفسى فى نقل وقائع ذلك المشهد الرهيب لاتساع باعه فى هذا المجال ولولوجه هذه الطريق طريق تلك الفئة المباركة وتذوقه نعمها بجسمه النحيل ومشاهدته لآثارها بحسه المرهف – وفوزه أخيرا بالوصول إلى نهايتها وتشرفه بمرافقة الخالدين : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾[2] فى رحاب رب العالمين .

وهو مشهد من آلاف المشاهد على هذه الطريق على امتداد الأزمان أختم به زمن ما قبل البعثة المحمدية العظيمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ثانيا : نماذج من زمن البعثة النبوية :

بعد الوقوف على شئ من مشاهد طبيعة الدعوة إلى الله تعالى فى زمن ما قبل البعثة المحمدية أشرع فى التقاط صور جديدة من طريق الدعوة إلى الله تعالى بعد بعثة الرسول محمد ﷺ .

١ – نماذج من حياة الرسول ﷺ :

(أ) نماذج من أذى المشركين له ﷺ :

وأبدأ بأطهر وأشرف وأزكى إنسان دب على هذه الأرض ، وسار على طريق الدعوة إلى الله تعالى ، فتذوق مرارتها وحلاوتها ، ذلك الإنسان هو رسول

---

(١) معالم فى الطريق للأستاذ سيد قطب ص ١٧٦ . (٢) سورة النساء آية : ٦٩ .

الله محمد بن عبدالله ﷺ ، لتهون متاعب هذه الطريق على الدعاة إلى الله ، وتستريح إلى طبيعتها نفوسهم ، وتطمئن بأحقيتها أرواحهم وأفئدتهم .

إن الأذى الذى تعرض له رسول الله ﷺ من أقذع أنواع السباب ، وتحمله ﷺ كل ذلك ، لخير مضمد للمهتوكة أعراضهم ، وأنسابهم على هذه الطريق ، طريق الدعوة إلى الله تعالى .

إن التآمر على قتل محمد بن عبدالله وهو أكرم إنسان على الله تعالى ، لخير بلسم تشفى وتطمئن به القلوب والأرواح المهددة بالقتل والشنق بين لحظة وأخـــــرى .

وإن التجرؤ بوضع الروث وسلى[1] الماشية على رأس محمد بن عبدالله ﷺ وهو أعظم رأس على الإطلاق ، لخير مسكن لأعصاب الدعاة إلى الله وهى تتلقى كل أنواع الأذى فى كل زمان ومكان .

ولأن التطاول على محمد بن عبدالله ﷺ برميه بالحجارة حتى تدمى عقباه وجبهته وتكسر رباعيته ويشج رأسه الشريف وهو صابر على ذلك كله ، لخير عامل يدفع السائرين على هذه الطريق إلى الأمام ، وينزل عليهم السكينة والطمأنينة والصبر على كل متاعب هذه الطريق ومشاقها وعقباتها .

ولقد سجل لنا القرآن ومصادر السيرة المطهرة كل تلك المهازل وأنواع الأذى الذى تعرض لها رسول الله ﷺ ، ففى جانب الأذى .

قال تعالى : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كـــــذاب ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ﴾[3] .

---

(١) قال فى النهاية ٢/٣٩٦ : السلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه . وذكر : (أن المشركين جاءوا بسلى جزور فطرحوه على النبى ﷺ وهو يصلى) .

(٢) سورة ص آية : ٤ .

(٣) سورة القمر آية : ٢٥ .

قال تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الَّذِين كفروا ليُثْبتوك أو يَقْتلوك أو يُخْرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾(1) .

وأخرج أحمد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : « لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد وأخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال ما يأكله ذو كبد إلَّا ما يوارى إبط بلال »(2) .

قال : هذا عمه أبولهب(3) .

وأخرج أيضا عن ربيعة : « فقال رأيت رسول الله ﷺ بصر عينى بسوق ذى المجاز ، يقول ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، ويدخل فى فجاجها والناس متقصفون عليه(4) ، فما رأيت أحدا يقول شيئا ، وهو لا يسكت يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفحلوا ، إلا أنه وراءه رجل أحول وضئ الوجه ذا غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب ، فقلت من هذا فقالوا : محمد بن عبدالله وهو يذكر النبوة ، قلت : من هذا الذى يكذبه قالوا : عمه أبولهب »(5) .

أخرج أيضا عن ربيعة قال : « إنى لمع أبى رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضئ ذو جمه(6) يقف رسول الله ﷺ على القبيلة ويقول يابنى فلان إنى رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصدقونى حتى أنفذ عن الله ما بعثنى به ، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته . قال الآخر من خلفه : يابنى فلان إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم إلى ماجاء به من البدعة والضلالة ،

---

(1) سورة الأنفال آية : ٣٠ .

(2) أخرجه الترمذى ٦٢٥/٤ ، وقال الترمذى : حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجه ٥٤/١ ، وقال عقب الحديث أخرجه الترمذى فى باب الزهد وقال : حديث حسن صحيح ولم أطلع عليه فى كتاب الزهد والذى ذكره الترمذى عند هذا الحديث فى كتاب القيامة حسن غريب وأيد ابن ماجه الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية ٤٧/٣ أنه حديث حسن صحيح .

(٣ ، ٥) أخرجهما أحمد ٤٩٢/٣ .

(4) متقصفون أى متزاحمون (النهاية ٧٣/٤) .

(6) الجمه : من شعر الرأس ما سقط على المنكبين (النهاية ٣٠٠/١) .

فلا تسمعوا له ولا تتبعوه ، فقلت لأبى : من هذا ؟ قال : عمه أبولهب »[1] .

وأخرج البخارى رحمه الله عن عروة رضى الله عنه أنه قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد شئ صنعه المشركون بالنبى ﷺ ، قال : « بينما النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبوبكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى ﷺ قال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .... الآية »[2] .

وأخرج أبو داود وغيره عن جابر رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه بالموقف يقول : ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى »[3] .

وأخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنه : « لما نزلت الآية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[4] صعد النبى ﷺ على الصفا ، فجعل ينادى يابنى فهر ، يابنى عدى ، لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الذى لايستطيع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبولهب وقريش فقال النبى ﷺ : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبولهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا فنزل قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ الآية ..... الحـديث »[5] .

وأخرج أحمد عن ربيعة بن عباد قال : « رأيت النبى ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذى المجاز وخلفه رجل أحول يقول : لايغلبنكم هذا عن

---

(١) أحمد ٤٩٢/٣ . وانظرصفحة (١٦٢) من البحث .

(٢) أخرجه البخارى ٥٨/٥ وهو فى الفتح ١٦٥/٧ والآية من غافر رقم : ٢٨ .

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٤/٤ ، والترمذى ١٨٤/٥ ، وقال : حديث حسن صحيح وابن ماجه ٧٣/١ وقد تقدم تخريجه فى صفحة (١٦٢) من البحث بتوسع .

(٤) الشعراء آية : ٢١٤ .

(٥) انظر تخريجه ص (١٦٢) من البحث .

دينكم ودين آبائكم . قلت لأبى وأنا غلام : من هذا الأحول الذى يمشى خلفه . قال : هذا عمه أبولهب »(١) .

وأخرج البخارى ومسلم عن ابن مسعود : « أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت وأبوجهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجئ بسلى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به ، فنظر حتى سجد النبى ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر لا أغير شيئا ، لو كان لى منعه قال : فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، فشق عليهم إذ دعا عليهم ، قال : وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ، ثم سَمَّى : اللهم عليك بأبى جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط ، وعد السابع فلم يحفظه .
قال : فو الذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى فى القليب قليب بدر »(٢) .

وأخرج البخارى : وغيره عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها قالت للنبى ﷺ : « هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك مالقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبدياليل بن عبدكلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم

---

(١) مسند أحمد ٤٩٢/٣ وقد سبق نحوه
(٢) أخرجه البخارى ١٧٤/١ ومسلم ١٤١٨/٣ .

الأخشبين ؟ فقال : النبى ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا »[1] .

وأخرج أبونعيم فى الدلائل تتمة هذه القصة عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال : « ومات أبوطالب وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يؤده ، وينصروه فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم أخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وخبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم البلاء ، وما انتهك قومه منه فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشئ قط ؟

وقال آخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً لئن كنت رسولا لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك .

وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟

وأفشوا ذلك فى ثقيف الذى قال لهم ، واجتمعوا يستهزءون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة وهم فى ذلك يستهزءون ويسخرون .

فلما خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم ، فأتى ظل حبلة من الكرم فجلس فى أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء فإذا فى الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذى به . فأرسلا إليه غلامهما عداسا بعنب وهو نصرانى من أهل نينوى .

فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقال رسول الله ﷺ : (بسم الله) فعجب عداس ، فقال له رسول الله ﷺ : من أى أرض أنت ياعداس ؟ قال : أنا من أهل نينوى . فقال النبى ﷺ : من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخارى ١٣٩/٤ - ١٤٠ ومسلم ١٤١٨/٣ والنسائى ٥١/١ ، وأحمد فى عدة مواضع منها ٢٨/٦ ، بتحقيق أحمد شاكر .

من شان يونس ما عرف وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى . قال : يارسول الله أخبرنى خبر يونس بن متى ، فلما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أوحى إليه من شأنه خر ساجداً لرسول الله ﷺ ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء .

فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما شكا ، فلما أتاهما قالا له : ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا . قال : هذا رجل صالح حدثنى عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا ، يدعى يونس بن متى ، فأخبرنى أنه رسول الله فضحكا وقالا : لا يفتنك عن نصرانيتك ، إنه رجل يخدع ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكـــة »[1] .

فمن هذه القصص من الأذى الرهيب لرسول الله ﷺ ندرك شيئا من طبيعة طريق الدعوة إلى الله ، وأنها طبيعة عامة بالرسل وأتباعهم وأنه ليس أمامهم غير الاستمرار فى الدعوة حتى ينصرها الله أو يموت فى سبيلها .

(ب) نماذج من إغراء المشركين لرسول الله ﷺ:

بعد أن عجزت قريش عن إيقاف المد الإسلامى بأساليب التنكيل والتعذيب سلكت أسلوب الإغراء ، قال تعالى : ﴿ وإنْ كادُوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترىَ علينا غيره وإذاً لا تخذوك خليلا ﴾[2] .

قال ابن عباس فى رواية عطاء : « نزلت فى وفد ثقيف أتوا النبى ﷺ فسألوه شططا متعنا بآلهتنا سنة حتى نأخذ ما يهوى لنا ، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وحرم وادينا كما حرمت مكة حتى تعرف العرب فضلنا عليهم فَهَمَّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك فنزلت هذه الآية »[3] .

---

(١) أخرجه أبونعيم فى دلائل النبوة صفحة ١٠٣ ، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة للغزالى صفحة ١٣٢ ، أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح وأخرجها الطبرانى فى الكبير مختصرا وفيه الدعاء المذكور ، وقال الهيثمى ٣٥/٦ وفيه ابن اسحق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات .

(٢) الإسراء آية : ٧٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٩٩/١٠ .

وقال السيوطى فى الدر المنثور عن ابن عباس قال إن أمية بن خلف وأباجهل بن هشام ورجالا من قريش أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : تعالى فاستلم آلهتنا وندخل معك فى دينك وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه فراقه قومه ويحب إسلامهم فَرَقٌ لهم ، فأنزل الله تعالى الآية (1) .

وذكر السيوطى عند قوله تعالى : ﴿ قلْ يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ...... ﴾ .

قال ابن عباس : « إن قريشا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذه لك يامحمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكر آلهتنا بسوء فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك واحدة ولك فيها صلاح قال : ما هى ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . قال حتى أنظر بالتحقق من ربى فجاءه الوحى من عند الله : ﴿ قل ياأيُّها الكافرون ..... ﴾(2) » .

وقال ابن اسحاق : « وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيُّها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد . قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا ابن أخى : إنك منا حيث قد علمت ، من السطة فى العشيرة (السطة : الشرف) والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع . قال :

---

(1) الدر المنثور ١٩٤/٤ .

(2) الدر المنثور ٤٠٤/٦ .

يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا فنبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال رسول الله ﷺ أو قد فرغت يا أباالوليد ؟ قال نعم .

قال : فاسمع منى . قال : افعل ......

فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم .... حم تنزيل من الرحمن الرَّحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا . فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ﴾ .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمدا عليها ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أباالوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أباالوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أباالوليد ؟ قال ورائى أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، يامعشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أباالوليد بلسانه . قال : هذا رأى فيه فاصنعوا ما بدا لكم ... »[1] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٩٣/١ - ٢٩٤ وقال الألبانى هذه القصة أخرجها ابن إسحاق بسند حسن عن محمد بن كعب القرظى مرسلا ووصله ابن حميد وأبويعلى البغوى من طريق آخر من حديث جابر رضى الله عنه كما فى تفسير ابن كثير ٩٠/٤ - ٩١ وسنده حسن إن شاء الله . فقه السيرة ١١٣ وهو مبسوط فى البداية ٤٩/٣ - ٥٢ .

وقال ابن اسحاق : « اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبوسفيان ابن حرب ، والنضير بن الحارث ، (بن كلدة) أخو بنى عبدالدار وأبوالبخترى ابن هشام ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة ، وأبوجهل بن هشام ، وعبدالله بن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم ، قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه :

إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له : يامحمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، ومزقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته ، فيما بيننا وبينك .

أو كما قالوا له : فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك – كانوا يسمون التابع من الجن رئيا – فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيه .

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بى ما تقولون ، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا .

فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم . أو كما قال رسول الله ﷺ . ثم واصلوا فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم

- وهو ابن عمته - فهو لعاتكة بنت عبدالمطلب فقال له : يامحمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرضون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تجعل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل - أو كما قال - فو الله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم إياه »(1) الحديث .

٢ - نماذج من أذى المشركين للصحابة رضى الله عنهم :

وما أصابه عليه الصلاة والسلام أصاب أصحابه رضى الله عنهم ، وهم صفوة هذه الأمة ، وعدولها ، وخير البرية وقمتها ، لقد أصابهم أقسى أنواع الأذى ، وأشده فصبروا فى الله ، وتحملوا حتى لقوا الله تعالى على ذلك ، قال تعالى : ﴿ إن الَّذِين أجرموا كانوا من الَّذِين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾(2) .

قال السيوطى فى الدر أخرج عبد بن حميد عن قتادة : « أن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون قال فى الدنيا ويقولون والله إن هؤلاء لكذبة وما هم على شئ استهزاء بهم »(3) .

---

(1) سيرة ابن هشام ٢٩٥/١ - ٢٩٨ وهى فى البداية والنهاية ٥٠/٣ - ٥١ .
لكن سند ابن اسحاق فيه مجهول . قال حدثنى بعض أهل العلم وقد ذكر هذا المجهول ابن كثير فى البداية فقال : هو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبى محمد إلا أن الحديث مؤيد بحديث عتبة السابق والذى حسنه الألبانى .

(2) سورة المطففين آية : ٢٩ - ٣٢ .

(3) الدر المنثور ٣٢٨/٦ .

قال ابن اسحاق : « ثم إن الإسلام جعل يفشوا بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين »[1] .

وقال أيضاً : « ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر »[2] .

ونقل صاحب البداية عن ابن اسحاق قوله : « ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ »[3]

وقال ابن اسحاق : « وكان أبوجهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك (أى نخطئه) ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .... »[4] .

ومن أمثلة ذلك :

١ — ما رواه البخارى رحمه الله عن خباب بن الأرت يقول : « أتيت النبى ﷺ وهو متوسد بردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه »[5] الحديث

٢ — كما أخرج البخارى أيضا من حديث طويل فى قصة إسلام أبى ذر

---

(١) ابن هشام ٢٩٤/١ .
(٢) المصدر السابق ٣١٧/١ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٤٩/٣ .
(٤) سيرة ابن هشام ٣٢٠/١ .
(٥) أخرجه البخارى ٥٦/٥ — ٥٧ وهو فى الفتح ١٦٤/٧/١٦٥ .

فقال : « يا معشر قريش إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا فضربت لأموت فأدركنى العباس وأكب على ثم أقبل عليهم فقال : أتقتلون رجلا من غفار ..... فلما أصبح الغداة رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ فصنع بى مثل ما صنع بالأمس .... الحديث »(١) .

٣ – وأخرجه أحمد فى مسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه من حديث طويل : « ..... ثم قال : ألا أحدثكما عنه يعنى عمّاراً أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذا بيدى نتمشى فى البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وعليه يعذبون فقال أبوعمار : يارسول الله الدهر هكذا ؟ فقال النبى ﷺ : اصبر ثم قال : اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت »(٢) .

٤ – ومن قصة إسلام عمر أخرج البخارى عن ابن عمر عن أبيه قال بينما هو فى الدار خائف إذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبوعمرو ......، فقال ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونى إن أسلمت . قال : لا سبيل إليك بعد أن قالها آمنت فخرج العاصى فلقى الناس قد سال بهم الوادى . فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذى صَبأ . قال : لا سبيل إليه فكر الناس(٣) .... الحديث .

وقال ابن إسحاق : « رجع أبوبكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذبوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر »(٤) .

وقال : « وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذامة بن جمع يخرج بلالا إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد

---

(١) أخرجه البخارى ١٤/٦ – ١٥ وهو فى الفتح ٩٣/٧ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده بتحقيق شاكر ٣٤٩/١ ، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة ١٠٧ عقب هذا الحديث ، وقال الحاكم ٣٨٣/٣ صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

(٣) أخرجه البخارى ٦٠/٥ وهو فى الفتح ١٧٠/٧ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢٩٠/١ .

وتعبد اللات والعزى . فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد »[1].

وقال : « وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة » .

هذه صورة من مرحلة ما قبل النصر أما ما بعد النصر فقد كان التشكيك من اليهود والتثبيط من المنافقين والعصيان فى أحد والغرور فى حنين .

هذا الابتلاء كله وذاك الاختبار كله والفئة المباركة صابرة وثابتة على دينها وسائرة على الطريق شعارها قوله تعالى : ﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾[2].

هذه المشاهد وغيرها كثير وقعت لتلك الصفوة المباركة بقيادة رسول الله ﷺ على هذه الطريق – طريق الدعوة إلى الله – ثم تكررت هذه الأحداث على امتداد الألف والأربعمائة عام خلت من حياة الإسلام والمسلمين ... كلما حاول الباطل أن يعتدى على الحق ويصده عن مواصلة رحلته فى النفس البشرية والحياة البشرية . وبما أن العبرة قد حصلت مما سردنا من أمثلة وشواهد من ماضى هذه الأمة فى صورة الرسول ﷺ وهو قمة هذه الأمة ، وصحابته رضى الله عنهم وهم صفوة البشرية ، وسيرهم على هذه الطريق على وعارتها وصبرهم على كل صعابها ، وهم فى تلك القمة يجعل سير الدعاة إلى الله من بعدهم على هذه الطريق من باب أولى ، وعليه فإنى سأنتقل من صدر تاريخ الأمة الإسلامية إلى العصر الحديث دون أن أعرج على شئ من مشاهدة هذه الطريق فى تلك الحقبة من الزمن على الرغم من أنها مفروشة بأشلاء الضحايا من دعاة الحق فى كل بقعة من تلك الطريق .

وسأبدأ بنقل الشواهد الجديدة من زمن صحوة الأمة الإسلامية بعد ما أصابها من صدمات ونكسات هذه الصحوة التى ظهرت إشعاعاتها فى العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجرى .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٨/١ .
(٢) الأحزاب آية : ٢٢ .

لأن كل دعاة اليوم هم امتداد لها ، إما امتداد مباشر أو عن طريق الاطلاع على مبادئها من بعد .

ولأن مخططات القمع والإرهاب ومحاولة الاحتواء بكل متاع هذه الحياة موجهة إلى طلائع ذلك البعث الإسلامى من تلك الصحوة المباركة . وإلى أولئك الدعاة – أولئك الدعاة الذين سأحاول جهدى تذكيرهم ببعض ما حدث ويحدث لإخوانهم على هذه الطريق فى هذا العهد ليعتبروا بهم ويثأروا لهم فى الوقت المناسب .

ومحاولة النجاة بهم مما يعد لهم ويرتب من قبل أعدائهم فى مستقبلهم ليحذروه ويحتاطوا له .

أولا : التذكير ببعض ما حدث ويحدث :

(أ) المشهد الأول على هذا الطريق من أرض تركستان وما جاورها من البلاد الإسلامية ، الجاثم على صدرها الحكم الشيوعى الغاشم ، وقع هذا المشهد على أرض تكبر مساحتها[1] إفريقيا ، وهى الأرض التى غطاها الإسلام بنوره ثم غمرها المد الشيوعى واغتصبها ، وقد ذهب[2] ضحية ذلك المشهد ٢٦ مليونا من المسلمين هناك تعذيبا وتقتيلا . وشرد ومسخ باقى الشعوب الإسلامية فى تلك البلاد بأشنع الأساليب وأبشعها .

ذكر الباتكين[3] أن من وسائل المد الشيوعى لحمل المسلمين على الاعتراف بجرائم لم يرتكبوها ما يلى :

١ – إجبارهم على السير حفاة الأقدام على جمرات فحم مشتعلة .

٢ – غرس المسامير بين الأظافر .

---

(١) انظر الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام لعبد الله التل ص ١١٠ .

(٢) طريق الدعوة فى ظلال القرآن ص ١١٢ لأحمد فايز .

(٣) فى كتابه قضية تركستان الشرقية ص ١٧١ باختصار .

٣ – سكب الزيت المغلى على الجسم .

٤ – سلخ جلد الجسم والرأس .

٥ – ترك المعذب واقفا على قدميه أياما متوالية .

٦ – تعليقه فى جوال من الخيش مبلل على الأشجار فى أشد أيام الشتاء .

٧ – إدخاله وهو عار فى ثلاجات مملوءة بالثلج فى أشد أيام الشتاء .

٨ – ضربه بسياط سلكية .

ونقل صاحب طريق الدعوة تتمة ذلك بقوله :

١ – دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل إلى المخ .

٢ – إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه .

٣ – جعل المسجونين هدفا لرصاص الجنود يتمرنون عليه .

٤ – حبس المسجونين فى سجون لا ينفذ إليها هواء ولا نور وتجويعهم إلى أن يموتوا .

٥ – وضع خوذات معدنية على الرأس وإمرار التيار الكهربائى فيها .

٦ – ربط الرأس فى طرف آلة ميكانيكية وباقى الجسم فى ماكينة أخرى ، ثم تدار كل من الماكينتين فى اتجاهات مضادة ، فتعمل كل واحدة مقتربة من أختها حينا ومبتعدة حينا آخر ، حتى يتمدد الجزء من الجسم الذى بين الآلتين ، فإما أن يقر المعذب وإما أن يموت .

٧ – كى كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة إلى درجة الاحمرار .

٨ – صب زيت مغلى على جسم المعذب .

٩ – دق مسمار حديدى أو إبر الجرامofon فى الجسم .

١٠ – تسمير الأظافر بمسمار حديدى حتى يخرج من الجانب الآخر .

١١ – ربط المسجون على سرير ربطا محكما ثم تركه لأيام عديدة .

١٢ – إجبار المسجون على أن ينام عاريا فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء .

١٣ – نتف كتل من شعر الرأس بعنف ، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .

١٤ – تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .

١٥ – صب المواد الحارقة والكاوية فى فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم بعد ربطهم ربطا محكما .

١٦ – وضع صخرة على ظهر المسجون بعد أن توثق يداه إلى ظهره .

١٧ – ربط يدى المسجون وتعليقه بهما إلى السقف وتركه ليلة كاملة أو أكثر .

١٨ – ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة .

١٩ – ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه ، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين .

٢٠ – إحداث ثقب فى الجسم وإدخال حبل ذى عقد واستعماله بعد يومين كمنشار لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل .

٢١ – ولكى يضمنوا أن يظل المسجون واقفا على قدميه طويلا يلجأون إلى تسمير أذنيه فى الجدار .

٢٢ – وضع المسجون فى برميل مملوء بالماء فى فصل الشتاء .

٢٣ – خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض .

٢٤ – والنساء حظهن من مثل هذا العذاب أنهن يعرين ويضربن ضربا مبرحا على ثديهن وصدورهن . أما بقية تعذيب النساء فإننا نمسك عنه . لأن

المواقع التى اختاروها من أجسامهن والطرق الدنيئة التى استعملوها تجعلنا نستحى من ذكرها وكتابتها[1] .

هذا مشهد من مشاهد طريق الدعوة إلى الله لا يكاد يتصوره عقل ، لهول عدد ضحاياه ، وشناعة أساليب التنكيل فيه ، ولكنه حقيقة وقعت أحداثها على أرض تركستان الحبيبة وأكدها[2] أكثر من مصدر موثوق .

(ب) ومن تركستان إلى الهند لنقل المشهد الثانى من مشاهد هذه الطريق ، وأترك الأستاذ سيد قطب يروى لنا قصة ذلك المشهد كما نقله عنه صاحب طريق الدعوة .

والواقع التاريخى الحديث يعطينا هذه الصورة . إن ما وقع من الوثنيين الهنود ، عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار فى بغداد . إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند – ممن أفزعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين فى الهند فآثروا الهجرة على البقاء – قد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضوا فى الطريق بعدما طلعت عليهم العصابات الوثنية المنظمة المعروفة للدولة الهندية جيدا ، والتى يهيمن عليها ناس من الكبار فى الحكومة الهندية ، فذبحتهم كالخراف على طول الطريق وتركت جثثهم نهبا للطير والوحش ، بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة لا تقل – إن لم تزد – على ما صنعه التتار بالمسلمين من أهل بغداد .

أما المأساة البشعة المروعة المنظمة فكانت فى ركاب القطار الذى نقل الموظفين المسلمين فى دوائر الهند إلى باكستان ، حيث تم الاتفاق على هجرة من يريد الهجرة من الموظفين المسلمين فى دوائر الهند إلى باكستان ، واجتمع فى هذا القطار خمسون ألف موظف .. ودخل القطار بالخمسين ألف موظف فى نفق بين

---

(١) طريق الدعوة لأحمد فايز ص ١١٤ .

(٢) انظر مجلة البلاغ العدد ١١٧ وكتاب تركستان من سلسلة مؤلفات محمود شاكر عن البلاد الإسلامية .

الحدود الهندية الباكستانية يسمى (ممر خيبر) وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة متناثرة فى القطار .. لقد أوقفت العصابات الهندية الوثنية المدربة الموجهة للقطار فى النفق ولم تسمح له بالمشى فى طريقه إلا بعد أن تحول الخمسون ألف موظف إلى أشلاء ودماء وصدق قول الله سبحانه : ﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ﴾[1] .

وما تزال هذه المذابح تتكرر فى صور شتى حتى الآن .

كذلك قامت العصابات الهندية بإبادة المسلمين إبادة تامة فى ولايات (بهرات بور) و(الوار) و(كابورتالا) وكان عددهم فى هذه الولايات على التوالى : ١١٠٠٠٠ و٢٥٠٠٠٠ و٢١٣٧٠٤ فلم يعد أحد منهم يرى النور . ولقد بلغ قتلى المسلمين خلال المذابح التى جرت فى شرق البنجاب فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ وفقا لتعداد رسمى ٤٧٢,٠٠٠ نفس .. ثم ماذا فعل خلفاء التتار فى الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك ؟ لقد أبادوا من المسلمين فى خلال ربع قرن ستة وعشرين مليونا .. بمعدل مليون فى السنة ، وما تزال عمليات الإبادة ماضية فى الطريق .. وذلك غير وسائل التعذيب الجهنمية التى تقشعر لها الأبدان[2] .

ونحن بحكم بعدنا عن هذه الأحداث وعدم ملامستنا لها ، قد يساورنا شك فى صحتها ، أو أنها مبالغ فيها ، والحقيقة أن الأرقام المذكورة لضحايا هذا المشهد قد لا تكون قد استقصت كل الأشلاء التى ترامت فى كل مكان من ذلك المشهد ، حيث أن المحصى قليلا ما يدقق فى مثل هذه الحالات الحرجة ، وحيث أن كثيرا من الضحايا وقعت بعيدا عن أعين الناس .

فالذى أريد تأكيده أن أرقام الضحايا أكثر بكثير مما ذكر ، خاصة وأن أجهزة الإعلام وهى المعتمدة فى نقل أحداث العالم بيد الكفر ، وتنشر ما تريد

---

(١) سورة التوبة آية ٨ .

(٢) من طريق الدعوة فى ظلال القرآن ص ١١١ - ١١٢ .

وتخفى مالا تريد نشره ، وعلى الرغم من ذلك فإن أخبار[1] تلك الوحشية فى معاملة المسلمين فى الهند تتسرب إلينا بين حين وآخر ، وفيها ما يدمى القلب ويحرق الفؤاد لما يصيب المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(جـ) من المشهد الثانى على أرض الهند إلى مشاهد متعددة حدثت فى أماكن مختلفة فى العالم الإسلامى ، مستهدفة عناصر البعث الإسلامى من الأمة الإسلامية ، وموجهة من قوى عالمية ذات طابع كفرى واحد ، تلك القوى هى أمريكا ، وروسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا[2] ، قررت ذلك فى اجتماع لسفرائها فى القاهرة عام ١٩٥٤

وقد كان لها ذلك بواسطة أذنابها فى البلاد الإسلامية ، كان لتلك القوى ما أرادت .

فضربت الحركة الإسلامية فى أندونيسيا وفى مقدمتها حزب ماشومى ، وقتل أكثر رجالها وشرد الباقون .

وضربت الجماعة الإسلامية فى القارة الهندية وحكم على مؤسسها الأستاذ أبو الأعلى المودودى بالإعدام[3] .

وضربت جماعة الإخوان المسلمين فى البلاد العربية ، وقتل قادتها وسجن وشرد الباقى ، وصودرت أموالها وممتلكاتها[4] .

---

(١) انظر الأعداد التالية من مجلة المجتمع الكويتية : ١٢٧ - ٢٦٢ - ١٩٣ - ٤٢٨ - ٤٥١ . ومجلة الاعتصام المصرية العدد التاسع .

(٢) ذكر ذلك الشيخ سعيد حوى فى محاضرة له عن سيد قطب فى طيبة الثانوية بالمدينة المنورة . وذكر ذلك الأستاذ جابر رزق فى كتابه .

(٣) انظر كتاب تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند صفحة ٢٢٥ - ٢٩٣ (مسعود عالم الندوى) . وانظر :

الجماعة الإسلامية بالهند .

الجماعة الإسلامية فى باكستان .

الجماعة الإسلامية فى سطور .

وهى رسائل صدرت عن الجماعة فى الهند .

(٤) انظر المصادر التالية لتقف على أنواع التعذيب والقتل والتشريد الذى أصاب هذه الجماعة : =

وضرب حزب فدائيان[1] إسلام فى إيران وحكم بالقتل على كل أفراده .

كل هذه الإبادة لعناصر البعث الإسلامى كانت فى أيام معدودة[2] ومتقاربة ثم واصلت تلك القوى ضرب العناصر الإسلامية[3] والأمة الإسلامية .

ففى يوم واحد أبيدت جزيرة أبا فى السودان بكل سكانها[4] .

وفى يوم واحد قتل فى جزيرة زنجبار أكثر من خمسة عشر ألف مسلم ، وفى الفلبين قتل إلى الآن[5] أكثر من ثمانين ألف مسلم وحرقت مدنهم وقراهم ، وفى

= – مؤامرة ضد الإسلام فى مصر . رسالة صدرت عن الجماعة .
– العالم الربانى . عشماوى أحمد سليمان .
– نافذة على الجحيم .
– حسن البنا مواقف فى الدعوة . عباس السيسى .
– وثيقة خطيرة .
– الأسرار الحقيقية فى اغتيال حسن البنا . جابر رزق .
– القابضون على الجمر . محمد أنور رياض .
– فى الزنزانة . د . على جريشة .
– لماذا أعدم سيد قطب .
– مجلة المجتمع العدد ٢٦٥ .
– الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية . د . إسحاق الحسينى .
– الشيخ حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمين . رؤوف شلبى .
– الإسلام والداعية . الهضيبى .
– هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه . محمد الوكيل .
– المقاومة السرية فى القناة . كامل الشريف .
– أيديولوجية الإخوان المسلمين . ريتشارد ميتشيل .
– قضيتنا . فهمى أبو غدير .
– مجلة الدعوة المصرية أعداد ٧ – ١٤ – ١٥ – ٣٣ – ٣٩ – ٤٠ .

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ص ١٤٤ – ١٧١ .

(٢) نفذ كل هذا ما بين سنة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ م .

(٣) انظر الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ص ١٨٧ – ١٩٩ .

(٤) المجتمع الكويتية العدد ٤٨٤ .

(٥) مجلة المجتمع الكويتية الأعداد التالية : ١٠٩ – ٢٦٢ – ٢٦٩ – ٤٦٢ ، الأمان اللبنانية العدد ٧ .

أوغندا[1] دخلت تلك القوى سافرة فى حرب مباشرة مع المسلمين قتل على إثرها جل الشعب المسلم هناك وشرد من أرضه ووطنه ، وفى لبنان[2] مر ويمر المسلمون بمحنة قاتلة فى الحرب الأهلية الأخيرة ، وفى تشاد[3] تدور حرب أهلية طاحنة هدفها الرئيسى إبادة المسلمين .

وفى المغرب[4] تطارد العناصر الإسلامية . وما يجرى فى أفغانستان[5] اليوم من تقتيل للشعب الأفغانى بمخلب الدب الروسى أكبر دليل على ذلك .

لقد سلط ذلك الأخطبوط الرباعى[6] أضواءه على عناصر الدعوة الإسلامية والبعث الإسلامى فى كل مكان فأنشب مخالبه فى ذلك البعث الهادر .

ولكن ذلك التسلط الشامل وذلك السحق الوحشى لم يزد تلك الطلائع إلا تمسكا بتعاليم دينها ونشرها وتضحية فى سبيلها ولم يزدها إلا عنادا للباطل وخروجا عليه . عبر عن ذلك شاعرهم فى قصيدته المشهورة : من وراء القضبان[7]

---

(١) الأفعى اليهودية ص ١٨٧ والاعتصام المصرية عدد ١٠ .

(٢) انظر المجتمع الكويتية الأعداد الآتية : ٢٨٧ – ٢٩٤ .

(٣) الأفعى اليهودية ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٤) المجتمع الكويتية ٤٦١ – ٤٨٥ .

(٥) انظر المجتمع الكويتية الأعداد الآتية : ٤٥٩ – ٤٦٢ – ٤٦٤ – ٤٦٥ – ٤٦٧ – ٤٦٠ – ٤٥٧ ، مجلة الإصلاح القطرية العدد ١٨ ، مجلة الدعوة المصرية العدد ٤٨ .

(٦) الذى هو أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا .

(٧) والتى نصها :

أخــى أنت حر وراء السدود ... أخى أنت حر بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصما ... فمـاذا يضيرك كيـد العبيـد
أخى ستبيـد جيـوش الظـلام ... ويشرق فى الكون فجر جديد
فأطلــق لروحك أشواقهــا ... ترى الفجـر يرمقنا من بعيـد
أخى قد أصابك سهـم ذليـل ... وغـدرا رمـاك ذراع كليــل
ستبتــر يومـا .. فصبر جميــل ... ولم يرم بعـد عريـن الأسود
أخى . قد سرت من يديك الدماء ... أبت أن تشد بقيـد الإمــاء
سترفـــع قربـــانها للسمــــاء ... مخضبـــة بوسام الخلـــود
أخى هل تراك سئمت الكفاح ... وألقيت عن كاهلـيك السلاح =

وأجابه آخر مؤكدا مواصلة السير على الطريق[1] مهما كانت العقبات والصعاب .

= فمن للضحايا يواسى الجراح ... ويرفع راياتها من جديد
أخى هل سمعت أنين التراب ... تدك حصاه جنود الخراب
تمزق أحشاءها بالحراب ... وتصفعه وهو صلب عنيد
أخى إننى اليوم صعب المراس ... أدق صخور الجبال الرواسي
غدا سأشج بفأس الخلاص ... رؤوس الأفاعى إلى أن تبيد
أخى إن ذرفت علىَّ الدموع ... وبللت قبرى بها فى خشوع
فأوقد لهم من رفاتى الشموع ... وسيروا بها نحو مجد تليد
أخى إن نمت نلقى أحبابنا ... فروضات ربى أعدت لنا
وأطيارها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا فى ديار الخلود
أخى إننى ما سئمت الكفاح ... ولا أنا ألقيت عنى السلاح
وإن طوقتنى جيوش الظلام ... فإنى على ثقة بالصباح
وإنى على ثقة من طريقى ... إلى الله رب السنا والشروق
وإن عافنى السَّوْق أو عقنى ... فإنى أمين لعهدى الوثيق
فإن أنا مت فإنى شهيد ... وأنت ستمضى بنصر مجيد
أخى أخذوك على إثرنا ... وفوج على إثر فوج جديد
قد اختارنا الله فى دعوته ... وإنا سنمضى على سنته
فمنا الذين قضوا نحبهم ... ومنا الحفيظ على دعوته
أخى فامض .. لا تلتفت للوراء ... طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت ههنا أو هناك ... ولا تتطلع لغير السماء
ولسنا بطير مهيض الجناح ... ولن نستذل ولن نستباح
وإنى لأسمع صوت الدماء ... قويا ينادى .. الكفاح الكفاح،
سأثأر ولكن .. لرب ودين ... وأمضى على سنتى فى يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام ... وإما إلى الله فى الخالدين

« المرحوم سيد قطب إبراهيم »

انظر كتاب لماذا أعدم سيد قطب تجد القصيدة فيه.

(١) وأجابه شاعر الموصل بقصيدة إليك نصها :

أخى سوف تبكى عليك العيون ... وتسأل عنك دموع المئين
فإن جف دمعى سيبكى الغمام ... يرصع قبرك بالياسمين
أخى إن قضيت ستحيا بنا ... كأن لم يمر عليك الفنا
فتمرح مهما احتوتك القيود ... وتنعم بالحب ما بيننا =

= أخى عند ذكرك تجرى الدموع ... لتربأ صدع الفؤاد الهلوع
وتسجد فى سيرها للإله ... وتذكركم عنده فى الركوع
أخى أنت مصباح هذى الحياة ... تموت لتبعد عنهما الممات
فأشعل لها فى الظلام الظلوم ... منار الشعوب ونار الطغاة
أخى قد مضى سنة بالمثل ... فكان شهيدا وكان بطل
فإن ذقت أنت صنوف العذاب ... فإنك فى دربهم لم تزل
أخى ما لنا لسكوت سبيل ... فلا يوهمنك صمت طويل
فحقك ينشد فى كل سمع ... سنثأر يوما فصبر جميل
أخى ستنير الدماء الظلام ... وتزرعه رحمة وسلام
فيا سحب غطى شعاع الهلال ... سيشرق بعدك بدر التمام
أخى إننا ما أسأنا الظنون ... بروح قوى وجسم طعين
فماذا تروم لديك الخطوب ... وماذا يضيرك كيد السنين
أخى ما يريدون من مؤمن ... له قبره أفضل المسكن
هلمى أيا حادثات الزمان ... فلن تجدى فيه من موهن
أخى لن ننام وتحى السهاد ... أخى سنحرك قلب الجماد
أخى إن إيماننا لكفيل ... يهز الرواسى ويمحق الفساد
أخى ما يئسنا .. ولن نيأسا ... وما طال فى القلب لبث الأسى
وما حل أفئدة المؤمنين ... سوى أمل فى الجنان رسا
أخى لست وحدك فى الامتحان ... فكن رابط الجأش صلب الجنان
ستصرخ بالظلم كل الشفاه ... ويهزأ بالموت كل لسان
أخى أنت فى النار فى المرجل ... ونحن على بعدها نصطلى
فكن مشعلا خالدا لا يزول ... فنحن الوقود لذا المشعل
أخى فانتظر ولتعش فى غد ... سينبثق الأمل السرمدى
فإن فرقتنا سنى الحياة .. ... فإنّا مع النصر فى موعد
وإنّا مع الله فى موعد

ثانيا : خطط الكفر المستقبلية :

بعد أن أوجزت فى مشاهد المحن التى مرت بالمسلمين فى عهدهم القريب ولا تزال ، أوجز أيضا فى المخططات المستقبلية لقوى الشر فى حَرْب الأمة الإسلامية وسحق طلائع البعث الإسلامى ، فعلى الرغم من وضوح الهدف عن تلك القوى الكافرة وهو تشتيت الأمة الإسلامية وإخماد كل صوت ينادى بوحدتها ورفع رايتها . وعلى الرغم من أن الوسائل المستعملة للوصول إلى ذلك الهدف الرهيب واضحة لهم أيضا من قديم الزمان ومتشابهة ومتواصى بها كافرا عن كافر .

قال تعالى : ﴿ كذلك قال الَّذِين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بيَّنا الآيات لقوم يوقنون ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾[2] .

على الرغم من وضوح ذلك كله إلا أن للتجارب، والملاحظات دورا كبيرا فى المزيد من الخبث والمكر فى حوك المؤامرات على الأمة الإسلامية .

ففى العقدين الماضيين نزلت الاستخبارات الأمريكية[3] البريطانية بصفوة رجالها إلى الشرق الإسلامى للإشراف المباشر على خطط السحق والتدمير لقوة الأمة الإسلامية ، فى صورة طلائعها المباركة وهى الخطط التى ظهرت أخيرا فى صورة كتب ووثائق منشورة بعد أن أعطت ثمارها . منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب لعبة الأمم لمايلز كوبلاند وهو الكتاب الذى كان مؤلفه[4] على رأس اللجنة الموجودة للجهاز التنفيذى للخطة – وهى الانقلابات العسكرية – وهو الجهاز الذى استطاع ضرب الحركة الإسلامية وعرقلة سيرها لفترة من الزمن دون أن ينتصر عليها ، حيث أنه ذهب ملعونا من الله وملائكته والناس أجمعين وبقيت الأمة الإسلامية بقيادة طلائعها المباركة كأقوى ما تكون وأعظم ما تكون .

---

(١) سورة البقرة آية ١١٨ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٣ .

(٣) انظر السياسة الأمريكية والثورة المصرية لمايلز كوبلاند ص ٩ باختصار .

(٤) انظر الكتاب نفسه ص ٩ .

وكما أن تلك القوى الكافرة قد فشلت فى مواجهة الحركة الإسلامية بالجهاز المشار إليه فإنها ستفشل مهما جاءت ببدائل لذلك الجهاز الفاشل ، لأن كيدهما مهما يكن فهو كيد بشر هزيل وكيد شيطانى ضعيف ، قال تعالى : ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾[١] أمام حفظ إلهى للإسلام ودفاع ربانى عن المؤمنين الصادقين .

قال تعالى : ﴿ إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ إنَّ الله يُدَافع عن الَّذِين آمنوا إنَّ الله لا يحب كل خوان كفور ﴾[٣] .

ومنها الوثيقة الخطيرة التى وضعت لإبادة الحركة الإسلامية فى مصر وهى الوثيقة التى نفذت بموجبها محنة الإخوان المسلمين فى مصر فى العقد السابع من القرن العشرين الميلادى باعتراف واضعيها[٤] ومنفذيها وكما جاء مفصلا فى المصادر التى أشرنا إليها فى محنة الجماعة المذكورة ، وهى الوثيقة المرفقة بملحقات هذه الرسالة لأهميتها[٥] .

وبما أن تلك الخطط قد كشفها الله تعالى فقد فكرت أجهزة الكفر فى إيجاد خطط جديدة أشد مكرا وخبثا لضرب التيار الإسلامى القادم الذى يهدد الكفر فى كل أرجاء الأرض فمن هذه الخطط :

١ - التقرير المرفوع إلى بعض المسئولين[٦] فى البلاد العربية لمكافحة التيار الدينى فى بلده والعالم الإسلامى وهو التقرير الذى تعاونت على إعداده

---

(١) سورة النساء آية ٧٦ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) سورة الحج آية ٣٨ .

(٤) انظر دفاع د . عبد الله رشوان عن شكرى مصطفى حيث ذكر الوثيقة المشار إليها وبين أسماء الذين وضعوها ونفذوها واعترافاتهم بذلك .

(٥) انظر الملحق رقم (١) والمنقول عن مجلة الأمان اللبنانية عدد ١٣ وتاريخ ٢٠ جمادى الأول من سنة ١٣٩٩ هـ .

(٦) هو حاكم مصر أنور السادات . انظر نص التقرير فى الملحق رقم (٢) .

صفوة رجال الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية وبعض استخبارات الدول العربية .

٢ - التقرير المرفوع من ريتشارد ب ميتشيل[١] إلى رئيس هيئة الاستخبارات المركزية الأمريكية وهو التقرير الذى ينصح فيه بالكيفية الجديدة لضرب الحركة الإسلامية والأمة الإسلامية وهما التقريران اللذان سيكونان من الملحقات الوثائقية لهذه الرسالة لاحتوائهما على البنود التى ستتبع مستقبلا فى ضرب الإسلام والمسلمين .

والذى يجب على قيادات العمل الإسلامى والدعاة الإسلاميين فى كل مكان إحباطها بكشفها للمسلمين وأخذ كل الاحتياطات اللازمة لتجنب الأمة الإسلامية خطرها ومكايدها . وأخذها بعين الاعتبار فى خطط العمل الإسلامى الأمنية .

وليكن الدعاة الإسلاميين أكبر من قوى الكفر تنظيما وتخطيطا وتنفيذا ولا يصح أبدا أن يلدغوا من جحر مرتين - أى إذا استطاعت قوى الكفر بخططها الماضية النيل من العمل الإسلامى والأمة الإسلامية . فلا يصح بحال من الأحوال أن تعطى فرصة ثانية لضرب الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامى والله تعالى ولى المؤمنين .

خلاصة هذا الموضوع :

وخلاصة موضوع طبيعة طريق الدعوة إلى الله . أنها طبيعة شاقة على النفس البشرية ولكن لابد منها . للوصول بالعمل الإسلامى إلى غايته .

ولقد تذوق هذه الطبيعة كل الذين ساروا على طريق الدعوة إلى الله من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم حيث هى الطريق الوحيد إلى الجنة .

وأن هذه الطبيعة ذات ألوان كثيرة قد تكون فى صورة غياهب سجون وأدوات تعذيب رهيب وأعمدة مشانق . وقد تكون فى صورة بسط متاع ورغد

---

(١) انظر التقرير فى الملحق رقم (٣) والمنقول عن مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٢٨ وتاريخ ١٣٩٩/٢/١٧ هـ .

عيش ، وقد تكون فى صورة غرور ينسى صاحبه الله تعالى واليوم الآخر..

وإن لهذه الطبيعة هدفا هو معرفة الصالح من الطالح ونفى الخبيث عن الطيب وتصفية الصف من أسباب الخبال . وإبعاد اللبنة الهشة من البناء .

هذه هى خلاصة موضوع طبيعة الطريق إلى الله على الدعاة أن يتدبروها ويقفوا عندها طويلا ، وألا يدخلوا من استجاب لدعوتهم فى هذه الطريق إلا بعد أن يبصروهم بطبيعتها ويدربوهم على نماذج منها . حتى لا يسقطوا فى أثناء الطريق فيخسرون جميعا .

والله ولى التوفيق وهو المستعان .

الباب الثالث

أهم الجماعات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية

وفيـه خمسة فصـــول :

الفصـل الأول : حالة العمـل الإسـلامى بعـد سـقوط الخلافة العثمانية .

الفصل الثانى : جماعة أنصار السنة المحمدية .

الفصل الثالث : حزب التحرير .

الفصل الرابع : جماعة التبليغ .

الفصل الخامس : جماعة الإخوان المسلمين .

وتحت كل فصل من هذه الفصول عدد من الجوانب الرئيسية لتلك الجماعات .

الفصل الأول

حالة العمل الإسلامى بعد سقوط الخلافة العثمانية

١ - عمل فردى :

منذ أن سقطت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ م ورجالات الأمة الإسلامية وعلماؤها يجاهدون لإعادة الخلافة الإسلامية إلى حياة المسلمين ، وذلك لا لعلمهم أن إقامة الخلافة ونصب الإمامة فى الأمة أمر يوجبه الدين وحسب ، ولكن لإدراكهم أيضا أن حال الأمة لا يمكن أن يستتب ويلتئم بدون قيادة عامة تجمع تلك الأمة ، على اختلاف أجناسها وألوانها ، وتباعد أوطانها .

ولقد أخذ هذا الجهاد صورا مختلفة على امتداد الأيام .

ظهر هذا الجهاد فى صورة فردية ، كأن يدعو إلى الخلافة الإسلامية عالم من علماء الأمة عن طريق الخطب ، والمقالات فى الصحف ، أو تأليف الكتب[(١)] ، دون أن يكون لهذه الدعوة سند جماعى أو تنظيم حركى .

٢ - عمل جماعى :

وظهر هذا الجهاد فى صورة عمل جماعى ، كأن يؤسس عالم من علماء المسلمين جماعة من المسلمين يكون هدفها إعادة الخلافة الإسلامية إلى حياة المسلمين ، وهذا الجهاد فى صورته تلك انقسم من حيث الهدف إلى قسمين :

---

(١) من الكتب التى ألفت فى الدعوة إلى الخلافة فى صورة دعوة فردية ما يلى :
١ - النكير على منكرى النعمة للشيخ مصطفى صبرى .
٢ - الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين .
٣ - الخلافة : لتقى الدين النبهانى .
٤ - الإمامة : لرشيد رضا .
٥ - نظام الخلافة : للدكتور مصطفى حلمى .

(أ) عمل جماعى هدفه المباشر إقامة الخلافة :

فقسم جعل هدفه المباشر إقامة الخلافة الإسلامية ، وخطط لنفسه وسائله إلى ذلك الهدف ، ومن أصحاب هذا العمل :

حزب التحرير فى سوريا والأردن ، ودعوة الإخوان المسلمين فى مصر وسوريا والسودان وباق الوطن الإسلامى ، وحزب ماشومى فى أندونيسيا ، والجماعة الإسلامية فى الهند وباكستان ، وفدائيان إسلام فى إيران .

(ب) عمل جماعى هدفه المباشر دعوة اجتماعية أو ثقافية أو صوفية :

وقسم جعل هدفه المباشر دعوة اجتماعية وثقافية مثل أنصار السنة فى مصر ، والجمعية الشرعية فى مصر أيضا ، أو دعوة صوفية مثل جماعة التبليغ ، والمهدية فى السودان ، والسنوسية فى المغرب العربى والحجاز .

(ج) عمل جماعى مندثر وآخر مستمر :

وانقسم هذا العمل الجماعى أيضا من حيث الاستمرارية إلى قسمين :

١ – قسم تغلبت عليه الصعاب والعقبات وتوقف عن مواصلة السير ، وانتهى بانتهاء مؤسسه مثل الوهابية والسنوسية .

٢ – وقسم بقى مستمرا فى دعوته ، متغلبا على كل الصعاب والعقبات فى طريقه للوصول إلى هدفه .

وهذا القسم الذى لا يزال مستمرا فى دعوته انقسم إلى قسمين أيضا من حيث المحدودية والشمول فى الدعوة .

القسم الأول : حددت الظروف اتجاهه فأصبح يمثل اتجاها معينا ، من الاتجاهات السائدة فى الأمة الإسلامية ، كأن تمثل جماعة أنصار السنة المحمدية اتجاه السلفيين فى الأمة ، وكأن يمثل الدعوة الصوفية مثلا المهدية ، أو جماعة التبليغ ، وكأن يعبر عن الاتجاه السياسى فى الأمة حزب التحرير مثلا .

والقسم الثانى : هو الذى يحاول أن يكون شاملا لكل الاتجاهات السائدة فى الأمة فكما أنه يدعو إلى الجانب السياسى بإقامة الخلافة الإسلامية فهو يمثل الصوفية

فى جانب تزكية الروح وتطهيرها ، والسلفية فى جانب مطالبة الأمة بالعودة إلى الكتاب والسنة .

ويعتبر هذا القسم أن كل هذه الاتجاهات مشمولة بشمول الإسلام ، وأنه يدعو إلى ذلك الشمول الإسلامى العام ، ويمثل هذا القسم أو تلك الدعوة الجماعة الإسلامية[1] فى الهند والباكستان التى أسسها الداعية الإسلامى أبو الأعلى المودودى رحمه الله تعالى .

وجماعة الإخوان[2] فى العالم العربى ، وحزب ماشومى فى جزر الأرخبيل وفدائيان إسلام فى فارس . ونحن فى هذه العجالة سنوجز الحديث عن صورة ذلك العمل الجماعى باتجاهيه المحدود ، والشامل ، بأخذ مثل واحد عن كل اتجاه للتعريف به والحكم عليه .

فسنأخذ من القسم الأول وهو المحدود الاتجاه ، جماعة أنصار السنة المحمدية عن الاتجاه السلفى ، وعن الاتجاه الصوفى جماعة التبليغ ، وعن الاتجاه السياسى حزب التحرير .

وعن القسم الثانى وهو القسم الذى حاول أن يشمل كل الاتجاهات ، سنأخذ جماعة الإخوان المسلمين لتوفر مصادرها فى الوطن العربى ، ولأنها الجماعة التى تأثرت بها كل الجماعات الإسلامية فى العالم الإسلامى وسارت على خطتها وفكرتها ، ولأنها أكبر الجماعات الإسلامية ذات الاتجاه الشمولى ، محاولين استقصاء أهم غايات وجهود ذلك العمل لإقامة جماعة المسلمين ، ووسائله إلى ذلك .

وسأقتصر فى الكتابة على غايات وجهود ووسائل العمل الجماعى دون الفردى والمستمر دون المندثر . ومثال واحد عن كل اتجاه للأسباب الآتية :

١ - لاعتقادى أن الدعوة الإسلامية لا يمكن أن يحملها إلا جماعة وأن

---

(١) تذكرة دعاة الإسلام للمودودى ص ١٠ - ١٧ طبعة باكستان .

(٢) راجع المؤتمر الخامس لحسن البنا من مجموعة الرسائل ص ٢٤٨ طبع دار الأندلس .

لعمل الفردى بالنسبة لها يبقى صيحة فى فلاة .

٢ - ولأن الجماعة التى لم يبق لها نفوذ فى ساحة العمل الإسلامى لاندثارها أو انحسارها ، لا يمكن أن تقود الأمة وهى فى ذاتها قد اندثرت أو انزوت . ولأن هدفنا توضيح الجهة التى يجب أن يعطيها كافة الناس فى الأمة الإسلامية ولاءهم ونصرتهم . لتتكامل الجهود وتتوحد الوجهات . فكيف ندل على جماعة قد اندثرت ؟!

صحيح قد يستفاد من تجارب تلك الجماعات المندثرة ولكن الذى سيستفيد هى الجماعة المستمرة وليس عامة المسلمين كأفراد ، لأن الفرد إذا حاول تجميع تجارب الآخرين ليقيم عليها عملا جماعيا جديدا فعمله من حيث هو باطل ، لأنه يزيد فرقة الأمة فرقة ، ولأن الأصل فيه أن يكون مكملا للعمل الموجود ومتمما له .

٣ - ومثال واحد عن كل اتجاه ، دون الاستقصاء لكل الجماعات القائمة فى العالم الإسلامى لضيق المقام ، وصعوبة الحصر .

وسأبدأ بالجماعات المحدودة الجهود والاتجاهات لقلة الكتابة فيها ، وسأؤخر الكتابة عن جماعة الإخوان المسلمين لاتساع نشاطها ولكثرة الكتابة عنها ، ولأهميتها ككبرى الحركات الإسلامية كما سماها الدكتور إسحاق الحسينى(١) ، وسأبدأ بجماعة أنصار السنة المحمدية . وبالله التوفيق .

---

(١) مؤلف صدر عن الجماعة بهذا العنوان وهو أحد مصادر هذا البحث .

الفصل الثانى
جماعة أنصار السنة المحمدية

١ - نبذة عن تأسيس الجماعة ومؤسسها :

تأسست هذه الجماعة فى عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م بمدينة القاهرة حى عابدين باسم جماعة أنصار السنة المحمدية[١] ، أسسها فضيلة الشيخ محمد حامد الفقى ، ولد بقرية جزيرة نكلة العنب محافظة البحيرة بمصر سنة ١٣١٠ هـ وهو من خريجى الأزهر بدأ دعوته إلى الكتاب والسنة ، والدعوة السلفية فى أثناء فترة دراسته بالأزهر ، وبعد عمل عظيم وعمر زاهر توفى إلى رحمة الله تعالى فى ٧ رجب ١٣٧٨ هـ وهو الذى تولى رئاستها حتى توفاه الله تعالى[٢] .

٢ - الهيكل الإدارى للجماعة[٣] :

يتكون هيكل المركز العام للجماعة من :

(أ) الرئيس العام للجماعة وهو الذى ينتخب من قبل الجمعية العمومية للجماعة .

(ب) الجمعية العمومية للجماعة حيث يمثل كل فرع عضوين فقط ، ما عدا القاهرة حيث يمثلها خمسة عشر عضوا ، والاسكندرية سبعة أعضاء لاتساعهما وكثرة سكانهما .

(ج) مجلس إدارة شئون الجماعة ، وهو المجلس الذى ينتخب من بين أعضاء الجمعية العمومية للجماعة .

---

(١) لائحة أنصار السنة المحمدية ص ١ باختصار .
(٢) مجلة الهدى النبوى المجلد ٢٣ رجب وشعبان ص ٦٩ — ٧٣ .
(٣) انظر المخطط التفصيلى فيما سيأتى .

(د) الهيئة التنفيذية لأعمال الجماعة وهى المعينة من قبل أعضاء مجلس الإدارة ومناصبها كما يلى :

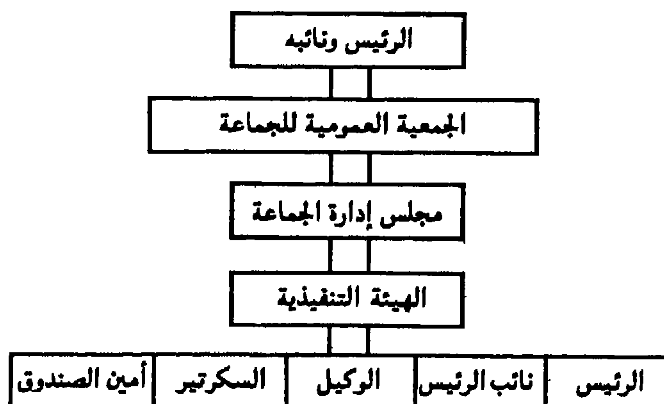
١ – الرئيس .

٢ – نائب الرئيس .

٣ – الوكيل .

٤ – السكرتير .

٥ – أمين الصندوق[1] .



« الهيكل الإدارى لجماعة أنصار السنة المحمدية »

---

(١) انظر للتفصيل فى طريقة الانتخاب وما يجب توفره فى كل عضو وما يتعلق بهيكل الجماعة ص ١٨ – ٢٥ من اللائحة الداخلية للجماعة .

٣ - مقاصد الجماعة :

أما مقاصد وأهداف جماعة أنصار السنة المحمدية فقد لخصها مؤسس الجماعة الشيخ محمد حامد الفقى - رحمه الله - فى كتابه (جماعة أنصار السنة المحمدية دعوتها وأهدافها) ، وكذا اللائحة الداخلية للجماعة فيما يلى :

١ - دعوة الناس إلى التوحيد الخالص .

٢ - إرشاد الناس إلى أخذ دينهم من نبعيه الصافيين : صريح الكتاب وصحيح السنة .

٣ - إرشادهم إلى أن نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنها البتة .

٤ - الدعوة إلى حب رسول الله - ﷺ - حبا صادقا صحيحا يحمل على اتخاذه مثلا أعلى .

٥ - الدعوة إلى مجانبة البدع ومحدثات الأمور .

٦ - محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة .

٧ - إرشاد الناس إلى أن حياتهم الدنيوية والأخروية مرتبطة كل واحدة منها بالأخرى أوثق ارتباط .

٨ - إرشاد الناس إلى أن الله تعالى مدح الخير ووعد فاعله بالمغفرة وذم الشر وتوعد فاعله .

٩ - إرشادهم إلى أن الفسوق والعصيان نتيجة لازمة لعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر .

١٠ - إرشاد الناس إلى أن أوامر الدين ، ونواهيه هى رحمة بهم .

١١ - إرشادهم إلى أن تحريم الرسول بتشريف القبور لأنه ظلم يمقته الله .

١٢ – إرشاد الناس إلى أن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى هلكة فى الدنيا وشقاوة فى الآخرة .

١٣ – إرشاد الناس إلى أن موقفهم من صفات الرب سبحانه وأسمائه يجب أن يكون مطابقا لموقف الرسول ﷺ ، وصحابته رضى الله عنهم .

١٤ – إرشاد الناس إلى أن أصل الداء هو سماحهم للنساء بارتياد الملاهى ودور السينما .

١٥ – إرشاد الناس إلى وجوب تمسكهم بالرجولة لتظل لهم القوامة على نساءهم .

وزادت لائحة[١] الجماعة على ما جاء فى رسالة الشيخ الفقى :

١ – توثيق روابط الإخاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى .

٢ – التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامى[٢] .

٣ – تنشئة الشباب تنشئة دينية وثقافية واجتماعية .

ولخص أحد قادة[٣] الجماعة هذه المقاصد فى عشرة نقاط بقوله : (فهذه عقيدة أنصار السنة المحمدية واضحة فى مبادئها العشرة) :

١ – نعتقد أن الأصل فى الدين هو الكتاب والسنة – أما الأئمة المجتهدون والعلماء والمحدثون فهم أئمة خدموا الإسلام أجل خدمة ، وهم بمنزلة المعلمين والمبلغين ، نحبهم ونجلهم ونعظمهم وندافع عنهم ونتبعهم اتباع المستنير المتأمل ، لوجوه الاستدلال لمن يكون من أهل التأمل والاستدلال ، ثم نتعاون فيما نتفق عليه ، ونتسامح فيما نختلف فيه .

---

(١) من ٣ – ٨ من الرسالة ولائحة الجماعة من ١ – ٣ .
(٢) لائحة الجماعة الداخلية ص ٢ . (٣) هو الأستاذ محمد حسين هاشم .

٢ – نعتقد أن صفات الله عز وجل هى كما وصف نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ حقيقة من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ، ثم نكف عن الجدل فى ذلك ، ونسكت عما سكت عنه الصحابة والسلف ، ونتكلم فيما تكلموا ، لنا فيهم أسوة حسنة ، ونشتغل بالحكمة الإلهية فى الخلق والتشريع لقوله – ﷺ –: « تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذات الله فإنكم لا تقدرون قدره »[1] .

٣ – نعتقد إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة من نذر وحلف واستغاثة واستعانة ، ثم مقاومة كل من يوجه شيئا من ذلك صريحا أو تأويلا بتغيير اسمه إلى غير الله .

٤ – نعتقد أن الإيمان هو التصديق الإذعانى الذى ينتج العمل ويظهر على الجوارح وكل نقص فى العمل مع التمكن منه والقدرة عليه هو نقص فى الإيمان بقدره ، وليس الإيمان مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به ، وإنما هو قول واعتقاد وأخلاق وآداب .

٥ – نعتقد أن البدعة الشرعية هى كل جديد فى العبادات على غير مثال سابق من سنة الرسول ﷺ سواء كان فى أصله أو طريقة أدائه .

٦ – نتفانى فى حب رسول الله ﷺ بأن نتمسك جهد المستطاع بكل ما أمر ونتجنب كل ما نهى والإكثار من الصلاة والسلام عليه وعلى آل بيته الأطهار .

٧ – نعتقد أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث[2] .... الخ – وأن الله سبحانه وتعالى يشفع من يشاء فى عباده لمن ارتضى وأنه – ﷺ -

(١) الحديث فى الجامع الصغير عن أبى عمرو ذكره رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى فى الكامل ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وهو برقم ٣٣٤٨/ وقال المناوى فى فيض القدير : (قال السخاوى : هذه الأحاديث أسانيدها كلها ضعيفة لكن اجتماعها تكسبها قوة) أهـ . ص ٢٦٤/٣ .

(٢) يشير إلى الحديث : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

أخرجه مسلم ١٢٥٥/٣ ، وأبو داود فى ١١٧/٣ ، والترمذى ٦٦٠/٣ وقال : حديث حسن صحيح . وأحمد فى مسنده ٣٧٢/٢ .

صاحب الشفاعة الكبرى وأنه صاحب المقام المحمود والجاه العظيم يوم القيامة .

٨ – نقرأ القرآن للذكرى والتدبر ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾[١] . ونعترف أن استنباط الأحكام منه يكون من اختصاص أهل العلم .

٩ – نعتقد أن الدين الإسلامي جماع الخير فى الدين والدنيا يريد من أهله أن يكونوا أقوياء محسنين فى أعمالهم حتى يكونوا ورثاء الأرض « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف »[٢] .

١٠ – نعتقد أن الإسلام دين ودولة وعبادة وحكم وأنه صالح لكل زمان ومكان[٣] .

٤ – وسائل الجماعة للوصول لأهدافها :

بعد أن بينا بإيجاز أهداف الجماعة للوصول بالأمة الإسلامية إلى الغاية التى أخرجت من أجلها ، وهى الأوسطية والشهادة على الناس تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتحكم فيهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نوجز أيضا وسائل الجماعة إلى أهدافها كما نصت عليها لائحة الجماعة[٤] :

١ – الدعوة للمؤتمرات فى المناسبات المختلفة لتوعية العامة .

٢ – محاربة الأمية عن طريق :

(أ) فتح فصول دراسية فى كافة فروع الجماعة ومساجدها .

(ب) إعداد مدارس للتعليم الإعدادى والثانوى لتقوية الطلبة .

(ج) إعانة الطلبة المستحقين لتمكينهم من مواصلة دراستهم .

٣ – البر بالفقراء والمساكين بقدر ما تسمح به مالية الجماعة .

---

(١) القمر آية ١٧ .
(٢) أخرجه مسلم ٢٠٥٢/٤ ، وابن ماجه ١٣٩٥/٢ عن أبى هريرة .
(٣) المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية – مجلة الهدى النبوى العدد ٢٠ ص ٣٧ – ٣٩ .
(٤) من ١ : ٣ من لائحة الجماعة الداخلية .

٤ - رعاية الأعضاء وأسرهم اقتصاديا وصحيا واجتماعيا .

٥ - إلقاء المحاضرات الغامة فى الأخلاق الإسلامية والآداب الاجتماعية .

٦ - طبع الكتب المؤيدة للسلف الصالح ونشرها بين المسلمين .

٧ - إصدار مجلة دينية علمية وتوزيعها بين المسلمين لتثقيفهم .

٨ - إقامة المساجد والمدارس والملاجىء ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم لتنشئة أبناء المسلمين على العقيدة الإسلامية الصحيحة .

٩ - إصدار الرسائل فى الموضوعات التى تهم جميع المسلمين وبيان رأى الجماعة فيها .

١٠ - تعليم المسلمين السيرة والسنة النبوية علما وعملا فى مساجد الجماعة .

١١ - تيسير رحلات الحج والعمرة تيسيرا منظما وتحت إشراف الجماعة ، ومن خلالها .

٥ - ميدان عمل الجماعة كما حددته لائحتها :

أولا : ميدان الخدمات الدينية والثقافية والاجتماعية .

ثانيا : ميدان المساعدات الاجتماعية(١) وأنها لا علاقة لها بالجدل العقائدى والسياسى كما ينص على ذلك البند رقم ٣ من لائحتها .

٦ - الموارد المالية للجماعة :

وتتكون الموارد المالية للجماعة من المصادر الرئيسية الآتية :

(أ) الاشتراكات الرسمية للفروع .

---

(١) ملخص عن لائحة جماعة أنصار السنة وعن رسالة شخصية من الشيخ عبد العزيز محمد عاشور الأمين العام للجماعة تتحدث عن الجماعة .

(ب) التبرعات والهبات والوصيات لهذه الجماعة من المحسنين .

(ج) حصيلة إيرادات أملاك الجماعة .

(د) الإعانات التى تحصل عليها الجماعة من الدولة ، هذا إلى جانب باق الموارد غير الثابتة كالربح من طباعة بعض الكتب .

٧ - أهم جهود الجماعة :

١ - بعد أن تأسست الجماعة فى مدينة القاهرة وقام رجالها بنشر مبادئها فانتشرت دعوتها فى أنحاء مصر حتى أصبح لها ما يقارب من الخمسين فرعا ، فى مصر وحدها ، إلى جانب فروعها فى السودان وكذا ما يتعاطف معها فى باق البلاد الإسلامية مثل المغرب[١] والمملكة السعودية[٢] وغيرها .

وكل فرع يمثل وحدة متكاملة وهو صورة عن المركز العام ، كما يشرف كل فرع - فى هيكل الإدارة الآنف الذكر - على عدد من المساجد التابعة للجماعة فى حدود منطقته ، وما يتبع ذلك من مدارس ومجمعات طبية .

٢ - قامت الجماعة ببناء ما يقارب الثلاثمائة مسجد فى أنحاء مصر بكل لوازمها ، وبعضها يضم مدرسة لمحو الأمية ، ومجمعا طبيا وصالة للمحاضرات وعددا من الغرف لاستقبال الضيوف الزائرين للجماعة من الخارج .

٣ - قامت الجماعة بتأسيس عدد من المدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومحو الأمية[٣] .

---

(١) مثل تقى الدين الهلالى وجماعته فى المغرب .

(٢) وفى السعودية السلفيون .

(٣) جاء فى مجلة التوحيد العدد ٦ لسنة ١٣٩٣ ما يلى : (تم بحمد الله افتتاح قسم بدار الفرع بدمياط لتحفيظ القرآن الكريم وقد تقدم حتى الآن ١٢٦ طلبا للالتحاق وبدأ القسم فعلا فى مباشرة مهمته الجليلة ويجرى الآن الإعداد لفتح فصل لمحو الأمية) أهـ .

وللاطلاع على مزيد من أخبار الجماعة يمكن الاطلاع على الصفحات والأعداد التالية من مجلة التوحيد الناطقة باسم الجماعة =

٤ – يتبع الجماعة عدد من المجمعات والمستوصفات الطبية ، والتى يداوم فيها عدد من أطباء الجماعة فى تخصصات مختلفة ، فى فترتى ما بعد العصر والمغرب ، وتقوم هذه المجمعات بعلاج المرضى بأجرة رمزية .

٥ – تقيم الجماعة مؤتمرات إسلامية فى فترات مختلفة بحسب المناسبات والأعياد ، تقوم فيها بتوعية الأمة ، ونشر الفضيلة بينهم .

= **المجلد الأول لسنة ١٣٩٣ هـ**

العدد ٦ لسنة ١٣٩٣ ص ٥٤

العدد ٧ لسنة ١٣٩٣

العدد ٨ لسنة ١٣٩٣ ص ٤٦

العدد ٩ لسنة ١٣٩٣ ص ٤٧

العدد ١١/١٠ لسنة ١٣٩٣ ص ٤٧

المجلد الثانى لسنة ١٣٩٤ هـ

العدد ١ ص ٤٥

العدد ٢ ص ٤٦

العدد ٣ ص ٤٨

العدد ٤ ص ٤٧

العدد ٥ ص ٤٨

العدد ٦ ص ٤٨

العدد ٧ ص ٤٨

العدد ٨ ص ٤٧

العدد ٩ ص ٤٧

العدد ١٠ ص ٥١

المجلد الثالث سنة ١٣٩٥ هـ

العدد ١ ص ٥١

العدد ٢ ص ٥١

المجلد الرابع سنة ١٣٩٦ هـ

العدد ٤ ص ٤٧

العدد ٦/٥ ص ٦٢

العدد ٩/٨ ص ٦٤

العدد ١١/١٠ ص ٦٣

العدد ١٢ ص ٦٢

المجلد الخامس سنة ١٣٩٧ هـ

العدد ١ ص ٤٩

العدد ٢ ص ٤٩

العدد ٣ ص ٣٩

العدد ٤ ص ٤٨

العدد ٥ ص ٤٩

العدد ٦ ص ٤٩

العدد ٧ ص ٤٩

العدد ٨ ص ٤٩

العدد ٩ ص ٤٩

العدد ١٠ ص ٦٥

العدد ١١ ص ٤٩

العدد ١٢ ص ٤٩

المجلد السادس سنة ١٣٩٨ هـ

العدد ٢ ص ٤٩

العدد ٥ ص ٤٩

العدد ٦ ص ٤٨

العدد ٨ ص ٤٩

العدد ١٠ ص ٤٩

العدد ١١ ص ٤٩

العدد ١٢ ص ٤٨

٦ - أصدرت الجماعة مجلتين إسلاميتين شهريتين ،. الأولى باسم الهدى النبوى ، والثانية باسم التوحيد . ثم أوقفت الأولى وتابعت الثانية مسيرتها وهى مجلة واسعة الانتشار فى العالم الإسلامى ، وتعالج كثيرا من مشاكل المسلمين الثقافية والاجتماعية .

٧ - تقوم الجماعة بتقديم الكثير من المساعدات لأسر إسلامية فقيرة وإعانات لطلاب قعدت بهم الظروف عن مواصلة الدراسة النظامية فى المدارس والجامعات .

٨ - تقيم الجماعة مخيما للحجاج من أعضاء الجماعة فى كل عام تكفل نقلهم من مصر وإليها ، وكذا تنقلاتهم وإقامتهم فى المشاعر المقدسة بأجور رمزية .

وتقوم الجماعة بتوعية أفراد الرحلة ببرامج إسلامية مختلفة .

٨ - الجماعة فى نظر الآخرين :

وفى مجال نقد الجماعة فى صورة الدعوة السلفية فقد نقدها كثير من المعاصرين منهم الدكتور صادق أمين فى كتابه الدعوة الإسلامية .

ومن مأخذه عليها :

١ - كون الجماعة لا تمثل حركة ذات منهج فى التربية والتكوين والتخطيط .

٢ - كون الجماعة ليس لديها أهداف مرحلية محددة .

٣ - كما لا يوجد عندها تنظيم يربط أفراد الجماعة بعضهم ببعض .

٤ - اقتصار الجماعة على عدد قليل من المتدينين .

٥ - كون جهد الجماعة يذهب فى الجدال حول فرعيات الدين والتى ليس من مصلحة الدعوة الإسلامية الخوض فيها فى الوقت الحاضر .

٦ - اعتبارهم النظام والتنظيم بدعة عصرية لا أصل لها .

٧ - اعتبارهم البيعة لإمام أو أمير أيضا بدعة عصرية لا أصل لها .

وقد فصل الإجابة عن هذه الأمور بما يراه وذكر بعض الأحاديث النبوية مدللا بها على أقواله[1] .

ومن الذين تعرضوا لنقد الجماعة أيضا سليم الهلالى وزياد الدبيج فى كتابهما الجماعات الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة ومن مأخذهما عليها :

١ - أنها غير جادة فى استئناف الحياة الإسلامية وإنشاء المجتمع الإسلامى ، لأن ذلك يقتضى وجود جماعة منظمة لها أهدافها وهذا ما تفقده الجماعة .

٢ - افتقار الجماعة إلى خطة فى التربية الإسلامية .

٣ - كون الجماعة تعارض فى النظام والتنظيم مدعية أنه غير ضرورى ولا جدوى منه[2] .

٩ - قاعدة تقويم الجماعات عندى :

بعد أن لخصت الكتابة عن الجماعة ، أهدافها ووسائلها ، وجهودها ، ومكانتها فى نظر بعض المفكرين الإسلاميين ، وقبل أن أدخل فى تقويمى للجماعة أحب أن أقعد قاعدة لتقويم الجماعات عموما ألخصها فيما يلى :

١ - القاسم المشترك الذى سأرجع إليه عند تقويمى للجماعات الإسلامية هو الإسلام ، به سأزن أهدافها ، ووسائلها ، وأفكارها ، وسميته قاسما مشتركا لأنى أشترك مع كل الجماعات الإسلامية أنه هو المرجع الوحيد الذى يجب أن يرجع إليه المسلمون عند الاختلاف على أمر من أمورهم .

قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[3] .

---

(١) انظر الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ص ٨٦ - ٨٧ لمؤلفه الدكتور صادق أمين (باختصار) .

(٢) مختصرا من كتاب الجماعات الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة لمؤلفيه سليم الهلالى وزياد الدبيج ص ٩٣ - ٩٦ .

(٣) سورة النساء آية ٦٥ .

وقوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردُّوه إلى الله والرسول ﴾[1] .
وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »[2] .

٢ - أنى لا أحكم على الجماعات الإسلامية من خلال تصرف من تصرفات بعض أفرادها[3] ، أو خطأ وقع فيه بعض من أفراد تلك الجماعات ، ولكن حكمي سيكون بعد دراسة مستوعبة لغايات ووسائل وأفكار نفس الجماعات ، أى ما كان مقرا عندها كجماعة وذلك لاعتقادى :

أولا : أن الفرد فى حد ذاته لا يمكن بحال من الأحوال أن يكمل يوما ما ، والذى يمكنه هو أن يصلح ويتوب من أخطائه فى جانب من جوانب حياته ، أو تصرف من تصرفاته ، ويخطىء فى جانب أو جوانب أخرى فى حياته . بل ويخطىء وهو يصلح نفس الخطأ الأول . وسند ذلك الاعتقاد ما يلى :

(أ) أن هذا الإنسان قاصر وناقص فى كل جزء من تركيبه ، لحكمة عند خالقه تعالى شأنه ، فهو محدود فى بصره وسمعه وعقله وكل شيء فيه ، فهو يبصر ولكن إبصار ناقص ، ووجه نقصه المحدودية فى المسافة المبصرة ، ويسمع ولكنه ناقص ووجه نقصه المحدودية فى جهاز الاستقبال عنده ، وعليه فلا كمال لذلك الإنسان .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) ذكره الخطيب التبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٩/١ وقال الإمام النووى فى أربعينه ص ٢٨ (هذا حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح) ورقم الحديث فى المشكاة بتحقيق الألبانى ١٦٧ .

(٣) الدافع إلى جعل هذا المقياس - وهو الحكم على الجماعات من خلال أحكام الإسلام ، ومن خلال غايات ووسائل وأفكار الجماعات فيها وليس تصرفات وأخطاء بعض أفراد تلك الجماعات - هو أن كثيرا من الناس ، وفى مقدمتهم الشباب الطموح للعمل للإسلام ، والدعوة إليه تركوا الانتماء إلى الجماعات الإسلامية الموجودة بحجة أنّ فيها أفرادا مقصرين ، وغير ملتزمين بأكثر أو ببعض سنن الدين الإسلامى ، وفروعه ، وهذا خطأ كبير فى حق الجماعات لأنه حكم عليها من خلال أفراد فيها ، والعلاج الحق لمثل هذا : هو أن ينخرط أولئك الشباب الذين لهم هذه الملاحظات فى تلك الجماعات ويباشرون إصلاح ذلك النقص الذى يأخذونه على هذه الجماعات وأما إذا بقى أولئك على أخطائهم ، وهؤلاء على تركهم . فالكل مخطىء وخطأ التارك للجماعة أعظم لأنه ترك واجبا لا يتم الواجب إلا به ، لأن الدعوة إلى الإسلام فريضة ولا يمكن أن تقوم هذه الفريضة إلا بجماعة ، فإذا الانتماء إلى الجماعة واجب لا يتم الواجب الأعظم إلا به .

ومن طلب منه ذلك فهو يطالبه بالمستحيل .

(ب) ولقول النبى ﷺ : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »[1] .

(ج) ولأن مجتمعه ﷺ وهو خير القرون على الإطلاق لم يخل من مقصر أو مخطىء فقد كان فيه حاطب بن أبى بلتعة كما روى قصته البخارى عن على رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » ، قال : فانطلقنا .... فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه (عن حاطب بن أبى بلتعة – إلى ناس بمكة من المشركين – يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل على إنى كنت امرأ ..... فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فأنزل الله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .... إلى قوله تعالى : فقد ضل سواء السبيل ﴾ الحديث ا . هـ[2] .

وفى ذلك المجتمع كان أبو لبابة كما جاءت قصته فى السيرة النبوية وملخصها أنه حكم على نفسه بخيانة الله ورسوله ، عندما أرسله النبى ﷺ إلى يهود بنى قريظة بناء على رغبتهم ليستشيروه فى أمر حصار النبى ﷺ لهم خمسا وعشرين ليلة ، فأرسله النبى ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ، فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على

---

(١) رواه الترمذى ٦٥٩/٤ ، وابن ماجه ١٤٢٠/٢ ، والدارمى ٣٠٣/٢ ، وأحمد فى مسنده ١٩٨/٣ وقال المناوى فى فيض القدير قال الحاكم : صحيح فقال الذهبى : بل فيه لين .

(٢) أخرجه البخارى ١٨٦/٦ ، ومسلم ١٩٤١/٤ ، والترمذى ٤٠٩/٥ ، وأبو داود ٤٧/٣ ، وأحمد ١٠٥/١ .

حكيم محمد ؟ قال : نعم وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ﷺ ، ثم انطلق على وجهه ولم يأت النبى ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى .... وقال ابن هشام : وأنزل الله تعالى فى أبى لبابة : ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[1] .

هذه النماذج وغيرها كانت فى المجتمع الأول ، وهو المجتمع الذى كان يشرف على قيادته المباشرة رب العالمين ، ينبه على أخطائه أولا بأول .

ثانيا : إن تصرفات الأفراد عندى لا يمكن أن يحكم بموجبها على الجماعات التى ينتمى إليها أولئك الأفراد .

(أ) لأنه فى نظرى تجنى ، ولأنه حكم على ذات غير الذات المرتكبة للخطأ . يشبه ذلك الحكم ، حكم أولئك الجهلة الذين يحكمون على الإسلام أنه دين غير صالح لمسايرة العصر الحالى ، لتخلف أهله ومعتنقيه ، حيث حكموا على ذات الإسلام بعدم الصلاح لأن أهله متخلفون وهو حكم فاسد .

(ب) ولأن مجتمع الرسول ﷺ كان يضم فى عضويته طائفة من المنافقين ولم يقل أحد من الناس أن ذلك المجتمع غير صالح لأن فيه تلك الطائفة الفاسدة . بل قيل إنه المجتمع الذى لا يمكن أن يتكرر فى سموه وأفضليته .

بموجب هاتين القاعدتين سيكون تقويمى للجماعات الإسلامية التى سأتحدث عنها فى بحثى . والله ولى التوفيق .

١٠ – تقويمى لجماعة أنصار السنة :

وتقويمى لجماعة أنصار السنة المحمدية ينطلق من دراسة موسعة لكل ما كتبوا أو كتب عنهم تقريبا ، ومخالطة لقياداتهم ، بل والوقوف على كثير من أعمالهم وحركة فروعهم فى مصر ، عندما كنت فيها[2] .

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٢/٣ .

(٢) حين لقيت كثيرا من قيادات جماعة أنصار السنة المحمدية وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد على =

فمن هذا المنطلق أبدأ بتقويمى للجماعة من خلال غاياتها ووسائلها : إن أهداف وغايات ومبادىء أنصار السنة المحمدية أهداف وغايات ومبادىء سامية منها ما تتفق فيها مع أكثر الجماعات الإسلامية المعاصرة ، ولكن وسائل الجماعة إلى تلك الأهداف والمبادىء وسائل قاصرة ومحدودة ولا يمكن أن توصل إلى أهداف الجماعة الكبيرة إذا بقيت تلك الوسائل على قصورها ومحدوديتها . ولنأخذ واحدا من أهدافها مثلا لندلل على قصور وسائل الجماعة ، وأنها لا يمكن أن توصل إلى أهدافها بتلك الوسائل ، هذا الهدف هو ما عبر عنه مؤسس الجماعة : (دعوة الناس إلى التوحيد الخالص)[١] .

هذا الهدف وحده أرسل الله من أجله كافة الرسل[٢] .

وهو الهدف الذى مكث رسول الله ﷺ ثلاثة عشرة سنة فى مكة وجاهد باقى عمره فى المدينة المنورة لتثبيته والمحافظة عليه ،... وإليه دعا الناس ، وعليه كون من استجاب له ، ومن أجله حمل السلاح فى بدر ، وفى كافة معاركه دفاعا عن ذلك الهدف السامى ، وأعلن للناس كافة ، وكما جاء فى الحديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » الحديث[٣] .

ووسائل الجماعة إلى ذلك الهدف كما بيناها[٤] تتلخص جميعها فى مرحلة واحدة من مراحل دعوة الرسول ﷺ .

هذه المرحلة هى مرحلة نشر الدعوة . بالخطب والمحاضرات والعرض على القبائل ، وإقامة الولائم ، ورفع الظلم عن المساكين[٥] ، والرسائل إلى الملوك

= عبد الرحيم رئيس الجماعة الحالى والشيخ الفاضل عبد العزيز عاشور الأمين العام للجماعة فى زيارتى لمصر فى ١٣٩٩/١٠/٢٠ هـ .

(١) راجع صفحة (٢٦٥) مقاصد الجماعة .

(٢) كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ وانظر الآيات التالية من سورة سيدنا هود ٩٦/٨٤/٦١ .

(٣) سبق تخريجه فى صفحة (٩١) من البحث .

(٤) راجع صفحة ٤ من اللائحة الداخلية للجماعة .

(٥) كعتق أبى بكر الصديق رضى الله عنه مجموعة من العبيد وتموين الضعفاء منهم .

والرؤساء ، إلى غير ذلك من وسائل نشر الدعوة .

ومراحل دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام كثيرة منها مرحلة دار الأرقم بن أبى الأرقم وهى المرحلة التى تلى مرحلة النشر والتبليغ والتى كان يتم فيها البناء النفسى والروحى للأفراد الذين استجابوا للدعوة ، ومثل مرحلة المواجهة (الجهاد) . والتى بدأت بالهجرة ، ثم إشهار السلاح لإزهاق الباطل ، وإحقاق الحق . هذه المراحل من دعوة الرسول ﷺ تقف دونها وسائل الجماعة ، ولم تتطرق إليها كتابات جماعة أنصار السنة المحمدية ، ولا حركتهم فى العمل لتحقيقها كما لمست من مخالطتى لهم فى مصر .

هذه المحدودية التى لمستها فى الجماعة وذكرتها هنا ، لم أذكرها للتشهير والانتقاص من حيث الخطة التى رسمتها الجماعة لنفسها ، لأن خطط الجماعة توضع على أساس إمكانياتها ، والمرحلة التى تعيشها ، ولكنى ذكرت تلك السلبية وهى المحدودية لكونها فى ميدان عمل الجماعة ووسائلها ، ولأنها محدودية يرفضها الإسلام ولأننى قست الجماعة بميزانين :

الأول : غايات ومقاصد الجماعة التى أعلنتها للناس وهى غايات ومقاصد شاملة لأحكام الدين وغير محدودة .

والثانى : هى حركة الرسول ﷺ فى دعوته ، والتى نحن مطالبون بأن نجعلها نبراسا فى طريقنا كلما أردنا وحاولنا إعادة الناس إلى الإسلام وإرشادهم إليه .

وبدون أن ننهج نهجه ﷺ فى خطواته ومراحله نكون قد جانبنا خط السير الصحيح للدعوة إلى الإسلام ، وهى حركة واضحة المعالم شاملة لكل حركات البشرية الصحيحة . فلا أظن أن أحدا من السادة أعضاء جماعات أنصار السنة المحمدية يخالفنى فى هذين الميزانين .

لأن الأول : وهو أهداف ومقاصد الجماعة من وضعهم .

ولأن الثانى : وهو وزن الحركة بميزان الكتاب والسنة هو جزء من عقيدة الأمة الإسلامية .

وهذه المحدودية فى الوسائل عند الجماعة جاءت من جانبين :

الجانب الأول : لأن ميدان عملها محدود من قبل الدولة[1] .

وهذا قيد يخضع الجماعة لأن تحدد وسائلها بموجبه وأن لا تخرج عنه ، وينص البند (٣) من لائحة الجماعة أيضا على تحريم الخوض فى الأمور السياسية وعلى عدم مس العقائد الدينية لبقية الطوائف فى الشعب المصرى ، مثل النصرانية واليهودية وغيرها .

فيقول البند (٣) من لائحة الجماعة : (لا يجوز للجماعة أن تجادل فى الأمور السياسية أو العقائد الدينية) .

وهذا قيد آخر حددت بموجبه وسائل الجماعة ، وهذا قيد يتعارض مع بدهيات الدعوة للإسلام ، ويجب على كل مسلم رفضه ومن باب أولى الجماعات الإسلامية لأنها تمثل القدوة لأفراد الأمة الإسلامية الذين يطلب منهم إقامة جماعة المسلمين .

الجانب الثانى : هو اعتبار الحكومة المصرية هذه الجماعة مؤسسة تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية . أى أن جماعة أنصار السنة المحمدية مؤسسة حكومية تدار من قبل القطاع الخاص ، وأنه من حق وزير الشئون الاجتماعية فى مصر تعيين محل تلك الإدارة من القطاع الخاص موظفين من قبله يقومون عنه بإدارة شئون الجماعة متى شاء .

ينص على ذلك البند (٢٨) من لائحة الجماعة حيث يقول النص :

(لوزير الشئون الاجتماعية أن يعين ممثلا للوزارة وممثلا لكل هيئة من الهيئات فى أعضاء مجلس الإدارة)[2] .

---

(١) حيث ينص على ذلك البند (١) من لائحة الجماعة (وميدان عمل الجماعة : ميدان الخدمات الدينية والثقافية ، وميدان المساعدات الاجتماعية) . انظر الصفحة الأولى من اللائحة .

(٢) انظر ص ٢٥ من اللائحة الداخلية للجماعة .

هذا القيد جاء بعد أن شرحت اللائحة مهام الهيكل الإدارى للجماعة .

وهذا النص يعنى أن الجماعة تعطى ولاءها للدولة وإن كانت تحكم بغير ما أنزل الله . وهو معنى مرفوض أيضا فى تعاليم الإسلام حيث لا يجوز لمسلم أن يعطى ولاءه لغير المسلم . قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .... ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ والّذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاّ تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[3] .

وأما من حيث قيامهم بأعمال مثل جمع تبرعات لإقامة المساجد والجمعات الطبية ، وفتح الفصول الدراسية فإن الجماعة قائمة بجهود ــ كما قدمنا ــ كبيرة وطيبة . نسأل الله تعالى أن يكتب ذلك فى سجل حسنات العاملين عليها وأن يفتح أمامهم مجالات أوسع وأكبر .

هذا تقويمى للجماعة أسأل الله تعالى أن يرشد رجالاتها إلى الأفضل والأكمل إنه على كل شيء قدير .

---

(١) سورة التوبة آية ٧١ .
(٢) سورة الأنفال آية ٧٣ .
(٣) سورة المائدة آية ٤٤ .

الفصل الثالث

حـزب التحـــرير

١ - نبذة عن تأسيس حزب التحرير :

نشأ حزب التحرير فى الأردن[١] ، وأسسه الشيخ تقى الدين النبهانى ، أحد خريجى جامعة الأزهر ، ثم افتتح له فرع فى لبنان فى ١٩/١٠/١٣٧٨ هـ[٢]. على إثر طلب تقدم به مجموعة من أعضائه[٣] هناك إلى الحكومة اللبنانية .

٢ - أهداف الحزب وغاياته :

وغايات الحزب ملخصة فى ما يلى :

(أ) **استئناف الحياة الإسلامية** : وهذه الغاية تعنى إقامة الدولة الإسلامية فى البلاد العربية[٤] أولا ، ثم تستأنف هذه الدولة تطبيق الأحكام والتشريعات الإسلامية فى المجتمع العربى ، كنقطة انطلاق أولى إلى بقية البلاد الإسلامية لاستئناف الحياة الإسلامية فيها بعد أن تسيطر دولة الحزب على تلك البلاد[٥] .

(ب) حمل الدعوة الإسلامية :

وهذه الغاية تعنى فى مفهوم الحزب نقل الدعوة الإسلامية إلى غير الأمة الإسلامية بواسطة الدولة الإسلامية ، والتى سبق أن قامت فى البلاد الإسلامية ،

---

(١) انظر ص ٨٤ من الدعوة الإسلامية للدكتور صادق أمين .

(٢) انظر ص ٣ من بيان الحزب لعام ١٣٧٨ هـ .

(٣) هؤلاء الأعضاء هم : على فخر الدين ، طلال البساط ، مصطفى صالح ، مصطفى النحاس ، منصور حيدر .

(٤) يقول الحزب فى مفاهيمه ص ٦٨ (وحزب التحرير يعتبر المجتمع الإسلامى كله مجتمعا واحدا لأن قضيته واحدة ولكنه يجعل نقطة الابتداء بالدول العربية .

(٥) انظر مفاهيم الحزب ص ٧٣ .

أى أن مرحلة هذه الغاية لا تأتى إلا بعد أن يغطى الحزب كامل البلاد الإسلامية بدولته ، ويستأنف الحياة الإسلامية فيها .

(ج) إعادة بناء المجتمع على أسس جديدة ، وبحسب دستور الحزب[1] :

وهو الدستور الذى يتضمن مائة واثنتين وثمانين مادة .

تعرض الحزب فى هذه المواد للأحكام العامة فى سياسة دولته ثم نظام الحكم فى الدولة . حيث قسمه إلى :

١ – رئيس ٢ – معاونين ٣ – ولاة ٤ – قضاة

٥ – الجهاز الإدارى ٦ – الجيش ٧ – مجلس الشورى .

ثم فصل فى مهام تلك الأقسام وتوسع فى نظام مجلس الشورى وأعضائه وأنهم من الرجال والنساء مسلمين وغير مسلمين ، ثم فصل بعد ذلك النظام الاجتماعى والاقتصادى والتعليمى ... الخ .

ثم فى السياسة الخارجية ، وقد شرح الحزب هذا الدستور شرحا موسعا[2] مدللا على كل مادة من مواده من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

٣ – وسائل الحزب :

فأما وسائل الحزب إلى غاياته الآنفة الذكر ، فقد جمعها فى المادة الرابعة من نظامه ونصها : (طريق الحزب للوصول إلى هذه الغاية هى تسلم الحكم عن طريق الأمة)[3] ، ثم فصل فى الوسائل الموصلة إلى جعل الأمة تساعده على تسلم الحكم ، فى المادتين السابعة والثامنة من نظام الحزب الأساسى نلخصها فيما يلى :

---

(١) انظر بيان الحزب لعام ١٣٧٨ هـ ص ٧ .

(٢) طبع بدون تاريخ وتقارب صفحاته ٤٥٠ .

(٣) بيان الحزب لعام ١٣٧٨ ص ٨ .

(أ) عن طريق المجالس النيابية فى الأمة . لبيان رأيه فى كل ما يتعلق بالدولة والأمة من نافذة رسمية .

(ب) نشر الأفكار التى يتبناها الحزب عن طريق الكتب والنشرات والمجلات والصحف والخطب والمناقشات وغير ذلك من وسائل الإعلام ، لإيصال أفكار الحزب إلى الأمة .

(ج) عقد الاجتماعات العامة ، والخاصة لإعلان مبادىء الحزب .

(د) تقديم المذكرات والكتب وما شاكلها إلى الجهات الرسمية وغيرها لتوضيح أفكار الحزب ومبادئه .

(هـ) تأليف الوفود إلى جهات الأمة .

(و) الاتصالات الخاصة والعامة بالسياسيين ، والحكام ، وجميع من له علاقة بالحكم .

(ز) الاتصالات الخاصة والعامة بكل فئات الأمة من تجار وصناع وزراع وعمال وأصحاب أملاك إلى غير ذلك من فئات الأمة[1] .

وفى كتاب صدر أخيرا عن الحزب تحت عنوان نقد الدستور الإيرانى بين فيه أن وسيلته إلى الحكم هى الجهاد[2] .

٤ - مبادىء الحزب وأفكاره :

بعد أن أوجزنا فى ذكر غايات الحزب ووسائله إليها نختصر أيضا بعضا من مبادئه وأفكاره ، فى الجوانب الحياتية المختلفة :

(أ) فى الجانب الاعتقادى :

يعتمد الحزب فى هذا الجانب على ما أدركه العقل واستساغه الفكر . يقول الحزب فى كتابه الإيمان :

---

(١) انظر بيان الحزب لعام ١٣٧٨ ص ٩ - ١٠ .
(٢) انظر نقد الدستور الإيرانى ص ١ .

(وقد بنى الإسلام العقيدة على العقل فيما يدركه ، أو عن طريق مصادر ثابتة بالعقل مثل القرآن والحديث المتواتر)[١] .

ويقول الدكتور صادق أمين نقلا عن كتاب الحزب (الدوسية)[٢] :

(إن العقائد لا تؤخذ إلا عن يقين . وأنه يحرم أخذ العقيدة بناء على دليل ظنى ، وأن خبر الواحد ظنى)[٣] .

وفى نطاق رده على الحزب فى هذه النقطة قال : (ولا يزال حزب التحرير يحرم على أعضائه الاعتقاد بعذاب القبر وظهور المسيح الدجال . لأن أحاديثها ظنية الدلالة)[٤] .

(ب) وفى الجانب العملى للأحكام الإسلامية :

١ - لا يرى الحزب القيام بأى أعمال من دعوة إلى صلاة أو صيام أو غير ذلك من الأحكام الإسلامية لأن هذه الأحكام فى نظره من خصوصيات الدولة الإسلامية بعد قيامها .

يقول الحزب فى مفاهيمه :

(وأما الفرق بين الدعوة التى تحملها جماعة فى أمة إسلامية وبين الدعوة التى تحملها دولة إسلامية فهو أن الدعوة التى تحملها الدولة الإسلامية تتمثل فيها الناحية العملية ، فهى تطبق الإسلام فى الداخل تطبيقا كاملا .

وأما الدعوة التى تحملها جماعة أو كتلة[٥] فهى أعمال تتعلق بالفكر ولا تتعلق بالقيام بأعمال أخرى) .

---

(١) كتاب الإيمان ص ٦٨ .
(٢) فى كتابه الدعوة الإسلامية ص ١١٣ .
(٣) كتاب الدوسيه هو الكتاب الذى يلزم الحزب أعضاءه بتبنى ما فيه من أفكار ونشرها .
(٤) الدعوة الإسلامية لصادق أمين ص ١١٨/.
(٥) يعنى بالكتلة حزب التحرير قبل وصوله إلى الحكم .

ويقول فى موضع آخر : (عندما تعمل الأمة فى مجموعها تحت قيادة كتلة الدعوة حتى يصلوا إلى الحكم فيوجدوا الدولة الإسلامية وحينئذ تتخذ تلك الدولة حياة الرسول ﷺ فى المدينة المنورة قدوة تسير بحسبها فى تطبيق الإسلام) .

(ولهذا كان لا شأن للكتلة الإسلامية بالنواحى العملية وتعتبر القيام بأى عمل من الأعمال عملا ملهيا ومخدرا ومعوقا للدعوة)[1] .

٢ - ويرى الحزب عدم التعرض للنهى عن الفحشاء والمنكر أو الأمر بالمعروف . لأن ذلك يخالف مرحلة ومهمة الكتلة مستدلا بأن : رسول الله ﷺ كان يدعو فى مكة إلى الإسلام وهى مملوءة بالفسق والفجور وكانت الأصنام تطل على رأسه من الكعبة ولم يرو عنه أنه مس صنما منها ، وكان يقتصر على القول وعلى الناحية الفكرية .

ولهذا لا يجوز للكتلة أن تقوم بأى أعمال أخرى لأن عملها إقامة دولة لحمل دعوة[2] يرتكز الحزب بأفكاره هذه على فهم مغلوط لقوله تعالى : ﴿ الَّذِين إن مكنَّاهم فى الأرض أقاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[3] ... الآية .

(جـ) الجانب الأخلاقى والتعليمى :

لا يرى الحزب الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، أو فتح مجالات لرفع مستوى الأمة التعليمى والعلمى ، بل حدد مهمته بقوله : (لذلك يجب أن تكون الكتلة التى تحمل الدعوة الإسلامية كتلة سياسية ، ولا يجوز أن تكون كتلة روحية[4] ، ولا كتلة أخلاقية ، ولا كتلة علمية ، ولا كتلة تعليمية ، ولا شيئا من ذلك ولا ما يشبهه ، بل يجب أن تكون كتلة سياسية ، ومن هنا كان حزب التحرير حزبا

---

(١) انظر مفاهيم حزب التحرير من ٦٢ : ٦٥ .

(٢) انظر مفاهيم حزب التحرير من ٧٥ - ٧٧ .

(٣) سورة الحج آية ٤١ .

(٤) مفهوم الروحية عند الحزب هى عبارة عن إدراك عقلى عند الإنسان لصلته بالرب تعالى شأنه ولا شىء غيره ، انظر كتاب الإيمان ص ١٨ ومفاهيم الحزب من ١٣ : ١٩ .

سياسيا يشتغل بالسياسة ، ويعمل لتثقيف الأمة ثقافة إسلامية تبرز فيها الناحية السياسية)[1].

وينتقد الحزب الجمعيات الإسلامية التى جعلت منهجها الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة . ويقرر أن الأمم لا تنهض بالأخلاق ، وإنما تكون بالعقائد التى تعتنقها ، وبالأفكار التى تحملها ، وبالأنظمة التى تطبقها[2].

(د) الجانب الفقهى :

أما فى الجانب الفقهى فإن للحزب كتابا موسعا – فيما يقارب الألف صفحة مطبوعا فى ثلاثة أجزاء – تعرض فى هذا الكتاب إلى أبواب فقهية كثيرة ، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالخلافة وأحوالها والجهاد وأبوابه ، وسياسة الدولة الإسلامية الخارجية . ثم مسائل متفرقة مثل الموالاة للكفار ، والهجرة ، والرق ، وبيع الثمار على أصولها ، والإجازة ، والرهن ، والحوالة ، وقد أخذ الدكتور صادق أمين بعض المسائل على الحزب فى هذا الجانب . ألخص منها ما يلى[3] :

١ – أخذ على الحزب تجويزه تقبيل المرأة الأجنبية ومصافحتها .

٢ – وأخذ عليه إباحته للصور العارية .

٣ – وأخذ عليه قوله بسقوط الصلاة عن رجل الفضاء المسلم .

٤ – وأخذ عليه فتواه بسقوط الصلاة عن سكان القطبين من المسلمين .

٥ – وأخذ عليه حكمه بالسجن عشر سنوات على من زنا بإحدى محارمه المؤبدة (مثل الأخت والأم) أ هـ .

(هـ) فى الجانب السياسى :

أما فى الجانب السياسى . فله وجهات نظر كثيرة حول أكثر المسائل

---

(١) مفاهيم حزب التحرير ص ٦٧ .

(٢) انظر التكتل الحزبى لتقى الدين النبهانى مؤسس الحزب ص ١٨ .

(٣) انظر كتاب الدعوة الإسلامية للدكتور صادق أمين ص ١٠٤ : ١٠٥ .

السياسية المعاصرة . ضمنها عدة كتب ونشرات صدرت عنه . اطلعت على بعضها وهى :

١ - نظرات سياسية لحزب التحرير .

٢ - مفاهيم حزب التحرير .

٣ - الفكر الإسلامى .

وهى لا تخرج عن كونها تحليلات سياسية مبنية على التخمين فى غالب الأحوال . وله دستوره[١] الذى ضمنه سياسة دولته المستقبلة . وهو فى مائة واثنتين وثمانين مادة كما أشرنا إلى ذلك[٢] ومن أبرز ما يؤخذ على الحزب فى دستوره :

١ - كون الحزب يجعل من الأمة أحزابا وفرقا متعددة فى داخل الدولة الإسلامية كما تنص على ذلك المادة (١٩) من دستور الحزب : (للمسلمين الحق فى إقامة أحزاب سياسية لمحاسبة الحكام ، أو للوصول إلى الحكم عن طريق الأمة) .

٢ - كون الحاكم فى نظره صاحب حق سن الدستور والقوانين . تقول الفقرة (و) فى المادة (١٢٠) من الدستور : (لرئيس الدولة وحده حق تبنى الأحكام الشرعية فهو الذى يسن الدستور وسائر القوانين) .

٣ - كونه يعطى الحق لغير المسلمين فى الأمة الإسلامية فى عضوية مجلس الشورى كما تنص على ذلك المادة (٢٢) من الدستور : (يجوز لغير المسلمين أن يكونوا فى مجلس الشورى من أجل الشكوى من ظلم الحكام) .

٤ - كون الحزب يعطى المرأة حق العضوية فى مجلس الشورى كما قررت ذلك المادة (٢٤) من الدستور المذكور : (لكل من يحمل التبعية إذا كان بالغا

---

(١) راجع صفحة (٢٨٢) من نفس البحث .

(٢) انظر بيان الحزب لعام ١٣٧٨ هـ من ١٦ : ١٨ وكذا كتابه طريق الإيمان ص ٨٣ : ٨٤ .

عاقلا فى أن يكون عضوا فى مجلس الشورى رجلا كان أو امرأة)[1] .

ولأهمية هذه النقاط ننبه إلى الصواب فيها إن شاء الله تعالى :

أولا : تعدد الأحزاب فى الدولة الإسلامية :

(أ) عندما تقوم الدولة الإسلامية تصبح الأمة الإسلامية قاطبة حزبا واحدا وجسدا واحدا ، ويجب على كل فرد فى هذه الأمة أن يعطى ولاءه لهذه الدولة لأنها هى الكيان الوحيد للأمة ، وكل فرد أو جماعة لا يدين لهذه الدولة بالولاء فإنه يعتبر ببدهيات الدين خارجا على الدولة الإسلامية ، وشاقا لعصا الطاعة فيها . كما قال ﷺ : « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية »[2] .

(ب) وتعدد الأحزاب فى الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية تعنى تعدد الولاءات فيها وهذا ممنوع شرعا ، فقد قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .... ﴾ الآية[3] .

قال الطبرى : (بعضهم أنصار بعض)[4] فإذا كان كذلك فكيف تجتمع نصرتين ، نصرة الحزب ، ونصرة الدولة . وعندما يختلف الاثنان – الدولة والحزب ؟؟!!

(ج) ولا حزب إلا بقيادة ولا قيادة إلا ببيعة وطاعة . وفى الإسلام لا قيادة ولا بيعة إلا لقيادة واحدة وهذه القيادة هى الخلافة ولا طاعة إلا لجهة واحدة هى الدولة .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ...... ﴾ الآية[5] .

---

(١) انظر بيان الحزب لعام ١٣٧٨ هـ من ص ١٦ – ١٨ ، وكذا كتاب طريق الإيمان ص ٨٣ – ٨٤

(٢) أخرجه البخارى ٥٩/٩ ، ومسلم ١٤٧٧/٣ ، وأحمد فى مسنده ٧٠/١ ، والدارمى ٢٤١/٢ .

(٣) الآية ٧١ من سورة التوبة .

(٤) تفسير الطبرى بتحقيق أحمد شاكر ٣٤٧/١٤ .

(٥) سورة النساء آية ٥٩ .

وقال ﷺ : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » .. الحديث[1] :

(د) وتعدد الأحزاب فى الأمة يعنى فتح باب التنازع والاختلاف فى تلك الأمة وهذا مما نهى الإسلام عنه وحذر منه . قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالّذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين ﴾[3] .

ثانيا : مهمة الحاكم فى الإسلام :

(أ) إن مهمة الحاكم فى الدولة الإسلامية باختصار تنفيذ ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ – حيث أن جميع ما تحتاجه البشرية من أحكام موجود فى كتاب الله وسنة رسوله مفصلة ومبينة . قال تعالى : ﴿ وكل شىء فصلناه تفصيلا ﴾[4] .

وقال سبحانه : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[5] .

(ب) وكل ما جد على الأمة من جديد فى أثناء حركتها على امتداد الزمن يرده المجتهدون إلى الأصول المقعدة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، يربطونه بها فروعا لتلك الأصول موحدين بين عللها وأحكامها .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة (٣٣) .
(٢) آل عمران آية ١٠٣ : ١٠٥ .
(٣) الأنفال آية ٤٦ .
(٤) الإسراء آية ١٢ .
(٥) النحل آية ٨٩ .

(ج) وليس للحاكم أن يسن أو يقنن من عند نفسه فى هذا الدين الحنيف إنه كامل من عند الله تعالى الذى أحاط بكل حركة وسكنة يمكن أن تحدث على هذه الأرض ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا .

قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ... ﴾[1] .

ثالثا : مجلس الشورى:

(أ) مجلس الشورى فى الأمة الإسلامية هو المجلس الذى يضم فى عضويته عدول الأمة من أهل الحل والعقد أهل العلم والمعرفة ، كما عبر عنهم البخارى رحمه الله فى صحيحه : (وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم) . (وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانا)[2] .

(ب) مجلس الشورى فى الأمة هو الذى إذا أجمعت كلمته على أمر تعتبر معصومة . هذا المجلس الذى يعتبر قمة الأمة وصدرها ، لا يحق لكافر أن يدخله أو يجوس خلاله ، لأنه لا يعتبر من الأمة التى لا تجتمع على ضلالة ، ومجلس الشورى هو الذى يمثل هذا الاجتماع . قال عليه الصلاة والسلام : « إن أمتى لا تجتمع على ضلالة »[3] .

(ج) إن مجلس الشورى من أركان الحكم ، كما يقرر ذلك الحزب نفسه وإذا كان كذلك فلا يصح أن يتقدم إلى عضويته كافر ، حتى لا يحكم كافر مسلما .

(د) إن مجلس الشورى تبحث فيه أهم قرارات الحكومة الإسلامية ، فكيف يصح أن تعطى أسرار هذا المجلس لكافر لأنه عضو فيه ، حاضر لكل جلساته ، ومستمع لكل مناقشاته ؟؟!!

---

(١) المائدة آية ٣ .

(٢) أخرجه البخارى ١٣٨/٩ وهو فى الفتح ٣٣٩/١٣ .

(٣) انظر تخريجه ص(٨٧)من البحث نفسه .

(هـ) كيف نسمح لمن قال الله تعالى فيهم : ﴿ يا أيُّها الّذِين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ... ﴾[1] الآية .

وقال تعالى : ﴿ إنْ تمسسكم حسنة تسؤهم وإنْ تصبكم سيئة يفرحوا بها وإنْ تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ... ﴾[2] الآية ـــ أن يكونوا أعضاء فى مجلس الشورى .

(و) إذا كانت العلة الشكوى أو محاولة إصلاح الحاكم ، كما علل ذلك دستور الحزب فهناك مجالات واسعة وكثيرة .

منها وسائل الإعلام ، ومنها الرسائل الخاصة ، ومنها تقديم طلب بالشكوى إلى الدولة مباشرة ومنها اللقاءات المباشرة ... إلى غير ذلك من المجالات . إذاوضح ذلك . فلا يصح أبدا أن نفتح مجلس الشورى وهو رأس الأمة الإسلامية للكافرين ليكونوا أعضاء فيه .

رابعا : من أبرز مهام الرجل والمرأة :

(أ) وضح الإسلام كل الوضوح مهمة الرجل والمرأة فى هذه الحياة كل بحسب بنيته وقدراته .

ومن أبرز مهام الرجل أنه صاحب القوامة . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء ...... ﴾ الآية[3] .

فإذا جعلنا المرأة عضوا فى مجلس الشورى كان الأمر معكوسا تماما .

(ب) ومن أبرز صفات الرجل التفرغ للعمل والانصراف إليه ، ومن الصعب انصراف المرأة إلى هذا ، ولو فعلت لتقوضت دعائم الأسرة فى الأمة الإسلامية .

---

(١) آل عمران آية ١١٨ .

(٢) آل عمران آية ١٢٠ .

(٣) سورة النساء آية ٣٤ .

(ج) ومجلس الشورى من أبرز صفات أعضائه رجاحة العقل وعمق الفكرة والمرأة لا تعانقه فى ذلك . أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكنَّ » ... قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : « أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟ » قلنا : بَلَى . قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ؟ » قلنا : بَلَى ، قال : « ذلك من نقصان دينها .... »[1] الحديث .

(د) ومجلس الشورى يعتبر قمة الحكم حيث هو الذى يقر أو لا يقر خطط الحكم ووسائل التنفيذ ، فكيف نجعل المرأة عضوا فيه وقد ذم ذلك رسول الله ﷺ فى حديث أبى بكرة ..... لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »[2] .

(هـ) إن من أبرز صفات المرأة أنها ربة بيت وحاضنة الأجيال فى ذلك البيت فلا يصح أبدا أن نخرجها من ذلك البيت إلى غيره لأن فى خروجها فقط فسادا عظيما . فكيف إذا كان خروجا واختلاطا ؟

(٥) تقويم حزب التحرير :

بعد بيان غاية الحزب ووسيلته ، وسرد بعض أفكار الحزب المعلنة ومحاولة تفنيد بعضها مما له علاقة بصلب موضوع الرسالة ، مثل الشورى ومهمة الحاكم فى الإسلام .....

أشرع فى تقويم الحزب بإيجاز :

أولا : تقويم الحزب من حيث الغاية والوسيلة :

١ – يتفق الحزب مع جماعتى أنصار السنة المحمدية ، وجماعة التبليغ من

---

(١) أخرجه البخارى ٨٣/١ ، ومسلم ٨٧/١ ، وأبو داود ٢١٩/٤ – ٢٢٠ ، والترمذى ١٠/٥ ، وابن ماجه ١٣٢٦/٢ ، وأحمد فى مسنده ٦٧/٢ .

(٢) أخرجه البخارى ٧٠/٩ ، والترمذى ٥٢٧/٤ ، والنسائى ٢٢٧/٨ .

حيث الوسائل فى الاقتصار على بعض غايات الإسلام ، وتوجيهاته ، وترك البعض الآخر !!!

٢ ـــ ويزيد الحزب على الجماعتين المذكورتين :

(أ) بالمحدودية فى ذات الغاية(١) .

(ب) وبقلب ترتيب وسائل الرسول ﷺ للوصول إلى الحكم .

أما المحدودية فقد دخلت على غاية الحزب لأن تلك الغاية خاصة بالبلاد العربية والإسلام جاء إلى سكان الكرة الأرضية كلها .

أما قلب الحزب لترتيب وسائل الرسول ﷺ للوصول إلى الحكم كون وسيلته المباشرة لغايته الجهاد أو تسلم الحكم عن طريق الأمة بنوعيتها سياسيا(٢) .

بينما ترتيب وسائل الرسول ﷺ للوصول إلى الحكم كما فصلت ذلك فى مكانه(٣) .

١ – إخبار الناس بتعاليم الإسلام .

٢ – تكوين المستجيبين لدعوته على تعاليم الإسلام وتوجيهاته .

٣ – المرحلة الأخيرة هى المواجهة المسلحة لمن لم يستجب لدعوتها ووقف فى طريقها وعرقل سيرها .

فالأخيرة فى وسائل الرسول ﷺ (الجهاد) للوصول إلى الحكم الإسلامى هى الأولى بل والوحيدة عند حزب التحرير !!! بل أعرض عليه الصلاة والسلام عن عرض قريش له بتسلم الحكم فيها عندما كان فى المرحلتين الأوليين لأنه مرحلة سابقة لأوانها .

---

(١) انظر صفحة (٢٨١) من هذه الرسالة للاطلاع على غاية الحزب من مصادره .

(٢) انظر صفحة (٢٨٢) من هذه الرسالة للاطلاع على وسيلة الحزب من مصادره .

(٣) هامش رقم (٣) من الصفحة الأولى – انظر المعلم الأول من سيرة الرسول ﷺ ص(١٥٩) ومعلم التكوين أيضا ومعلم المواجهة أيضا ص (١٦٧ ، ١٧٥) من هذه الرسالة .

وإن تعجب فعجب لمجاهد فى سبيل شىء لا يعلمه ولم يتكون عليه .

ثانيا : تقويم الحزب من حيث الفكر :

الانحراف الفكرى عند الحزب والذى سردت جانبا منه نتيجة لانحرافه عن منهج الرسول ﷺ فى دعوته .

فبما أن الحزب ليس لديه (مرحلة تكوين) وهى المرحلة التى مكث فيها رسول الله ﷺ ما يقارب الثلاثة عشر سنة فى مكة ثم باقى عمره فى المدينة المنورة عدم وجود هذه المرحلة فى خطة الحزب نتج عنه تلك الأفكار الشاذة عن الإسلام بل عن السنن الكونية والطبائع البشرية .

(أ) فكون الحزب كتلة سياسية لا أخلاقية شذوذ عن صحيح تعاليم الإسلام .

(ب) وكون الحزب كتلة سياسية لا عبادية ولا عملية شذوذ عن صحيح تعاليم الإسلام بل خروج عن ملته .

(ج) وكون الحزب لا يعتقد إلا بما ثبت فى عقول رجاله أمر فيه مَحْقٌ لأكثر أحكام الإسلام .

(د) وكون الحزب يبتعد عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يصفه بأعظم صفة أخذت على بنى إسرائيل .

هذه الأمور وغيرها مما سردته فى فقرة أفكار الحزب [١] كانت نتيجة ، لعدم وجود مرحلة تكوين عند ذلك الحزب . وهى أمور خطيرة يجب على قيادة الحزب تلافيها وتصحيحها ليتفق منهج الحزب مع الإسلام ، وليصبح بعد ذلك إسلاميا بحق والله تعالى الهادى .

---

(١) انظر أفكار الحزب ومبادئه بصفحه ٢٨٣ من هذه الرسالة .

الفصل الرابع
جماعـة التبليـغ

١ - نبذة عن تأسيسها ومؤسسها :

تأسست جماعة التبليغ فى القارة الهندية بمديرية سهارنفور بعد أن انكشف لمؤسسها طريقة التبليغ التى تتبعها فى دعوتها ، ومما ألقى فى روعه فى المنام[١] من تفسير قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس ﴾ .

إن معنى أخرجت عنده أى تخرج للسياحة وتبليغ الناس الدعوة الإسلامية ، فمن يومها كانت جماعة التبليغ ، وكانت تلك الرؤيا الملقاة فى روع مؤسسها خطتها فى الدعوة إلى الله تعالى .

وأما مؤسسها :

فهو محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل . الحنفى[٢] . الديونيدى[٣] . الجشتى[٤] - الكاندهلوى[٥] . ولد رحمه الله تعالى عام ١٣٠٣ هـ وتوفى عام ١٣٦٤ هـ وكان من أسرة متوغلة فى الطريقة الجشتية[٦] الصوفية وهى الطريقة المنتشرة فى القارة الهندية ، وكان والده على سعة فى المال والعلم ، درس محمد

---

(١) على حد تعبير محمد أسلم نقلا عن كتاب ملفوظات محمد إلياس .

(٢) الحنفى نسبة إلى المذهب الحنفى فى الفقه .

(٣) الديونيدى نسبة إلى المدرسة الديونيدية الحنفية بديونيد بالهند .

(٤) الجشتى نسبة إلى الطريقة الجشتية .

(٥) نسبة إلى بلده .

(٦) راجع رسالة محمد أسلم ص ١٣ وهو أحد قادة الجيش الباكستانى الذين توجهوا لطلب العلم الدينى فحضر إلى الجامعة الإسلامية وقبل بكلية الشريعة فيها ثم تخرج منها عام ٩٨ - ١٣٩٩ هـ .

إلياس الكتب آلابتدائية[1] وحفظ القرآن فى قريته ، ثم رحل إلى مدرسة ديونيد[2]
بعد أن أخذ البيعة[3] من شيخ الطريقة الشيخ رشيد أحمد الكفكوهى .

٢ - بعض أفكار الجماعة ومبادئها :

(أ) القول بوجوب التقليد[4] وفرضيته ، لأن شروط الاجتهاد التى شرطها السلف مفقودة فى العلماء اليوم .

(ب) تعتقد الجماعة أن التصوف هو الطريق لإيجاد التعلق بالله وحلاوة الإيمان ، وهو المقياس الذى تقيس به الجماعة مدى التزام العضو فيها ، وهو الفارق بين الجماعة وجماعة[5] أبى الأعلى المودودى من حيث المذهب والسلوك .

ومن لم يفهم هذا الفارق بين الجماعتين فهو مخادع وواقع فى الخداع[6] .

(ج) لا ترى الجماعة النهى عن المنكر بحال من الأحوال ، معللين ذلك أن المرحلة عندهم هى إيجاد الجو الصالح فيمن استجاب بالدخول فى جماعتهم . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من المعرقلات لهذه المرحلة .

(د) لا يرون الخروج عن الأصول الستة[7] التى حددها لهم محمد إلياس ويعتبرون الخروج عليها خروجا على خطة الجماعة .

---

(١) هى كما تقدم المدرسة التى تدرس المذهب الحنفى بالهند .
(٢) كما هو مبين فى رقم (١) .
(٣) راجع رسالة محمد أسلم ص ١٣ .
(٤) ملخص من ص ٧ (رسالة محمد أسلم) .
(٥) هى الجماعة الإسلامية التى تتزعم الدعوة الإسلامية بحق فى القارة الهندية .
(٦) رسالة محمد أسلم عن الجماعة ص ١٣ .
(٧) سيأتى تفصيلها بعد قليل .

(هـ) يمنعون أفرادهم من التوسع فى العلم والاطلاع على الفلسفات السائدة فى المجتمع من حولهم .

(و) يفرقون بين الدين والسياسة ، فلا يحق لأحد من أفرادهم البحث فى السياسة ، أو الخوض فى أى أمر يتعلق بالحكم ، وعليه فإنهم غير مشتركين فى جبهة المعارضة الباكستانية[1] .

(ز) لا يرون أن دعوة الفرد منهم فى نفس البلد التى هو منها بل على أهل المدينة الفلانية أن يدعو أهل المدينة الفلانية الأخرى والعكس . معللين ذلك بما يلى :

١ - بأن الله تعالى يقول : ﴿ كنتم خير أمَّة أخرجت ﴾ أى إلى خارج بلادها .

٢ - ولأن الإنسان فى بلاده معروف بقصوره غالبا فلا يستجاب له فإذا كان يدعو ناسا يجهلون عيوبه سيستجيبون له[2] .

(ح) لهم مواقف معادية لأصحاب الدعوات الإسلامية الحقة مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنجد ، والشيخ أبى الأعلى المودودى بباكستان والأستاذ سيد قطب بمصر ، وإليك بعض النقول التى تؤيد ذلك .... وأنا عندما أنقل هذه الأقوال لا أقصد بها عيبا فى الجماعة كجماعة لأن ذلك خلاف مقياسى فأنا لا أحكم على الجماعات من خلال تصرفات أفرادها ، حتى ولو كان هؤلاء الأفراد يمثلون قيادات فى تلك الجماعات كما سأذكر ، ولكنى أثبت هذه الأقوال كعيب فى نفس الأفراد وأن هذا العيب يجب أن لا يكون ، لنفس السبب الذى سنناقش بموجبه قول الدكتور الهلالى فى أهداف جماعة التبليغ ، وذلك السبب هو أن الأمة الإسلامية تعانى من فرقة قاتلة ، فيجب على علماء

---

(١) التحالف الذى ضم الجماعات الإسلامية إلى الباكستان لإسقاط على بوتو ورئيس الحزب الاشتراكى من الحكم فى الجمهورية الإسلامية الباكستانية .

(٢) هذه الأفكار أنقلها مشافهة من فضيلة الشيخ عبد الغفار حسن المدرس حاليا بالجامعة الإسلامية وهو من كبار علماء الهند والباكستان وقد عرضت عليه هذه الأفكار بعد كتابتها وأقرها .

المسلمين أن لا يزيدوا هذه الفرقة بتتبع العيوب ونشرها ، وأن عليهم أن يتناصحوا فيما بينهم ، وأن لا يعلنوا هذه العيوب ، حتى لا تتحول إلى تشهير ، وجهر بالسوء من القول ، والله تعالى لا يحب ذلك ، وإليك بعض هذه الأقوال وهى لكبار قادة الجماعة وعلمائها :

١ – نقل محمد أسلم عن الشيخ حسين أحمد الحنفى أحد كبار جماعة التبليغ قوله : عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (اعلموا أن محمد بن عبد الوهاب ظهر أمره فى أوائل القرن الثالث عشر فى نجد ، وكانت له عقائد فاسدة ونظريات باطلة) .

وقال : (وكان يستحل نهب أموال أهل السنة وقتلهم ، وكان يظن أن فى قتلهم ثوابا ، وعلى الأخص من ذلك أهل الحجاز ، فإنه آذاهم أشد الإيذاء ، وكان يسب السلف الصالح ويأتى فى شأنهم بغاية سوء الأدب) ، (والحاصل أنه ظالم باغ سفاك فاسق ، ولذلك أبغضه العرب أشد من اليهود والنصارى)[١] أ هـ .

٢ – ونقل عن الشيخ محمد يوسف البنورى وهو أيضا من كبار قيادات الجماعة قوله : فى الأستاذ أبى الأعلى المودودى : (أنادى على رؤوس الأشهاد أن الرجل « أبا الأعلى المودودى » زائغ ضال مضل ، فى كتبه ورسائله الطامات)[٢] .

وعن سيد قطب يقول : (إن الرجل جمع بين الشيعية والشيوعية فى وقت واحد)[٣] .

٣ – ونقل قولا عن الشيخ غلام غوث الهزاروى : وهو مَن علماء الجماعة أيضا قوله : فى الأستاذ سيد قطب : (إنه يكفى جمال عبد الناصر لدخوله الجنة أنه صلب السيد قطب الباغى الضال)[٤] .

---

(١) راجع رسالة محمد أسلم ص ٧ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٠ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٣١ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٣٢ .

إن مثل هذه الأقوال ما كان ينبغى أن تقال في عامة المسلمين فكيف تقال فى علماء المسلمين وصفوة الأمة ؟!! إن على أصحاب هذه الأقوال أن يعلنوا رجوعهم على رؤوس الأشهاد لإسقاط ما اتهموهم به من أذهان العامة وأن يستغفروا الأحياء منهم الله تعالى .

٣ – مبادىء جماعة التبليغ الرئيسية :

وأما عن مبادىء الجماعة الرئيسية فقد لخصها الأستاذ محمد أسلم فى ستة بنود[١] :

١ – الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

٢ – إقامة الصلوات .

٣ – العلم والذكر .

٤ – إكرام كل مسلم .

٥ – الإخلاص .

٦ – النفر فى سبيل الله .

وتناول الدكتور تقى الدين الهلالى . هذه المبادىء بالتبيين[٢] والتفسير من وجهة نظره ، وذلك فى كتابه (السراج المنير)[٣] . مبينا أن (لا إله إلا الله) لا تنفع إلا من قالها بلسانه وعرف معناها . واعتقد ذلك المعنى بقلبه وعملت جوارحه بكل ما تقتضيه هذه الكلمة .

واستشهد على ذلك بقصة أبى بكر رضى الله عنه عندما حارب وقاتل بنى حنيفة قتال الكفار ، وهم يقولون هذه الكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ويصومون ويصلون ، إلا إنهم امتنعوا عن أداء الزكاة فقط ، فاعتبر أبو بكر

---

(١) راجع رسالة محمد أسلم عن جماعة التبليغ عقيدة وفكرا ص ٥ .

(٢) (السراج المنير) للدكتور الهلالى ص ١٢ بتصرف .

(٣) مؤلف فى تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم .

رضى الله عنه هذا الفعل منهم خروجا عن مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ثم عدد الهلالى كثيرا من مقتضيات هذه الكلمة مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والموالاة فى الله سبحانه والمعاداة فيه إلى آخر ما ذكر .... وخرج من هذا السرد فى بيان معنى المبدأ الأول لجماعة التبليغ أن عمل الجماعة مخالف لمقتضيات هذا المبدأ(1) .

ثم دخل فى شرح المبدأ الثانى وهو إقامة الصلاة ، معترضا على محمد أسلم بأنه أخطأ فى التعبير عن هذه القاعدة (بإقامة الصلوات) ، معللا اعتراضه بأن جماعة التبليغ تأمر بالصلاة لا بإقامتها ، حيث أن الصلاة المخالفة لصلاة الرسول ﷺ لا تعتبر مقامة .

ووجه مخالفة صلاة جماعة التبليغ لصلاة النبى ﷺ عنده كونهم لا يقرأون فيها بفاتحة الكتاب ، ونقل عنهم أنه يمكن للمصلى أن يقرأ بدلا من فاتحة الكتاب كلمة (دوسبز) وهى ترجمة لقوله تعالى (مدهامتان) بالفارسية .

ثم رد الدكتور المبدأ الثالث لجماعة التبليغ وهو (العلم والذكر) بأنهما مبهمان حيث العلم علمان نافع وغير نافع ، وجعل علم جماعة التبليغ من العلم غير النافع ، ورد صورة الذكر عند جماعة التبليغ بقصة ابن مسعود مع القوم الذين جلسوا بمسجد الكوفة يذكرون الله بالحصى(2) .

---

(1) راجع السراج المنير للهلالى ١٢ - ١٣ .

(2) والقصة كما سردها الهلالى هى : روى ابن وضاح فى كتاب البدع بسند صحيح إلى عبد الله ابن مسعود أنه سمع أن قوما يجلسون فى مسجد الكوفة فيقول أحدهم : سبحوا مائة فيسبحون ، وبين أيديهم الحصى يعدون به التسبيح ، ثم يقول : هللوا مائة فيهللون ، ثم يقول : كبروا مائة فيكبرون . فلبس البرنس وهو قلنسوة طويلة تغطى الرأس وتبلغ إلى الذراعين ، وذهب حتى جلس بينهم ورأى ذلك بعينه فرفع البرنس عن رأسه حتى عرفوه فقال : أنا أبو عبد الرحمن يا هؤلاء والله لقد فقتم أصحاب محمد علما أو جئتم ببدعة ظلما فقال أحدهم : يا أبا عبد الرحمن نحن ما فقنا أصحاب محمد علما ولا جئنا ببدعة ظلما . وإنما نحن قوم نذكر ربنا . فقال ابن مسعود : بلى والذى نفس ابن مسعود بيده ، لقد فقتم أصحاب محمد علما ، أو جئتم ببدعة ظلما ، ويحكم أمة محمد ما أسرع هلكتكم .. هذه أوانيه لم تكسر ، وثيابه لم تبل ، وقد أحدثتم ما =

وبعد أن رد الدكتور المبادىء الثلاثة الأولى لجماعة التبليغ رد الثلاثة الأخيرة .

فجعل إكرام كل مسلم وهو المبدأ الرابع عند الجماعة ، بأنه خاص بمن وافقهم على بدعتهم على حد تعبيره .

وكذا رد المبدأ الخامس وهو الإخلاص بجعله خاصا بمن آمن ببدعتهم ولم يورد على دعواه تلك دليل من عمل الجماعة .

وأما المبدأ السادس للجماعة ، وهو النفور فى سبيل الله تعالى للسياحة .

فقد جعله الهلالى من مبادىء (البراهمة[1] والبوذية[2]) إن الدين الإسلامى قد أبدل هذه السياحة بالجهاد[3] .

وهو تحامل واضح من الشيخ ، ما كان ينبغى له ذلك خاصة والأمة الإسلامية تعيش فرقة قاتلة ، باعدت بين شعوبها وأوطانها ، بل وبين أسرها وأفرادها ، والذى ينبغى سد الثغرات ولأم الشمل بأفضل الطرق لا بالتشهير ، وتضخيم العيوب وغمط الحقوق .

والجماعة على ما فيها من محدودية فى أهدافها ووسائلها سنحددها فى تقويمنا للجماعة – إلا أنها جماعة ناجحة فى أسلوبها فى تبليغ جانب من الدعوة الإسلامية .

وقد شهد بذلك محمد أسلم وهو يعتبر من أهل الجماعة لأنه من بلادهم

= أحدثتم فى دينه ، وأمر بهم فطردوا من المسجد ، فخرجوا إلى ظاهر الكوفة فبنوا مسجدا ، وأخذوا يفعلون فيه ما كانوا يفعلونه فى مسجد الكوفة ، فأمر به عبد الله بن مسعود فهدم أهـ . انظر السراج المنير ص ٣٧ للدكتور تقى الدين الهلالى والقصة مذكورة فى سنن الدارمى ٦٨/١ مع اختلاف فى اللفظ .

(١) البراهمة : نسبة إلى الديانة السائدة فى الهند (عن كتاب الأديان لشيبة الحمد ص ٥٨ – ٧٠) .

(٢) البوذية : نسبة إلى بوذا وهى ديانة سائدة فى الهند وجزر الأرخبيل (نفس المرجع السابق ص ٧٠ – ٧٥) .

(٣) من كتاب السراج المنير فى تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم باختصار ص ١٢ – ٢٨ .

وأهل مكة أدرى بشعابها وهو المصدر الوحيد للدكتور الهلالى لكتاباته ع الجماعة[1] .

وخلاصة شهادته :

أن الدعوة الإسلامية فى أقطار العالم الإسلامى تقوم عليها جماعات عديد من أنشطها جماعة التبليغ التى تواصل ليلها بنهارها فى شئون الدعوة ، وقد بلـ أمرها إلى حد شهد به أكثر الناس فى هذه المعمورة ، وأن رجالها قد لعبوا دور هاما فى تحقيق أهداف هذه الجماعة ، فهى حركة عظيمة قوية منتشرة فى العا كله ، وهى كما قال : (والسر فى نجاح هذه الحركة هو إخلاص رجالها وتفانيه فى أمر الدعوة ومصابرتهم وجهادهم فى التبليغ) .

وواصل محمد أسلم شهادته لهذه الجماعة بقوله : (إنه لابد من الإشارة إلى أمر هام لا ينكره أحد ، ألا وهو أن هذه الجماعة قد كان لها دور بارز فى إصلا الناس، فكثير من الناس قد تابوا من فسقهم وفجورهم ، ورجعوا إلى الخير بجهو هذه الجماعة ، وهم الآن من دعاة هذه الجماعة يواصلون ليلهم بنهارهم لإنقا البشرية من الضلالة والغواية ، ويرشدونهم إلى النور والهداية ، ويواصل القائد الباكستانى محمد أسلم تقريظه للجماعة بأنها الجماعة الوحيدة التى استطاعت تغطية بلاد العالم بالدعوة حتى البلاد الشيوعية وإسرائيل ، وهى الجماعة التى أعادت الحياة إلى المساجد التى أغلقت أبوابها من عصور بعيدة فأقامت فيه الصلاة ، وجعلت منها مكانا يذكر فيه اسم الله تعالى ويتلى فيه كتابه ، بعد أن هجرت تلك المساجد .

ورغبت أهل تلك البلاد فى بناء المساجد ، وختم محمد أسلم قوله هذا ولا تكفى هذه العجالة لذكر حسنات هذه الجماعة فإن ذلك يحتاج إلى كتاب مستقل .

وأنقل شهادة إلى جانب شهادة محمد أسلم ، وهى لأحد رجالات[2] الهند

---

(١) انظر رسالة محمد أسلم لنيل الشهادة العالية من ١ - ٢ .

(٢) مقدم كتاب حياة الصحابة .

أيضا تأخذ الأولوية أيضا على شهادة الدكتور الهلالى عند علماء الجرح والتعديل ، لأنها من أحد رجالات البلدة التى تأسست فيها تلك الجماعة ومنها خرجت إلى العالم كله .

هذه الشهادة تثبت للجماعة قدم نجاحها وانتشارها فى أرجاء المعمورة . يقول الشيخ محمد يوسف فى نطاق حديثه عن أحد قيادات الجماعة[1] (لقد بلغت الدعوة فى عهده إلى الأقطار العربية وإلى أمريكا وأوربا واليابان وجزر المحيط الهندى)[2] .

وقد أوردت هاتين الشهادتين للجماعة لأبين أن الدكتور الهلالى :

١ - لم يوف الجماعة حقها ، وتحامل عليها ، وذلك لأنه لم يعايش أفرادها ، بل اكتفى بما قرأه فى رسالة محمد أسلم وهو لا يكفى .

٢ - وهو لم يزد الأمر بكتابه هذا إلا سيرا فى الجانب السلبى ، والأمة الإسلامية كما قلنا تعيش فرقة قاتلة ، شتتت جهودها ، ومحقت قوتها ، والذى ينبغى هو التعاون على تشخيص أهم مشاكل الأمة وحلها .

ولا مانع من إبداء النصيحة وإهداء العيوب ، ولكن من طريقها وبأسلوبها ، الذى علمنا إياه الإسلام ، من سرية وحكمة وموعظة حسنة ، لا بالتشهير وتضخيم الأخطاء والناس كلهم خطاءون .

إن غمط الدكتور الجماعة حقها وتفسيره لمبادئها على النحو السابق وجعله تلك المبادىء أو هى من بيت العنكبوت - على حد تعبيره - أمر عظيم على الشيخ ليعيد النظر فيما كتبه ويتحرى الصواب ، ويسلك طريق الإنصاف ، ليحتل كلامه المكان اللائق به ، ولو فعل لأسدى خيرا وأفاد .

---

(١) هو الشيخ محمد يوسف مؤلف كتاب حياة الصحابة .

(٢) كتاب حياة الصحابة ٦/١ .

٤ - أهم وسائل الجماعة إلى أهدافها[١] :

بعد أن لخصنا مبادىء الجماعة الستة مع ما قيل عن هذه المبادىء نوجز الكتابة عن أهم وسائل الجماعة فى دعوتها إلى أهدافها الستة :

(أ) وسيلة الوعظ والإرشاد :

وهى أن يقوم من سبقت له العضوية فى هذه الجماعة بإلقاء كلمات فى مساجد معينة لهذه الجماعة .

وبعد أن تنتهى كلمته يطلب من الحضور أن يعطوا الجماعة بعضا من أوقاتهم . ويعينون هذه الأوقات بحسب ظروف المستجيبين لهم ، يبدأ التعيين برقم أعلى ستة شهور ، ثم ينزل إلى ثلاثة شهور ، ثم أربعين يوما ، فعشرين يوما ، فأسبوع ، فثلاثة أيام ، ثم يسجل اسم المستجيب وأمامه الفترة الزمنية التى حددها بحسب ظروفه .

(ب) وسيلة الرحلة أو السياحة :

وتبدأ هذه الوسيلة بحسب ما عندهم من أسماء مسجلة وتعطى الأولوية للأماكن التى لم ترتحل إليها الجماعة من قبل .

وهذه الأولوية تخضع للزمن المقدم من قبل المستجيبين للرحلة ، إن كان يتسع هذا الزمن لبعد المكان أو لا يتسع .

وبعد فرز الأسماء وتعيين الأمكنة المرتحل إليها ، يعين على كل مجموعة أمير ، وتسمى هذه المجموعة (قافلة التبليغ) ثم يطلب كل أمير من أمراء هذه المجموعات من أفراده أن يأخذ معه ما يكفيه من الفرش والزاد لتلك الرحلة من حسابه الخاص ، مع التوجيه بعدم التكلف فى هذا الجانب .

ثم تتوجه تلك القوافل إلى المكان المعين لها من قبل أمير المنطقة التى انطلقت

---

(١) هذه الكيفية فى الوسائل أخذتها مشافهة من فضيلة الشيخ عبد الغفار حسن .

منها ، وتقصد القافلة المسجد فى ذلك المكان ، فإن لم يكن به مسجد تستأجر مكانا على حساب كافة أعضاء القافلة .

ثم يوزع الأمير على هذه القافلة الأعمال :

١ - فمنهم من يتعين عليه الخطابة والوعظ .

٢ - ومنهم من يتعين عليه نظافة المسجد ، أو المكان الذى نزلت فيه القافلة .

٣ - ومنهم من يتعين عليه الجولة على أهل هذا المكان فى بيوتهم وحوانيتهم يطلبون منهم الحضور لسماع الوعظ والإرشاد .

فإذا جاء موعد الخطابة جلس كافة أعضاء الرحلة فى الدرس يستمعون ويدعون للخطيب الواعظ بالتوفيق والإخلاص .... الخ ..... دعواتهم المعينة لهم .

فإذا انتهت فترة الوعظ ، تكرر ما كان فى الوسيلة الأولى من طلب المساهمة من الحضور ببعض أوقاتهم للدعوة وهكذا دواليك .

وتناول هذه الجماعة من حيث الوسائل الدكتور صادق أمين فى كتابه[1] الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ، وبين أن وسائل الجماعة :

١ - مقتصرة على الوعظ والإرشاد ، والترغيب والترهيب ، وإثارة العواطف والتأثير الوقتى ، وقدر من هذه الوسائل إذا بقيت هى أسلوب جماعة التبليغ مستقبلا فإنها لا يمكن أن تكسب المعركة مع الجاهلية ، بل ولا حتى الوقوف فى وجه تلك الجاهلية العاتية[2] ، معللا تقديره ذلك[3] بأن الجماعة ليس

---

(١) راجع الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية للدكتور صادق أمين (٨٤ - ٨٥) .

(٢) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية للدكتور صادق أمين صفحة (٧٥ - ٨٢) .

(٣) والأصل لتقديره بأن الجماعة لا يمكن أن تكسب المعركة مع الجاهلية هو أنه جعل لنفسه مقياسا بموجبه يمكن لأى حركة أو جماعة أن تنجح وبدونه لا يمكن أن تنجح ، وملخص هذا المقياس كتب المؤلف تحت عنوان صفات الحركة الإسلامية المنقذة :
=

= ١ – أن يكون مرجع تلك الحركة فى تصورها للعمل للإسلام من حيث الأهداف والوسائل ومواجهة الظروف والأحداث ووزن الأشخاص والأشياء مستمدا من الكتاب والسنة والسيرة المطهرة .

٢ – أن تفهم الحركة من لا إله إلا الله . على أن الربوبية والحاكمية والتشريع لله وحده .

٣ – أن تفهم الحركة من مفهوم لا إله إلا الله السابق من حال البشرية اليوم بكليته تناقضاً لكلمة لا إله إلا الله .

٤ – لن يكون من إلزامات تلك الحركة لأفرادها أن يخلعوا ولاءهم كلية من ذلك الواقع البشرى ومن القائمين عليه ،

٥ – أن يعطى كافة أفراد تلك الحركة ولاءهم التام لقيادتها ونظامها .

٦ – أن تربط أفراد تلك الحركة رابطة الحب فى الله والعمل لدينه .

٧ – أن يكون لدى قيادة تلك الحركة وضوح الرؤية لأبعاد معركتها مع الجاهلية .

٨ – أن تعنى تلك الحركة بجانب التربية لأفرادها ، وانتشالهم من الواقع الجاهلى ، ووصلهم بالله عز وجل .

٩ – أن تؤثر قيادة تلك الحركة الناحية العملية على النظرية وأن تحول بين تحول الإسلام إلى ترف فكرى عند الأفراد .

١٠ – أن يكون لدى تلك الحركة ربط محكم بين مراحل الدعوة بحيث من بلغ يبلغ ، ومن كون يكون ، وعلى أهداف الحركة فى مرحلتها المعينة .

١١ – أن تسلك تلك الحركة كل السبل الشرعية لإقامة دولة مسلمة تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله تعالى فى الأرض .

١٢ – أن تفهم قيادة تلك الحركة وتفهم أعضائها بطبيعة طريقها . بأنه لا تمكين إلا بعد الابتلاء ، كما أنه لا إيمان إلا بعد المرور بالفتنة .

١٣ – ولتحقيق كل ما سبق لابد لهذه الحركة من الوسائل التالية :

(أ) منهاج فكرى جهادى يتدارسه أفرادها ، مختار من القرآن الكريم والسنة المطهرة وغيرها من العلوم المساعدة ، وما يوصل من العلوم إلى إدراك فلسفات الجاهلية ومنعطفاتها .

(ب) منهاج سليم فى النظام والتنظيم يربط الأفراد بعضهم ببعض برباط الأخوة ، والانسجام ، ويدربهم على الطاعة التامة للقيادة .

(ج) خطة جيدة للعمل وتخطيط مناسب ناتج عن دراسة مستمرة للواقع .

(د) نظرية صالحة فى التنفيذ تأخذ بيد الفرد من طور إلى طور تشبع تطلعاته وتجيب على تساؤلاته ، وتجعله يسير ضمن خط واضح المعالم .

ووافقه الأستاذ سعيد حوى فى كتابه (جند الله ثقافة وأخلاقا) من١ – ٧٢ على هذا المقياس .

هذا هو المقياس الذى رد بموجبه خطط جماعة التبليغ والسلفيين وحزب التحرير وهى الجماعات التى تطرق لها فى بحثه بالنقد والتقويم ثم جعله جماعة الإخوان المسلمين التى أسسها الإمام حسن البنا فى مصر هى أقرب الجماعات إلى مقياسه ، وأنها الجماعة التى يمكن أن تكسب المعركة مع الجاهلية . وهو تقويم من =

لديها الاتصال المنظم والمستمر مع الأفراد الذين يسمعون من دعاتها ، ويتأثرون بهم . ويقرر الدكتور صادق أن هؤلاء الأفراد يحتاجون إلى رعاية كافية حتى ينموا ويترعرعوا .

٢ – ولأن الجماعة نشأت فى الهند وأغلب سكانها غير مسلمين فهذه البيئة أبعدت الجماعة عن اتخاذ الأساليب والوسائل التى هى أكثر شمولا .

ولأن عملهم يكاد يقتصر على المسجد وهذا الاقتصار لا يكفى لإقامة أحكام الإسلام فى حياة الناس(١) .

٥ – مواردهم المالية :

تعتمد الجماعة فى حركتها من الناحية المالية على نفس الأفراد الذين يستجيبون للدعوة ، فكل واحد من المستجيبين يتولى الصرف على نفسه ذهابا وعودة إلى المكان الذى تعينه الجماعة له ، وكذا مصاريف مطعمه ومشربه .

هذا من جانب ومن جانب آخر . هناك بعض الأغنياء من أفراد الجماعة ، هؤلاء يقومون ببعض التموينات للحفلات الكبيرة فى الهند وغيرها ، حيث للجماعة حفلات فى كل عام تقام فى الهند وباكستان ، يحضرها المتوغلون فى عضوية الجماعة ، وخاصة من أنحاء العالم ، هذه الحفلات يتولى الإنفاق عليها أولئك التجار من أعضاء الجماعة ، ولكن بصفة خاصة وفى حينها ، حيث لا يوجد فى الجماعة باب تلقى تبرعات وهذه حسنة تذكر لهم ، وكذا يقوم هؤلاء التجار بتموين بعض المرتحلين إلى أماكن بعيدة ، تكون كلفة نفقاتها كثيرة ، وأيضا بصفة خاصة أى بموجب اتفاق بين تاجر ومرتحل بدون وساطة الجماعة .

=الدكتور صادق أمين معتدل ليس فيه إجحاف ولا غمط كما كان من سابقه الدكتور الهلالى .

وإننى لأهيب بقيادات جماعة التبليغ أن يعيدوا النظر فى وسائل دعوتهم والأخذ بما جاء فى تقويم الدكتور صادق أمين فإن فيه خيرا وبركة .

انظر الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية للدكتور صادق أمين من صفحة ١٢٨ – ١٥٦ .

والله تعالى أعلم وهو يتولى الصالحين

(١) راجع الدعوة الإسلامية للدكتور صادق أمين (٧٥ – ٨٢) .

وعلى ذلك فلا يوجد عندهم جهاز لإدارة أموال الجماعة وضبطها .

٦ – تقويم الجماعة :

بعد أن أوجزنا الكتابة عن أهم ما ينبغى كتابته عن جماعة التبليغ ، نصل إلى تقويم الجماعة من وجهة نظرنا ، وهو يخضع لما قدمنا ، أن مقياسنا فى ذلك هو الإسلام . حيث أن دعوة الجماعة الإسلامية والذى سنقيسه ونحاول تقويمه فيها هو :

(أ) أهداف الجماعة .

(ب) مبادىء الجماعة .

(ج) وسائل الجماعة إلى تحقيق تلك الأهداف .

أما عن الأهداف فقد حددتها الجماعة بستة أهداف كما تقدم[١] وهى ثابتة عليها لم تتزحزح عنها منذ تأسيسها حتى يومنا هذا ، مقيدة بها أفرادها ، وملزمة إياهم بالسير عليها بحيث لا يفهمون غيرها بل ويحاربون سواها . ولا أدرى أين وجدت قيادات الجماعة ذلك التحديد فى الإسلام ؟؟ صحيح لكل واحد من هذه الأهداف الستة أدلة تحث عليه فى ذاته .

إنما تحديد الدعوة فى إطار هذه المبادىء الستة فقط وجعلها كل الدين أمراً يصطدم ببدهيات الدين ، الذى أنزل ليحكم فى كل حركة من حركات هذه البشرية فى كل زمان لها ومكان .

قال تعالى : ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء .... ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وكل شىء فصلناه تفصيلا .... ﴾[٣] .

فهل تلك الأهداف المحددة من قبل الجماعة هى كل شىء ؟؟ وهل هى المفصلة تفصيلا فى الكتاب والسنة ....؟؟!!

---

(١) انظر صفحة (٢٩٩) من البحث .
(٢) النحل آية ٨٩ .
(٣) الإسراء آية ١٢ .

إنّ الجواب البديهى أن هذه الستة جزء من نيف وستين[1] شعبة فى هذا الدين الحنيف ، وتحت كل شعبة مئات من الأحكام التى يهدف إليها الدين ، حتى تسير البشرية على مقتضى أحكامه وتعاليمه .

أما بالنسبة للمبادىء والأفكار التى تبنتها الجماعة فهى تتعارض مع تعاليم الدين تعارضا صريحا .

(أ) فإيجاب الجماعة على أفرادها التقليد . أمر يتعارض مع الاتباع .

(ب) وتحريم الاجتهاد عليهم أمر يتعارض مع أحكام الشمول فى الدين لكل مشاكل البشرية المستقبلية ضمن خطوطه العريضة .

(ج) جعل النهى عن المنكر من الممنوعات فى خطة الجماعة أمر يتعارض مع مجموع أوامر الكتاب والسنة ونواهيهما .

(د) تثبيط الأعضاء فى الجماعة عن مواصلة طلب العلم والتوسع فيه يتعارض أيضا مع بدهيات الدين ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وطلب التوسع فيه واجب ولو كان آخره فى الصين .

(هـ) تحريم العمل السياسى فى خطة الجماعة أمر يتعارض مع أحكام الدين وفرائضه فالعمل لإقامة الخلافة مثلا من فرائض الدين وهى قضية سياسية . فكيف تحرم ذلك الجماعة ؟ إلخ ... مع ما عندهم من مبادىء وأفكار تتعارض صراحة مع تعاليم الدين الإسلامى .

أما بالنسبة لقصور وسيلة الجماعة على الوعظ والإرشاد فقد فصلنا القول فيه فى تقويمنا لجماعة أنصار السنة المحمدية ولا حاجة لإعادة ذلك هنا[2] .

---

(١) نشير إلى حديث شعب الإيمان ولفظه عند البخارى ٢٠/١ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » رواه مسلم ٦٣/١ ، وأبو داود ٢١٩/٤ ، والنسائى ١١٠/٨ .

(٢) راجع صفحة (٢٧٦) من البحث .

والخلاصة :

أن الغايات والأهداف والمبادىء والوسائل إلى الغايات كل ذلك قد تحدد من قبل الشارع الحكيم ، وفصل تفصيلا فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

وأى فرد أو جماعة يحاول النقص أو الزيادة فى الغايات أو المبادىء أو الوسائل فأمره مردود عليه وباطل فعله .

لأن الدين قد تم وكملت أحكامه . فقد قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ...[1] الآية .

وقال ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[2] الحديث .

ونحن مطالبون بكل تلك الأحكام قولا وفعلا .

ولكن الذى يحق لأى فرد أو جماعة فى الأمة الإسلامية هو الإتيان بما يستطيعه من تلك الغايات وبما حدد له الشارع من وسائل إلى تلك الغايات وبالقدر الذى تحدده إمكانيات ذلك الفرد أو تلك الجماعة ، وبحسب المرحلة التى يعيشها ذلك الفرد أو تلك الجماعة ، ولا يحق لأى منهما أن يقول غايتى كذا دون غيرها من غايات الدين ، أو وسيلتى كذا دون غيرها من وسائل الدين إلى تلك الغايات[3] .

ولنأخذ على ذلك مثالا يوضح ما قلنا :

إن لكل فرد فى هذه الأمة إن كانت إمكانياته الصحية لا تمكنه من الإتيان بفرض الصلاة وهى غاية له ، إلا عن طريق الجلوس ، وهى وسيلة إلى تلك الغاية

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها ٣٩٧/٤ ، وهو فى مسلم ١٣٤٣/٣ ، وابن ماجه ٧/١ ، وهو عند أحمد فى مسنده ٢٧٠/٦ .

(٣) انظر تفصيل هذا الموضوع فى مبحث الأحكام الإسلامية من البحث ذاته صفحة (١٣٩ - ١٤٥) .

التى هى الصلاة فله ذلك ، فواضح من المثال أن الغاية حددت من قبل الشارع وأن الوسيلة حددت أيضا من قبل الشارع والذى جعل ذلك الفرد يسلك تلك الوسيلة إلى تلك الغاية هى إمكانياته الصحية ، أما من ناحية اكتفائه بالصلاة دون غيرها ، فلا يحق له بحال من الأحوال كما أن الخليفة الأول أبو بكر الصديق لم يقبل من قبائل العرب الشهادة والصلاة دون الزكاة .

فمن المثال يتضح أن الفرد أو الجماعة يطالبهما الشرع بما يستطيعانه وتيسره لهما إمكانياتهما من غاياتِ هذا الدين ، وبالوسائل المحددة إلى تلك الغايات من قبل الشارع ولا يصح لهما أبدا أن يزيدا أو ينقصا فيما هو من اختصاص الشارع بحال من الأحوال .

وجماعة التبليغ التى نحن بصدد تقويمها ، من الجماعات التى أخذت بعضا من الغايات التى حددها الشارع للجماعات الداعية إلى الإسلام ، ورسمت لنفسها وسائل إلى ذلك البعض من الغايات تنسجم مع الميل الإنسانى إلى الأقل تكلفة وصعوبة .

وهذه الجماعات بتحديدها لغايات تعالج جانبا من جوانب الدين الإسلامى كإحياء جانب العبادات العينية فى الدين دون جانب السياسة ، أو الجهاد ، أو الاقتصاد ...... كما تفعل جماعة التبليغ .

أو إحياء الجانب السياسى فى هذا الدين ، والإحجام عن غيره كما يفعل حزب التحرير !!!

أو الاهتمام بالجانب الثقافى ، أو مظاهر الدين الفرعية دون أصوله كما هو واضح من منهج السلفيين متمثلا فى جماعة أنصار السنة .

وبتحديدها وسائل إلى تلك الغايات دون غيرها من وسائل الدين الإسلامى تخرج نفسها من نطاق الجماعة المرشحة لحمل دعوة الإسلام إلى المسلمين من جديد ثم إلى العالمين أجمعين .

إن الجماعات التى جعلت لنفسها غايات ووسائل إليها جزئية من الدين

الإسلامى تأخذ حكم تبعيض[1] أحكام الدين الإسلامى وهو المبدأ المحرم فى الدين الإسلامى .

إن منهج تلك الجماعات المبعضة لتعاليم الدين مرفوض ، وعليها أن تصلح ذلك المنهج بحسب شمول الدين واتساع تعاليمه .

رفض الله تعالى ذلك النهج بقوله : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾[2] .

وبقوله تعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾[3] .

وبقوله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾[4] .

وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين بأخذ الدين كله دون تبعيضه قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾[5] .

ولقد رفض ذلك التبعيض رسول الله ﷺ وهو فى أشد الحاجة إلى العون والنصرة .

رفض ﷺ ذلك التبعيض وهو يعانى أشد لحظات السخرية والاستهزاء ، ببعض مكة وشوارعها . رفضه فى لحظات كان فيها مهددا بالقتل والتشريد من قريش وحلفائها .

---

(١) انظر موضوع تبعيض الأحكام الإسلامية صفحة (١٣٧) من البحث .
(٢) سورة البقرة آية ٨٥ - ٨٦ .
(٣) سورة الإسراء آية ٧٤ .
(٤) سورة المائدة آية ٤٩ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

رفضه بقولته العظيمة لقبيلة بنى شيبان بن ثعلبة عندما كان يعرض نفسه على القبائل فى مكة ، عندما حاولت تلك القبيلة أخذ الذى لا تكرهه الملوك من هذا الدين ، فأجابها ﷺ بقوله من حديث طويل : « ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه »[1] .

إن أى تبعيض لهذا الدين مرفوض ولو فى أشد حالات الدعوة الإسلامية محنة وابتلاء .

إن هذه الدعوة الإسلامية لا يمكن أن يقوم بها إلا من أحاطها من جميع جوانبها .

إن قولة الرسول ﷺ لبنى شيبان يجب أن تكون من مقاييس الدعاة وهم يختارون الجماعة التى سيعملون تحت لوائها .

إن الجماعات التى تقوم على تبعيض الإسلام يجب أن ترفض عند اختيار الجماعة التى سينخرط الداعية فى صفها ، كما رفضها رسول الله ﷺ فى أشد حالات الشقاء والعسرة من قومه ، لقد رفض التبعيض وهو فى أشد الحاجة إلى من ينصره ويحميه ، رفضه فى وقت اعتدى عليه قومه ومنعوه تبليغ رسالة ربه .

والجماعة المرشحة فى نظرى لحمل الدعوة الإسلامية إلى البشرية ، غير تلك الجماعات المجزئة لدين الله وبحسب ما يحب ويكره الحكام .
إنها الجماعة التى تحمل الدين كله متحدية به كل الصعاب والمتاعب .

إن الجماعة المرشحة لذلك ، والتى يجب على كل مسلم أن يعطيها ولاءه ونصرته ، هى الجماعة ذات الغايات الشاملة لكل غايات الدين الإسلامى ، والمتخذة كل الوسائل التى حددها الشارع إلى تلك الغايات ، ضمن خطة مرحلية مدروسة وبحسب ما سار رسول الله ﷺ بدعوته عندما قرر أن يعيد هذه البشرية إلى ربها .

---

(١) هذا جزء من حديث طويل ومناقشة طويلة بين الرسول ﷺ وبين تلك القبيلة انظر نصه وتخريجه بصفحة (١٨٥) من نفس البحث .

الفصل الخامس

جماعة الإخوان المسلمين

١ - نبذة عن تأسيس الجماعة :

فى ذى القعدة من عام ١٣٤٧ هـ وفى مدينة الإسماعيلية تأسست جماعة الإخوان المسلمين ، بعد اجتماع فى منزل مؤسس الجماعة ومرشدها الأول الإمام حسن البنا رحمة الله تعالى عليه - ضم هذا الاجتماع ستة من الذين سمعوا خطب الشيخ وتأثروا به ، وفى هذا الاجتماع تابع السبعة على أن يحيوا إخوانا عاملين للإسلام ومجاهدين فى سبيله(١) .

٢ - نبذة عن حياة مؤسس الجماعة :

ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين هو : الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا .

ولد عام ١٩٠٦ م فى المحمودية بمصر فى بيئة إسلامية حيث كان على رأس أسرته والده وهو أحد العلماء المشهورين(٢) فى عصره .

درس حسن البنا دراسته الابتدائية فى قريته ، وفيها حفظ أكثر القرآن الكريم ثم انتقل إلى مدرسة المعلمين(٣) بدمنهور ، ثم تخرج من دار العلوم بالقاهرة معلما عام ١٩٢٧ م(٤) .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ٧٢ .

(٢) له ترجمة مفصلة فى آخر الأجزاء من الفتح الربانى على مسند أحمد .

(٣) مذكرات الدعوة والداعية ص ١٠ - ١٥ .

(٤) الإخوان المسلمون كبرى الحركات ص ٢٥ .

وبعد عمر حافل بالعمل للإسلام[1] ، والدعوة إليه لقى الإمام حسن البنا ربه شهيدا فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ م .

وقد كتب عن هذه الشخصية الفذة ، وعن جماعته الكثير من العلماء ممن عاصرها وعرف عنها وعن أحوالها ، ولم يبق لى من مزيد سوى الاقتباس القليل بما يناسب المقام من هذه المؤلفات الكثيرة والضخمة .

قال الدكتور الحسينى فى مجال تفريقه بين شخصية حسن البنا وغيره ممن سبقه من الدعاة إلى الإسلام : (لقد سبق البنا فى العصر الحديث زعماء دينيون كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ولكن البنا كان من طراز آخر يختلف عنهم من جملة وجوه ولعل أبرز هذه الوجوه أن أولئك ذهبوا ولم يخلفوا وراءهم دعوة واضحة المعالم بينة المنهج يعتنقها أتباع مخلصون وربما أصدق نعت يصح أن يطلق عليه أنه كان داعية وكان من سبقه رجال دين)[2] .

ونقل الشيخ سعيد حوى عن إمام حماة الشام وعالمها الجليل الشيخ محمد الحامد قوله :

(إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين فى مجموع الصفات التى تحلى بها ، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف – لا أنكر إرشاد المرشدين وعلم العارفين وبلاغة الخطباء والكاتبين ، وقيادة القائدين ، وتدبير المدبرين ، وحنكة السائسين – لا أنكر هذا كله عليهم سابقين ولاحقين ولكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات قلما ظفر بها أحد كالإمام الشهيد رحمه الله . والذى أقوله فيه قولا جامعا هو أنه كان لله بكلية روحه وجسده بقلبه وقالبه ، بتصرفاته كلها كان لله فكان الله له . واجتباه وجعله من سادات الشهداء الأبرار)[3] .

وكتب الشيخ أبو الحسن الندوى فى شأن حسن البنا مختصرا :

---

(١) الإخوان المسلمون خمسون عاما ص ٨٧ .
(٢) الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ص ٥١ .
(٣) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين لسعيد حوى صفحة ١٨٥ .

إن كل من عرف ذلك الرجل عن كثب لا عن كتب ، وعاش متصلا به عرف فضل هذه الشخصية التى قفزت إلى الوجود ، وفاجأت مصر ، ثم العالم الإسلامى كله ، بدعوتها ، وتربيتها ، وجهادها ، وقوتها الفذة .

وواصل الشيخ الندوى شهادته : إنها الشخصية التى جمع الله فيها : العقل الهائل المنير ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القوية الجياشة ، والقلب المبارك الفياض ، والروح المشبوبة النظرة ، واللسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة دون عنت فى الحياة الفردية ، والحرص وبعد الهمة دونما كلل ، فى سبيل نشر الدعوة والمبدأ ، والتواضع فى كل ما يخص النفس ، تواضعا يكاد يجمع عليه شهادة عارفيه .

وواصل الندوى تقريظه : لقد تعاونت هذه الصفات والمواهب فى تكوين قيادة دينية واجتماعية لم يعرف العالم العربى وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيرا ، وأكثر إنتاجا منها منذ قرون .

وختم الندوى تقريظه ذلك بقوله :

وقد تجلت عبقرية الداعى مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها ، فى ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة المربين ، والزعماء والمصلحين أولهما : شغفه بدعوته ، وإيمانه واقتناعه بها ، وتفانيه فيها ، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه ، وطاقاته ووسائله .

وعلق الندوى على هذه الناحية بقوله :

وذلك هو الشرط الأساسى والسمة الرئيسية للدعاة والقادة الذين يجرى الله على أيديهم الخير الكثير .

ثانيهما : تأثيره العميق فى نفوس أصحابه ، وتلاميذه ، ونجاحه المدهش فى التربية والإنتاج ، فقد كان منشىء جيل ، ومربى شعب ، وصاحب مدرسة علمية ، وفكرية وخلقية .

وعن الجماعة قال الشيخ الندوى :

(لقد نجح فى تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد فى دنيا العرب خاصة ، حركة أوسع نطاقا ، وأعظم نشاطا ، وأكبر نفوذا ، وأعظم تغلغلا فى أحشاء المجتمع وأكثر استحواذا على النفوس منها الدعوة التى أعادت إلى الجيل الجديد فى العالم العربى الثقة بصلاحية الإسلام ، وخلود رسالته ، وأنشأت فى النفوس والقلوب إيمانا جديدا ، وقاومت مركب النقص فى نفوسهم والهزيمة الداخلية التى لا هزيمة أشنع وأكبر خطرا منها) .

ثم نقل الندوى ما قاله فيها شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال :

(لقد خلقت فى جسم الحمام الرخو الرقيق قلب الصقور والأسود) . حتى استطاع هذا الجيل أن يصنع عجائب من الشجاعة والبسالة والاستقامة والثبات .

ودلل الندوى على شجاعة وثبات ذلك الجيل بالإشارة إلى المحن التى مرت بها جماعة الإخوان المسلمين قديما وحديثا وهى المحن التى حاول فيها الطغاة طمس آثار هذه الحركة ، وسحق رجالها ، وأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فهلك أولئك الطغاة وانهارت تنظيماتهم وبقيت جماعة الإخوان كأقوى ما تكون .

قال الندوى : (إن محاولة القضاء على أثر هذه الحركة ، وطمس معالمها ، وتعذيب جنودها ، وتشريد رجالها ، جريمة لا يغتفرها التاريخ الإسلامى ، ومأساة لا ينساها العالم الإسلامى ، وإساءة إلى العالم العربى لاتعدلها إساءة ، ولا تكفر عنها أى خدمة للبلاد ، وأى اعتبار من اعتبارات السياسة .

إنها جريمة لا يوجد لها نظير إلا فى تاريخ التتار الوحوش ، وفى تاريخ الاضطهاد الدينى ومحاكم التفتيش ، فى العالم المسيحى القديم)[1] .

---

(١) انظر تقديم الأستاذ الندوى لمذكرات الدعوة والداعية ٣-٨ للإمام حسن البنا باختصار .

وعلى الرغم من ذلك كله فقد صبر الإخوان ، وثبتوا على دينهم ومبادئهم وخرجوا من هذه المحنة منتصرين .

وعن الإمام البنا كتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله كلاما طويلا منه نقتبس قوله : (فى بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور ، وحكمة مدبرة فى كتاب مسطور ، حسن البنا . إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه ، ولكن من يقول إنها مصادفة والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هى البناء ، وإحسان البناء بل عبقرية البناء ؟...) .

ويواصل الأستاذ سيد عن حسن البنا : (ويمضى حسن البنا إلى جوار ربه ، يمضى وقد استكمل البناء أسسه ، يمضى فيكون استشهاده على النحو الذى أريد له عملية جديدة من عمليات البناء ...، وما كان ألف خطبة ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة فى نفوس الإخوان كما ألهبتها قطرات الدم الذكى المهراق) .

وعن الجماعة كتب الأستاذ سيد قطب : وحينما سلط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان كان الوقت قد فات ، وكان البناء الذى أسسه حسن البنا قد استطال على الهدم ، وتعمق على الاجتثاث ، كان قد استحال فكرة ، لا يهدمها الحديد والنار ....، واستعلت عبقرية البناء على الطغاة الأقزام ، فذهب الطغيان وبقى الإخوان ، وختم الأستاذ سيد كتابته عن الجماعة :

بأن مثلها بالشجرة الضخمة ، ومرة بعد مرة يحاول أعداء هذه الجماعة اقتلاعها فيمسكون بفرع من فروعها يحسبونه سيؤدى إلى اقتلاعها ، فإذا جذبوا ذلك الفرع إليهم خرج فى أيديهم جافا يابسا ، كالحَطَبَة الناشفة ، لا ماء فيها ولا ورق ، ولا ثمار .

وإذا بالشجرة العميقة الجذور ، لا تتأثر بما جذب منها ، وتسمو فروعها نحو السماء[1] .

---

(١) دراسات إسلامية لسيد قطب ص ٩٧ .

ونلخص ما كتبه الشيخ سعيد حوى من كلام الأستاذ عبد الحكيم عابدين أمين سر جماعة الإخوان المسلمين فى عهد الإمام حسن البنا ، حيث استنبط عشر دعائم أقام عليها الإمام حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين :

١ – دوام استهداف الوحدة بين صفوف المسلمين وربط قلوبهم .

٢ – كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله – ﷺ – يلتقى مع الإخوان فى ظل التوحيد ، وتجمعه وإياهم كلمة الإسلام ، وتعصم دمه وماله وعرضه الأخوة فى الله .

٣ – اتهام النفس وإحسان الظن بالمخالف ، ليكون الفرد منهم منصرفا إلى اتهام نفسه بالخطأ ، ذاكرا فى ذلك أدب الإمام الشافعى رضى الله عنه إذ يقول : ما جادلت أحدا إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه .

٤ – أدب الأفكار والاختصام بألّين الوسائل ، وأفْضلها مستأنسين بقصة الحسن والحسين فى نقد الشيخ الذى لم يحسن الوضوء .

٥ – تذميم الجدال والمكابرة .

٦ – إحياء فقه تعدد الصواب بين جانبى الخلاف فى المسألة الواحدة حيث أدت إلى تدارس الأمور وتفهمها ، والابتعاد عن التدابر والتزاحم .

٧ – التعاون فى المتفق عليه بين المسلمين ، وتبادل العذر فى المختلف فيه .

٨ – استحضار خطر العدو المشترك لكل المسلمين ومحاولة جمعهم فى صعيد واحد لمواجهته .

٩ – الرثاء للضال لا الشماتة والتشهير به .

١٠ – فتح إقامة العمل والإنتاج لكل فرد من الجماعة واستغلال طاقته(١) .

---

(١) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص ١٩٠ للشيخ سعيد محمد حوى .

ثم نقل الأستاذ سعيد حوى كلام المجاهد عبد الكريم الخطابى رحمه الله فى الإمام حسن البنا : (ترى أين يكون الأولياء إن لم يكن منهم بل فى غرتهم حسن البنا الذى لم يكن فى المسلمين مثله .....)[1] .

من خلال هذه الشهادات للإمام حسن البنا وجماعته ، من هؤلاء الرجال الأفاضل وغيرهم من الذين كتبوا عن هذه الجماعة وإمامها نلمس أن الجماعة مثلت دورا تاريخيا فى حياة الأمة الإسلامية فى العصر الحديث .

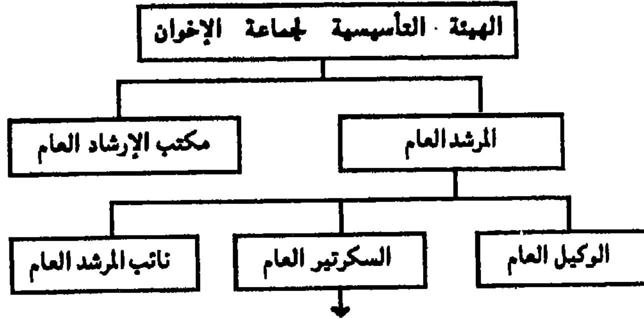
ومن خلال دراستنا لمبادئها وأفكارها والتى سنلخص بعضها فى المباحث الآتية يتقرر أنها أقرب الجماعات المرشحة لتخليص الأمة الإسلامية مما تعانيه من فساد وضياع وأنها الجماعة التى سيكون على يدها عودة مجد الأمة الإسلامية وكرامتها بإذن الله تعالى .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٩٣ .

٣ ـ الهيكل التنظيمى والإدارى لجماعة الإخوان وبيانه :

أولا : الهيكل التنظيمى والإدارى للإخوان المسلمين[١] :



الهيئة الفنية	الوحدات المنفذة والأقسام الرئيسية		الهيئة الإدارية
اللجان	الوحدات المنفذة	الأقسام الرئيسية	
- المالية	مكاتب إدارية	قسم نشر الدعوة	- موظفو السكرتارية للمرشد العام
- السياسية	مناطق	قسم العمال والفلاحين	- السكرتارية العامة
- القضائية	شعب	قسم الجوالة	- مراقب المركز العام ومعاونه
- الإحصائية	أسـر	قسم الأسر	- موظفو الخزانة
- الخدمات		قسم الطلبة	- قسم المبيعات والمكتبة
- الإفتـاء		قسم التربية البدنية	- سعاة وفراشون
- الصحافة والترجمة		قسم الاتصال الخارجى	
		قسم المهن وفروعها	الأطباء المهندسين القانونيين المعلمين التجـار الزراعيين الاجتماعيين الصحفيين الموظفين
		قسم الأخوات المسلمات	

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١١٦ - ١١٧ لمحمد شوق زكى .

ثانيا : بيان الهيكل الإدارى للإخوان المسلمين :

١ — الهيئة التأسيسية[١] :

وهى الهيئة التى تنبع منها السلطة الأولى فى الإخوان ، وهى تقوم مقام الجمعية العمومية فى سائر المنظمات ، والهيئة التأسيسية هى مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين .

وتتكون الهيئة التأسيسية من الإخوان المسلمين الذين سبقوا بالعمل للدعوة ، ومهمتها « الإشراف العام على سير الدعوة ، واختيار أعضاء مكتب الإرشاد وانتخاب مراجع الحسابات إلى غير ذلك من أعمالها » .

واجتماعات الهيئة الدورية أول شهر المحرم من كل عام هجرى لسماع ومناقشة تقرير مكتب الإرشاد عن نشاط الدعوة فى العام الجديد ، واختيار الأعضاء الجدد إذا حل موعد اختيارهم ، ومناقشة تقرير المراجع عن الحساب الختامى للسنة الماضية ، والميزانية المقترحة للسنة الآتية ، وللنظر فى غير ذلك من الأعمال والمقترحات التى تعرض عليها ، وتجتمع فى غير هذا الموعد اجتماعا فوق العادة بدعوة من المرشد العام ، إذا حدث ما يدعو إلى ذلك ، أو بقرار من مكتب الإرشاد ، أو بطلب من عشرين عضوا . والمرشد العام هو الذى يرأس الاجتماع ويكون الاجتماع صحيحا إذا حضرته الأغلبية المطلقة (النصف زائدا واحدا)

ويشترط فى أعضائها ما يلى :

(أ) أن يكون من الأعضاء المثبتين .

(ب) ألا تقل سنه عن خمس وعشرين سنة هلالية .

(ج) أن يكون قد مضى على اتصاله بالدعوة خمس سنوات على الأقل .

(د) أن يكون متصفا بالصفات الخلقية والثقافية والعملية التى تؤهله

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١١٩ — ١٢٠ (بتصرف) .

لذلك ، ويجب ألا يزيد عدد من يمنحون هذه العضوية على عشرة إخوان فى كل عام ، على أن يراعى فى اختيار هؤلاء تمثيل المناطق بقدر الإمكان .

٢ - المرشد العام(١) :

يتم انتخاب المرشد العام عن طريق الهيئة التأسيسية ، بحضور مالا يقل عن أربعة أخماس أعضائها ، وبموافقة ثلاثة أرباع الحاضرين منهم ، فإذا لم يكتمل النصاب القانونى أجلت الجلسة لفترة لا تقل عن أسبوعين ولا تزيد عن أربعة أسابيع من تاريخ انعقادها الأول فإذا لم يكتمل النصاب القانونى مرة أخرى أجلت الجلسة بنفس الشروط ، على أن يتم الإعلان عن الاجتماع المزمع عقده وعن أهدافه ، ويتم الانتخاب فى هذه الجلسة بنسبة ثلاثة أرباع الحاضرين أيا كان عددهم .

ويجب أن يتوافر فى المرشد العام ما يلى :

(أ) ألا تقل مدة عضويته فى الهيئة التأسيسية عن خمس سنوات قمرية .

(ب) أن يكون عالما متصفا بالأخلاق والدراية بالشؤون العملية ، وبعد الانتخاب يقسم المرشد الجديد اليمين التالى : « أقسم بالله العظيم ، أن أكون حارسا أمينا لمبادىء الإخوان المسلمين ، ونظامهم الأساسى ، وألا أجعل مهمتى سبيلا إلى منفعة شخصية ، وأن أتحرى فى عملى وإرشادى مصلحة الجماعة ، وفق الكتاب والسنة ، وأن أتقبل كل اقتراح أو رأى أو نصيحة ، من أى شخص بقبول حسن ، وأن أعمل على تنفيذه متى كان حقا ، وأشهد الله على ذلك » .

ثم تبايع الهيئة التأسيسية المرشد الجديد ، وكذلك يبايعه أعضاء الجماعة سواء بتقديم البيعة إلى رؤسائهم ، أو عند أول لقاء لهم بالمرشد ونص بيعة الولاء هو كالآتى :

« أعاهد الله العلى العظيم ، على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين ، والجهاد فى سبيلها ، والقيام بشرائط عضويتها ، والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة فى

(١) أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين (الجزء الثانى ص ١٤ - ١٦) د . ميتشيل (بتصرف) .

المنشط والمكرهِ ، وأقسم بالله العظيم على ذلك وأبايع عليه والله على ما أقول وكيل » .

ويظل المرشد فى منصبه مدى الحياة . وفى حالة وفاته أو عجزه يقوم بعمله وكيله ، إلى أن تجتمع الهيئة التأسيسية فى خلال شهر من تاريخ خلو المنصب لانتخاب المرشد الجديد .

٣ - مكتب الإرشاد(١) :

ومكتب الإرشاد العام الذى تنتخبه الهيئة التأسيسية يتكون من اثنى عشر عضوا ، ينتخبون من بين أعضاء الهيئة ، عدا المرشد العام ويلاحظ فى انتخابهم أن يكون تسعة منهم من إخوان القاهرة ، والثلاثة الباقون من بين إخوان الأقاليم .

ويشترط فيمن يرشح لعضوية المكتب أن تتوفر فيه الشروط الآتية :

(أ) أن يكون من بين أعضاء الهيئة التأسيسية ، وأن يكون قد مضى على عضويته فيها مدة لا تقل عن ثلاث سنوات .

(ب) أن يكون مؤهلا من النواحى الخلقية والعلمية والعملية لهذه العضوية .

(ج) ألا تقل سنه عن ثلاثين سنة هجرية .

ويتم الانتخاب بالاقتراع السرى ، وبعد إعلان النتيجة يقسم العضو على أن يكون حارسا لمبادىء الإخوان ، واثقا بقيادتهم ، منفذا لقرارات المكتب القانونية ، وإن خالفت رأيه ويبايع على ذلك .

ثم تنتخب الهيئة التأسيسية أيضا من بين الإخوان التسعة القاهريين وكيلا ، وسكرتيرا عاما ، وأمينا للصندوق ، ومدة عضوية المكتب سنتان ، ويتجدد الانتخاب فى نهاية المدة ، ويجوز اختيار العضو لأكثر من مدة ، وإذا خلا مكان

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٢٠ - ١٢١ (بتصرف)

أحد الأعضاء قبل مضى المدة حل محله الذى يليه فى عدد الأصوات ، فى انتخابات الهيئة .

من هذه الأركان الثلاثة يتكون المركز العام للإخوان المسلمين ، ومكانه فى عاصمة البلاد ، ويتفرع عن المركز العام المكاتب الإدارية ، والمناطق ، والشعب ، والأسر ، ومهمتها كما يلى :

١ - المكتب الإدارى[1] :

له مجلس إدارة يتكون من رئيس المكتب الإدارى ، ويكون عادة رئيس الشعبة الرئيسية ، ويجوز أن يختاره مكتب الإرشاد العام ، وإن لم يكن رئيس شعبة أو عضوا فيها ، ووكيل المكتب الإدارى وسكرتيره وأمين صندوق ويكونون عادة يشغلون هذه المناصب فى الشعبة الرئيسية ، أما بقية أعضاء مجلس إدارة المكتب الإدارى فهم رؤساء المناطق فى دائرة المكتب ، وأعضاء الهيئة التأسيسية بنفس الدائرة ، ومندوبو النشاط فى المكتب الإدارى ، وزائر مكتب الإرشاد ، ورأيه استشارى وليس له حق التصويت .

٢ - المنطقة[2] :

ويتكون مجلس إدارة المنطقة من رئيس الشعبة الرئيسية فى المنطقة ورؤساء بقية الشعب الداخلة فى المنطقة ، وزوار الشعب ، وزائر المكتب الإدارى ، ومندوبو أوجه النشاط فى الشعبة الرئيسية .

٣ - الشعبة[3] :

ومجلس إدارة الشعبة يتكون من خمسة أشخاص ، أحدهم يختاره المركز العام وهو رئيس الشعبة ، والأربعة الباقون تنتخبهم الجمعية العمومية للشعبة على أن يكون اثنان منهم وكيلين ، والثالث سكرتير ، والرابع أمين صندوق ، وعلى أن يكون الانتخاب سرياً ، ويشترط فى عضو مجلس إدارة الشعبة أن لا يقل سنه عن

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٢٢ (بتصرف) .
(٢) ، (٣) نفس المرجع السابق ص ١٢١ - ١٢٣ (بتصرف) .

٢١ سنة هلالية على الأقل ، وأن يكون قد مضى على عضويته فى الشعبة ، سنتين على الأقل ولم يعرف عنه فى أثنائها ما يتنافى مع واجبات العضوية .

ويشترط فى عضو الشعبة ما يأتى :

(أ) أن لا يقل عمره عن ثمانية عشر عاما .

(ب) أن يكون حسن السير والسلوك ولم تصدر ضده أحكام مخلة بالشرف .

(ج) أن يكون فاهما فكرة الإخوان ناهضا بواجباته .

(د) أن يفرض على نفسه اشتراكا شهريا يدفعه للشعبة بانتظام .

(هـ) أن يتعهد بالعمل بقانون الإخوان المسلمين ويبايع بيعتهم .

٤ - الأسرة :

وهى الخلية الواحدة ، من مجموع الخلايا التى تتكون منها جماعة الإخوان المسلمين ، وهى تتكون من خمسة أشخاص على رأسهم نقيب ، وسيأتى الإشارة إلى واجبات وشروط العضو فيها فى فصل واجبات وشروط الفرد فى الجماعة .

وقد كان عدد شعب هذه الجماعة فى عام ١٩٤٨ م[١] ٢٠٠٠ شعبة تحتها ما يقارب المليون عضو ، أما المكاتب الإدارية فكانت على عدد محافظات مصر ، وأما عدد المناطق فكانت أكثر من ٣٠٠ منطقة فى مصر وحدها ، هذا هو الهيكل الإدارى لجماعة الإخوان المسلمين ، والإشارات إلى بعض مهام أجزائه .

وقد كتب فى ذلك الهيكل الدكتور ريتشارد ميتشيل كتابه المشهور (أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين) أحيل عليه من أراد التوسع أو مزيدا من الاستيضاح عن باقى مهام الهيكل ، ومميزاته عن غيره ، وأنه هو[٢] الهيكل الذى رسم بما يوحيه الشرع الإسلامى ، وما تقتضيه التنظيمات الإدارية الحديثة ،

---

(١) المجتمع المصرى ص ١١٦ ، أيديولوجية الإخوان ٣٣٨/٢ .

(٢) الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٢٣ .

فالأسرة خاضعة للشعبة التابعة لها ، والشعبة خاضعة للمنطقة التى تتبعها ، والمنطقة خاضعة للمكتب الإدارى الذى تتبعه ، والمكتب الإدارى خاضع لمكتب الإرشاد العام ، ومكتب الإرشاد العام خاضع للمرشد العام ، وحركة المرشد العام تسير ضمن الإطار العام الذى رسمته الهيئة التأسيسية .

ويكون الاتصال بين هذه الوحدات طرديا أو عكسيا عن طريق هذا التسلسل كما مثله الدكتور الحسينى[1] بالساعة وهى تؤدى حركتها ، كل ترس فيها يقوم بمهمته ليصل الجميع فى النهاية إلى ضبط الوقت ، وذلك عند ربطه بين عبقرية حسن البنا فى التنظيم ، وتعلمه لصناعة الساعات وإصلاحها مع والده .

وهذه الدقة والوضوح فى النظام والتنظيم ، هو ما ينبغى على كل جماعة من الجماعات الإسلامية الاهتمام به ، خاصة فى هذا الوقت الذى نظم الكفر نفسه ليحول بين المسلمين وتحقيق أهدافهم .

وإلى النظام والتنظيم فى الجماعة الإخوانية أشار الشيخ سعيد حوى[2] وسلط الضوء على جوانب مهمة منه نلخصها فيما يلى :

(أ) جعل أولى الخطوات فى حياة المسلم انضمامه إلى جماعة منظمة . مبينا أنه لا يمكن أن تتحقق مبادىء الإسلام إلا بهذا الانضمام ، مستدلا بالقاعدة الأصولية : « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » وبقوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنَّ الله عزيز حكيم ﴾[3] مبينا أن الولاء المذكور فى الآية لا يتحقق إلا فى جماعة .

وأن الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذِين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولِى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم

---

(1) الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ص ٢٧ .
(2) المدخل ص ٥١ — ٥٧ .
(3) التوبة آية ٧١ .

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[1] .

تنص على أن يعطى المسلم ولاءه لجهة معينة ، هذه الجهة هى التى نصت عليها الآية الكريمة ، وهى كتاب الله وسنة رسوله ، وأولى الأمر .

وبما أن ولاة الأمر فى الأمة اليوم بين كافر أو منافق أو فاسق لا تصح موالاتهم ، فأقرب جهة يجب أن يعطيها المسلم ولاءه هى أكمل الجماعات الإسلامية الموجودة فى عصرنا الحاضر . والحث على لزوم الجماعة فى كتاب الله وسنة رسوله غير خاف على مسلم .

قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالّذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾[2] .

وقوله ﷺ لحذيفة بن اليمان عندما سأله عن الطريق المستقيم عندما تحل الفتن : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم »[3] .

والأحاديث التى تثبت وجود جماعة من المسلمين على الحق فى كل زمان وطور لهذه الأمة الإسلامية ثابتة ومتواترة . تعلن لكل من وجد فى نفسه مثقال حبة من خردل من إرادة العمل للإسلام والعمل على إعلاء رايته أنها موجودة ، وأنها منصورة ، وأنها ظاهرة بالحق على من خذلها ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(ب) ثم بين المؤلف بعض محاسن التنظيم ، من أنه يدفع الإنسان إلى العمل فى أطواره كلها فلا تموت حركته .

---

(١) النساء آية ٥٩ .
(٢) آل عمران آية ١٠٣ : ١٠٥ .
(٣) من حديث طويل سبق فى صفحة (٢٩) من البحث نفسه .

(ج) وأنه يضم قوة المسلم إلى قوة إخوانه ، فتصبح له مجموع قوتهم كما أن قوته ترفعهم .

(د) وبالتنظيم يكمل الجيل اللاحق عمل الجيل السابق ، فلا يضطر كل جيل إلى أن يبدأ من الصفر .

(هـ) وفى الجماعة يتم التواصى بالحق والصبر ، ويقام الجهاد بأنواعه ويساعد المجتمعون بعضهم بعضا على الاستقامة الكاملة ، فلا يكون بينهم انحراف .

(و) أكد المؤلف على وجوب التنظيم ، والتنظيم الصالح لأن التنظيم السيء قد يكون معوقا عن العمل ، شالاً لطاقات الإنسان ومجمدا لها .

(ز) ثم كتب المؤلف بعضا من شروط التنظيم الصالح :

١ - أن تكون على رأسه قيادة تعرف ما تريد والوسائل إلى ما تريد .

٢ - أن تركز على منهاج ثقافى وتربوى سليم ، وخطة شاملة تقى الصف من الاختلاف والانقسام .

٣ - أن تكون حركة التنظيم نحو الخارج مستمرة ، فى اتزان دائم ليندفع الركود الذى يرافقه فى الغالب الفرقة والخلافات الداخلية .

٤ - أن يضم التنظيم كافة أعضائه ، فلا يهمل البعض فتموت حركتهم وعلى هذا فلابد أن يشعر كل أعضاء التنظيم جميعا أنهم فى الصف والصف يستفيد منهم .

٥ - أن يجعل الثقة بين القيادة والجند على أعلاها فبدونها لا يمكن السير خطوة واحدة .

٦ - أن يأخذ كل واحد فى الصف مكانه المناسب ، على حسب إمكاناته فلا أخطر على الجماعة من قضية أن يصل إلى مركز القيادة من ليس كفئا لها .

٧ - أن تحكم هذا التنظيم قواعد متعارف عليها (متمثلة بنظام تراعى فيه كل الأمور المشار إليها) .

(ح) ثم أكد حتمية وجود ذلك النظام ، لتحديد بنية التنظيم ، وإطاره ومعالم العمل ومسئولية العامل ، لأن التعريف بالدعوة ، والتكوين عليها ، والتنفيذ من أجلها ، يحتاج إلى أمور متداخلة ، لابد أن يحويها نظام لا يضخم فيه جانب على حساب جانب آخر ، أو يتعارض جانب فيه مع جانب آخر .

(ط) ثم بين بعض ما يجب أن يراعى فى ذلك النظام :

١ - الاستفادة من تجارب العمل كله .

٢ - تفهم حاجة الدعوة الإسلامية الماسة إلى كفاءة فى الرجال ومتانة فى البناء وكمال فى العلم والفهم والسلوك ، فلابد من نظام يوفر ذلك .

٣ - أن لا تعطى الشورى إلا لأهلها ، لأن الواجب أن يقرر مصير الجماعة وأهدافها ويحدد مواقفها المخلصون الواعون من أبنائها ، وألا يصل إلى مركز القيادة إلا من هو أهل لها .

٤ - أن يكون التوسع العام فى القاعدة متناسقا مع توسع القيادة .

٥ - أن يشمل العمل الإسلامى جميع مرافق الحياة .

٦ - أن ينظم الجماعة ويقيمها على وضع لا يبقى لأحد حجة صحيحة عليها .

٧ - أن يصبح التنظيم هو العقل المفكر ، والمحرك للمسلمين ، والبعيد بنفس الوقت عن الأضواء والضجيج ليقود المسلمين إلى النصر المؤزر .

٨ - أن يؤمن صفا لا يخترقه فكر دخيل أو عدو أو عميل .

٩ - أن يحرك الطاقات ويطلقها إلى أبعد حد ممكن .

١٠ - أن يحقق أكبر قدر ممكن من التلاحم بين القيادة والقاعدة .

١١ - أن يحقق أرقى أشكال التنظيم المكافىء لكل وضع ، ليكفل أقوى أنواع الأمن الداخلى للتنظيم .

١٢ - أن يحقق وضعا لا يظلم فيه أحد ولا تقوم فيه ولاءات شخصية أو عيوب جانبية فى داخل التنظيم .

١٣ - كونه واقعيا يمكن تطبيقه .

ثم ختم الشيخ سعيد حوى كلامه عن التنظيم والنظام وما ينبغى لكل واحد منهما بقوله : (إن جماعة الإخوان المسلمين تسعى لذلك كله غير ناسية صعوبة الطريق مدركة أنه لا خيار أمامها فى السير فى ذلك الطريق أو عدم السير فيه ، منطلقة من بعد خمسين عاما سيرا وحركة وتجارب ، وهى تعتقد أن الأمر أولا وأخيرا يحتاج إلى توفيق الله تعالى ، ثم إلى الإحسان فى النية ، والأخذ بالأسباب فى عالم قفز به استخدام الأسباب إلى قمم كانت أحلاما) .

٤ - غايات الجماعة :

لخص الإمام حسن البنا غايات جماعته فى عدة مواضع من رسائله نذكرها من أكثر المواضع شمولا ، يقول فى شرحه ركن العمل[١] وهو الركن الثالث من أركان البيعة فى الجماعة (وأريد بالعمل ما يلى :

١ - إصلاح الفرد نفسه .

٢ - تكوين البيت المسلم .

٣ - إرشاد المجتمع .

٤ - تحرير الوطن من كل سلطان أجنبى .

٥ - إصلاح الحكومة .

٦ - إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية .

٧ - أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه) .

فهدف الجماعة الأول بناء الفرد المسلم ، ثم تطلب من كل فرد من هؤلاء

---

(١) مجموعة الرسائل ص ١٢ - ١٢٦ - ١٢٨ - ٢٢٥ - ٢٦٨ .

الأفراد: أن يبنى كل واحد منهم البيت المسلم ، وبتوافر الأسر الإسلامية تكون الجماعة قد سارت فى هدفها الثالث ، وهو بناء المجتمع المسلم وعندما يصبح المجتمع مسلما يدرك واجبه نحو وطنه ، وواجبه نحو أمته ، وواجبه نحو البشرية كافة ، فبقدر هذا الإدراك لهذه الواجبات تكون الجماعة سائرة فى أهدافها السبعة ، فى تدرج سليم يوصل الأول منها إلى الثانى وهكذا ولو طالت طريقها .

٥ - وسائل الجماعة إلى أهدافها :

أما وسائل الجماعة إلى غاياتها فقد لخصها[١] الإمام حسن البنا فى أمور ثلاثة :

(أ) الإيمان العميق .

(ب) التكوين الدقيق .

(ج) العمل المتواصل .

ثم بين أنه عندما يؤمن الفرد والأسرة والمجتمع بأحقية الدعوة الإسلامية ويتكون الجميع بتعاليمها ، ثم يواصل الجميع العمل بهذه التعاليم ، والدعوة إليها ونشرها بين الناس ، وتكوينهم عليها . تكون الجماعة فى خط صحيح ، وعلى أساس سليم ، وفى حركة مستمرة متواصلة نحو أهدافها كلها .

٦ - أركان البيعة فى الجماعة :

من مراتب الجماعة فى تصنيف أعضائها العضو المجاهد ، وأركان البيعة تخص هذه المرتبة من الأعضاء .

يقول مرشدهم : (أيها الإخوان الصادقون أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها[٢] :

١ - الفهم ٢ - الإخلاص ٣ - العمل ٤ - الجهاد ٥ - التضحية

---

(١) رسالة بين الأمس واليوم ص ١٣٥ للإمام حسن البنا .

(٢) رسالة التعاليم ص ٧ .

٦ – الطاعة ٧ – الثبات ٨ – التجرد ٩ – الأخوة ١٠ – الثقة .

وقد شرح المرشد هذه الأركان العشرة فى رسالة كاملة نلخصها فيما يلى :

(أ) **الفهم :**

وقصد الإمام من ركن الفهم أن يفهم هؤلاء الإخوان أن فكرتهم إسلامية صحيحة .

وأن يفهموا الإسلام على أنه نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا .

وأنالكتاب والسنة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام .

وأن يفهموا أن الطريق إلى فهم القرآن لغة العرب ، وأن الطريق إلى السنة رجال الحديث الثقات .

وأن الإيمان الصادق والعبادة الصحيحة نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده ، وأن الإلهام والخواطر والرؤى ليست من أدلة الأحكام .

والتمائم والكهانة والودع وادعاء معرفة الغيب منكر يجب أن يزول .

وأن رأى الإمام ونائبه معمول به ما لم يصطدم بنص .

وأن كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد ، إلا المعصوم ﷺ ، وأن لا يعرضوا للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن وأن يكلوهم إلى نياتهم .

وأن على كل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، وأن يستكمل نقصه ليصبح من أهل النظر .

وأن الخلاف الفقهى لا يكون سببا للتفرقة فى الدين ، بل يجب التفاهم فيه فى ظل الحب والإخاء .

وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف المنهى عنه .

وآيات الصفات وأحاديثها نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل .

وأن كل بدعة فى الدين بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها .

وأن الأولياء هم ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وأنهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، فضلا عن أن يهبوا أشياء من ذلك لغيرهم .

وزيارة القبور سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ولكن تشييدها أو الاستعانة بأصحابها كبائر تجب محاربتها .

والعرف الخاطىء لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية شيئا .

والعقيدة أساس العمل وعمل القلب أهم من عمل الجارحة .

والإسلام يحرر العقل ويحث على العلم والنظر فى الكون ، ويجعل الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها .

وأن النظر الشرعى مقدم على النظر العقلى ، وأنه لا يمكن أن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة .

وأن لا يكفر مسلم أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما برأى أو معصية .

(ب) الإخلاص :

ويقصد بالإخلاص – إخلاص العضو عمله لله تعالى .

(ج) العمل :

ويقصد بالعمل – أن يعمل العمل ضمن مراتب العمل المقررة فى الجماعة وهى :

١ – بناء الفرد .
٢ – بناء الأسرة .
٣ – إرشاد المجتمع .
٤ – إصلاح الدول .
٥ – تحرير الوطن .
٦ – إعادة كيان الأمة الإسلامية .
٧ – سيادة العالم بنشر تعاليم الإسلام فى ربوعه .

(د) **الجهاد :**

ويقصد بالجهاد – الفريضة الماضية إلى يوم القيامة بمراتبه الثلاثة بالقلب واللسان واليد .

(هـ) **التضحية :**

ويقصد بالتضحية : بذل العضو ماله ونفسه وكل شيء فى سبيل الغاية .

(و) **الطاعة :**

ويريد بالطاعة امتثال العضو الأمر وإنفاذه توا فى العسر والمنشط والمكره . وهى لازمة فى مرحلتى الدعوة (التكوين والتنفيذ) .

(ز) **الثبات :**

ويقصد بالثبات – أن يظل العضو عاملا فى سبيل غايته مهما طالت المدة ويعتبر الوقت جزءا من العلاج .

(ح) **التجرد :**

ويريد بالتجرد أن يتجرد العضو لدعوته وجماعته عمن سواها .

(ط) **الأخوة :**

ويريد بالأخوة أن ترتبط القلوب فى الجماعة برباط العقيدة (أن يرى كل واحد أخاه أولى من نفسه) .

(ك) **الثقة :**

ويقصد بالثقة – اطمئنان العضو إلى قيادة الجماعة وكفاءتها .

٧ – خصائص دعوة الإخوان[١] :

ومن أبرز ما اختصت به جماعة الإخوان عن غيرها من الجماعات الإسلامية المعاصرة ما يلى :

---

(١) رسالة (دعوتنا فى طور جديد) ص ٦٣ للإمام حسن البنا .

(أ) أنها ربانية ، لأن الأساس الذى تقوم عليه أهدافها جميعا أن يتقرب الناس إلى ربهم عز وجل .

(ب) وأنها عالمية ، لأنها موجهة إلى الناس كافة ، لأن الناس فى حكمها أخوة من أصل واحد .

(ج) وأنها إسلامية – لأنها تنتسب إلى الإسلام ، بل أجمع ما توصف به أنها إسلامية .

(د) شمولها لكل الاتجاهات المعاصرة . يقول مؤسسها مختصراً[1] :

إن الإخوان المسلمين :

★ دعوة سلفية ، لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافى ، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

★ وطريقة سنية ، لأنهم يحملون أنفسهم بالعمل بالسنة المطهرة فى كل شىء .

★ وحقيقة صوفية ، لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس والارتباط على الخير .

★ وهيئة سياسية ، لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم ، وإقامة الخلافة .

★ وجماعة رياضية ، لأنهم يعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى .

★ ورابطة علمية ثقافية ، لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

★ وشركة اقتصادية ، لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه .

---

(1) رسالة المؤتمر الخامس ٢٤٨ – ٢٥٠ للإمام حسن البنا .

* وفكرة اجتماعية ، لأنهم يعنون بدواء المجتمع الإسلامى ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها .

ويختم قوله بأن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولا لكل مناحى الإصلاح[1] .

وذكر هذا المعنى الدكتور الحسينى بقوله : إنها (أى جماعة الإخوان) ظاهرة لها أصولها فى التاريخ الإسلامى فهى تشبه إلى حد كبير الحركة الوهابية والحركة السنوسية وهى متأثرة بالمدرسة السلفية التى تزعمها رشيد رضا فى مصر وبمدرسة ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . وأخيرا بمدرسة أهل الحديث التى حمل لواءها إسحاق بن راهويه فى خراسان وأحمد بن حنبل فى العراق فى القرن الثالث الهجرى[2] .

(هـ) تحرير ولائها من كل الحكومات ، والأحزاب القائمة على غير الإسلام :

يقول مرشد الجماعة عند كلامه عن غايات جماعته :

(وكلمة لابد أن نقولها فى هذا الموقف هى أن الإخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات من ينهض بهذا العبء ، وكلمة ثانية أنه ليس أعمق فى الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا فى أى عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات ، أو منفذين لغاية غير غايتهم ، أو عاملين على منهاج غيرمنهاجهم)[3].

وما مرت وتمر به الجماعة من محن على امتداد تاريخها من قبل الحكومات فى أنحاء العالم الإسلامى خير دليل على أن هذه الجماعة قد سحبت ولاءها من هذه الحكومات جميعا ، وأنها لم تعمل لحساب واحدة من تلك الحكومات .

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس ص ٢٧٣ .
(٢) الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية للدكتور إسحاق الحسينى صفحة ٤٧ .
(٣) المؤتمر الخامس ص ٢٧٥ للإمام حسن البنا .

(و) ومن خصائص الجماعة أيضا البعد عن مواطن الخلاف الفقهى :

لاعتقادهم أن الخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى لاختلاف العقول البشرية التى هى الطريق إلى فهم النصوص .

يقول المرشد : (فأما البعد عن مواطن الخلاف الفقهى فلأن الإخوان يعتقدون أن الخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى)[1] .

وقد انفردت الجماعة بإرساء قاعدة تفصل بين الناس فى هذا الموضوع ، تتلخص هذه القاعدة فى قول الإمام حسن البنا[2] : (ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى الأدلة أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلة إمامه ، وأن يستكمل نقصه ليصبح من أهل النظر فى الأحكام ، والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا لتفرقة فى الدين ولا يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء) .

وأكد هذه القاعدة الشيخ سعيد حوى بقوله : (إن المفاصلة فى الإسلام لا يجوز أن تكون على أساس الفروع الفقهية ، ولكن على أساس الأصول العقدية ، وإذا لم تكن المسألة على هذا الأساس فإنه لا يبقى اثنان من المسلمين يدا واحدة)[3] .

(ز) ومن خصائصها البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان :

وقد بين مؤسس الجماعة أسباب ذلك بقوله : (لأن الأعيان والكبراء منصرفون عن الدعوة ، لأنها مجردة من الغايات الدنيوية وأن الدعوة تعمدت هذا حتى لا يستغلها أو يوجهها أحد منهم ، ولأن كثيرا من هؤلاء الكبراء ينقصهم الكمال الإسلامى ، الذى يجب أن يتصف به المسلم العادى فضلا عن المسلم الذى يحمل الدعوة)[4] .

---

(١) المصدر السابق صفحة (٢٥١) .
(٢) رسالة التعاليم ص ٨ .
(٣) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين لسعيد حوى ص ٢٥ .
(٤) المؤتمر الخامس ٢٥٢ – ٢٥٣ للإمام حسن البنا .

(ح) البعد عن الهيئات والأحزاب :

لما بين هذه الأحزاب من تنافر وتناحر ولاعتقاد الجماعة أن دعوة الإسلام عامة تجمع ولا تفرق ، وأنه لا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل الولاءات وصار لله خالصا .

(ط) التدرج فى الخطوات :

لاعتقادهم أن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث :

١ - مرحلة الدعاية والتعريف بالدعوة وإيصالها إلى الناس .

٢ - مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود من بين المستجيبين للدعوة .

٣ - مرحلة التنفيذ وهى مرحلة العمل والإنتاج ، فكل واحدة من هذه المراحل الثلاث تسلم للأخرى كما سيأتى توضيحه فى منهج الرسول ﷺ .

وبدون التدرج فى هذه المراحل الثلاث لا يمكن لأى دعوة أن تصل إلى غايتها بحال من الأحوال ، ولا مانع من اجتماعها فى زمن واحد ، ولكن الذى لا يمكن هو تقديم واحدة على الأخرى .... فلا يمكن أن ينفذ شخص شيئا قبل أن يتكون عليه ، ولا يمكن أن يتكون شخص على شىء لم يعرفه ، فلابد أن يتعرف أولا على ذلك الشىء ، ثم يتكون عليه ، ثم يطلب بعد ذلك منه التنفيذ .

ولقد سارت جماعة الإخوان المسلمين فى هذه المراحل الثلاث .

يقول مؤسس الجماعة : (فى حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ، ولا تزال تسير ، فقد بدأنا بالدعوة ، فوجهناها إلى الأمة فى دروس متتالية وفى رحلات متلاحقة ومطبوعات كثيرة) .

ويقول : (خطونا الخطوة الثانية فى صور ثلاث :

١ - الكتائب - ويراد بها تقوية الصف بالتعارف وتمازج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات .

٢ - الفرق - الكشافة والجوالة .... ويراد بها تقوية الصف بتنمية أجسام الإخوان وتعويدهم على الطاعة والنظام .

٣ - دروس التعاليم - فى الكتائب والأندية ويراد بها تقوية الصف بدراسة جامعة لأهم ما يلزم المسلم[١] .

ولشدة الإيجاز فيما ذكرنا عن الإمام البنا فى جانب مرحلة التكوين ، نلخص ما جاء مفصلا فى هذا الموضوع فى مدخل الشيخ سعيد حوى[٢] . تحت عنوان (دليل التكوين فى دعوة الإخوان المسلمين) وهو ما يعتمده الإخوان المسلمون من معالم تدل على قضية التكوين .

ولتوضيح ذلك الدليل كتب المؤلف ثلاث مقدمات نلخصها فيما يلى :

المقدمة الأولى : أن داء الأمة الأول (هو الغثائية) والتى مظهرها الخفة والانجراف مع التيار . أخذ ذلك من حديث رسول الهدى ﷺ الذى أخرجه أبو داود : قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » . فقال قائل : أمن قلة نحن يومئذ ؟ فقال : « بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن » . قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت »[٣] .

وبين أن الخروج بالأمة من مرض الغثائية ، أن تتحول الأمة إلى تيار يصعب على التيارات الأخرى جرفه ، ولا يتم ذلك التيار إلا بتلاحم الأمة بعضها مع بعض ، لتكون الوزن الثقيل الذى لا يمكن جرفه ، وتحويله إلى غثاء من قبل التيارات الأخرى .

المقدمة الثانية : ضمن هذه المقدمة فرض العصر على هذه الأمة وجعله لزوم

---

(١) المؤتمر الخامس ص ٢٥٥ .
(٢) المدخل ص ٦١ - ٨٠ ، ص ٨٠ - ٨٨ .
(٣) أخرجه أبو داود ١١١/٤ وهو عند أحمد ٣٥٩/٢ .

جماعة المسلمين وإمامهم ، وعلل ذلك أن الأمة فى طور الدعاة على أبواب جهنم ، وبين أن الأمة الإسلامية لا تخلو من جماعة مستدلا على هذه المقدمة بما يلى :

(أ) حديث حذيفة : كان الناس يسألون النبى ﷺ عن الخير .... فما تأمرنى يا رسول الله قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ..... » الحديث[1] .

(ب) حديث : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق .... » الحديث[2] .

المقدمة الثالثة : وهذه المقدمة ضمنها فقد الأمة للتخصصات الموصلة إلى إيجاد ما تحتاجه الأمة فى حياتها العامة ، من صناعات وعمران .

ثم بين المؤلف بعد هذه المقدمات الثلاث الطريق عند الإخوان المسلمين إلى الخروج من الغثائية فى المقدمة الأولى .

وعدم الالتزام بجماعة المسلمين فى المقدمة الثانية .

وفقد الأمة هذه الاختصاصات فى المقدمة الثالثة .

وملخص هذا الطريق فيما يلى :

١ – خطة ثقافية تهدف إلى إيجاد المحاور التالية :

(أ) محور الثقافة الإسلامية .

(ب) محور الثقافة المعاصرة .

(ج) محور الثقافة التأهيلية فى اختصاص حياتى .

(د) محور الثقافة التأهيلية لعمل إسلامى .

٢ – إحياء خصائص الوراثة لرسول الهدى ﷺ ، بجعل الأمة كلها أمة مجاهدة ، وهذه الأمة المجاهدة على طبقتين :

---

(١) انظر تخريجه فى صفحة (٢٩) من البحث نفسه .

(٢) أخرجه مسلم ١٥٢٣/٣ وهو عند الترمذى ٤٨٥/٤ وقال : حسن صحيح .

(أ) القمة منها ، وهى الطبقة الوارثة ، وهى الطبقة التى تظهر فيها القدرة على العلم وتزكية الأنفس ، مع الصدق والاستقامة ، والقدرة على إقامة الحجة ، والقيام بتبليغ دين الله ، والحرص على الصف ، والرحمة والرأفة بالأفراد ، واللين مع الإخوان .

(ب) ثم الطبقة المجاهدة : وهى الطبقة التى من أبرز صفاتها محبة الله والذلة على المؤمنين ، والعزة على الكافرين ، والجهاد ، وتحرير الولاء لجماعة المسلمين .

والطبقتان معا تمثل خصائص جماعة المسلمين ، التى ذكر الله تعالى شأنه بعضها فى قوله تعالى : ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للّذِين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والّذِين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والّذِين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ الّذِين إن مكنّاهم فى الأرض أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾[2] .

٣ — بناء الفرد فى الأمة على أساس الالتزام المبصر ، لجماعة المسلمين القائم على قواعد الكتاب والسنة والشورى .

قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصّلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ﴾[3] .

واختتم المؤلف موضوع دليل التكوين فى دعوة الإخوان المسلمين الذى بين فيه أمراض الأمة فى المقدمات الثلاث الأولى . وعلاج تلك الأمراض فى الدوائر الثلاث .

---

(١) سورة الشورى آية ٣٦ — ٣٩ .
(٢) سورة الحج آية ٤١ .
(٣) سورة التوبة آية ٧١ .

ختم هذا الدليل بقوله : (إن جماعة الإخوان تسير على تلك الخطة للوصول إلى هدفها الأول وهو بناء الشخصية الإسلامية) .

ثم بين أن خطة لا تشمل هذه الدوائر الثلاث ، ينتج عنها ثقافة إسلامية ، ولكنها خالية من الثقافة المعاصرة ، والالتزام ، أو الخصائص أو ثقافة معاصرة خالية من الثقافة الإسلامية ، أو ثقافة إسلامية ومعاصرة ، ولكنها بدون الالتزام ، وهذا ما عليه المسلم اليوم فى غير نطاق جماعة الإخوان المسلمين .

انتفاخ فى جانب ، وضمور فى جانب آخر .

والجماعة فى خطتها تلك تقسم المنهج إلى قسمين :

١ - التكوين الموجه : ويضم المراتب للإخوان المنتظمين فى الجماعة وهى حسب اصطلاح الجماعة :

(أ) النصير (ب) المجاهد

(ج) النقيب (د) النائب

ولهذا القسم كتبه وتوجيهاته الخاصة ، منها المطبوع ومنها غير المطبوع .

٢ - القسم الثانى هو التكوين العام : وهو القسم الذى يوسع للفرد فى جماعة الإخوان المسلمين ثقافته ، ويرتقى أكثر فأكثر بروحه ، وجعله المؤلف على ثلاثة مراحل :

(أ) يتقن المسلم فيها تلاوة القرآن ، وحفظ ما ندب منه ، وحفظ ما تيسر من الحديث الشريف ، والاطلاع على رسائل مختصرة - فى العقيدة ، والعبادة ، والسيرة ، والسلوك .

(ب) أما فى المرحلة الثانية : فيتوسع فيما ذكر فى المرحلة الأولى .

وحدد المؤلف بعض الكتب لتلك الموضوعات[1] .

---

(١) انظر المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص ٨٣ لسعيد حوى .

(خ) والمرحلة الأخيرة وهى الثالثة : فهى مرحلة التخصص فى دراسة ما كأصول الفقه مثلا وغيرها من مجالات محاور الثقافة الأربعة المذكورة فيما سبق[1] .

وفى مجال التكوين أيضا كتب المؤلف :

تحت عنوان دليل العمل فى دعوة الإخوان المسلمين ، أن كل دعوة تحتاج إلى شيئين فى آن واحد :

١ - حماس قوى ٢ - وتحكم قوى فى هذا الحماس

فلا غنى فى الدعوات عن الحماس ، ولكنه لا يصلح بدون ضبط العقل له ، حتى لا يستخفها الذين لا يوقنون ، والطريق إلى هذين الأمرين :

(أ) أن تكون للمسلم خططه وبرامجه العلمية .

(ب) وخططه وبرامجه المالية .

(ج) وخططه وبرامجه السلوكية والعبادية .

ثم بين المؤلف العمل فى جماعة الإخوان : هو المنظم لما ينبغى أن يكون عليه الفرد منهم فى جانبه العبادى والسلوكى ، فهو شامل لما ينبغى أن يكون عليه الفرد منهم فى يومه ، وأسبوعه ، وشهره ، وسنته ، وعمره ، وملخصه كما يلى :

١ - دليل العمل فى اليوم والليلة :

إلى جانب ما جاء فى رسالة المأثورات للأستاذ البنا .

(أ) الاستيقاظ فى السحر ودخول المسجد قبل طلوع الفجر والقعود فيه بانتظار صلاة الصبح فى جماعة وإذا انتهى إلى الصف يقول : اللهم ائتى أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين .

(ب) يكرر بعد صلاة الصبح ثلاث مرات : (اللهم رب جبريل

---

(١) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين لسعيد حوى ص ٨٠ - ٨٥ باختصار .

وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبى ﷺ أعوذ بك من النار)[1] .

(ج) يذكر الله إلى ما بعد طلوع الشمس ثم يصلى الضحى ، وأن يكون له ورده القرآنى .

(د) وأن يطالع كتبا نافعة .

(هـ) وأن يحرص على التهجد والوتر - والإكثار من الذكر والدعاء والتضرع إلى الله .

(و) أن يحرص على محاسبة النفس قبل النوم وحمده الله على الخير واستغفاره من الشر .

(ز) أن يكون له نشاط رياضى ولو بالسير على الأقدام .

٢ - دليل العمل الأسبوعى :

(أ) الحضور إلى درس أسبوعى مع الإخوان ، والحرص على ليلة الكتيبة ويوم الرحلات .

(ب) الاغتسال ليوم الجمعة وتحرى ساعة الإجابة فيه ، والإكثار من الصلاة والسلام على النبى ﷺ .

٣ - دليل العمل الشهرى :

(أ) الحرص على يوم النصيحة بالمعروف ، مع التزام آداب النصيحة ، ويوم الآخرة بزيارة القبور ، ويوم العبادة ، ويوم الإصلاح ، ويوم الصدقة ، ويوم التعارف ، ويوم الريف ، وصيام أيام البيض الثلاثة .

٤ - دليل العمل السنوى :

(أ) الاحتفال بأيام الإسلام الفاصلة بين الحق والباطل .

(ب) الاعتكاف فى رمضان .

---

(١) الأذكار للإمام النووى ص ٣٧ .

(ج) التعود على الصدقة مفروضها ومندوبها .

(د) الخروج فى الأجازة السنوية للدعوة .

٥ - دليل العمل فى العمر :

(أ) أن يكون الفرد منهم بيتا مسلما مرتبطا مع بيوت الإخوان .

(ب) التأهب للحج وأن يكون دائما على ثغرة من ثغور الإسلام .

(ج) الحرص على المشاركة فى كل أنواع الجهاد .

وأما عن صور التكوين والعمل فقد عقد المؤلف فصلا بين فيه أن صورة التكوين والعمل فى دعوة الإخوان المنلمين تختلف باختلاف ظروف المكون له والمكون - أى بحسب ظروف الفرد والقيادة يتم التكوين[1] وليس له صورة محددة .

وأما بالنسبة لمرحلة التنفيذ فى دعوة الإخوان المسلمين فلم يتكلم عليها الإمام حسن البنا كثيرا ، إلا أنه حدد متى تبدأ هذه المرحلة بقوله : (وفى الوقت الذى يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة ، قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالإيمان والعقيدة ، وفكريا بالعلم والثقافة ، وجسميا بالتدريب والرياضة فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجاج البحر ، وأقتحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار)[2] .

وفى السنوات الأخيرة من عمر مؤسس الدعوة دخلت الجماعة تلك المرحلة ، وهى مرحلة التنفيذ ، وذلك بدخولها حرب فلسطين ومطاردتها لشرذمة اليهود فيها[3] .

---

(١) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين لسعيد حوى ٨٨ - ٩١ .

(٢) المؤتمر الخامس ص ٢٥٨ من مجموعة الرسائل .

(٣) كتبت فى الموضوع كتب كثيرة فى مقدمتها : الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين لمؤلفه كامل الشريف .

ثم سارت الجماعة فى هذه المرحلة فى حياة مرشدها الثانى الإمام حسن الهضيبى ، وذلك بمساندتها لثورة ١٩٥٢ فى مصر ، ودخولها فى حرب مسلحة مع الجيش الإنجليزى فى قناة السويس ، وغيرها من المدن المصرية المحتلة آنذاك[١] .

(ى) من خصائص هذه الجماعة أيضا إيثار الناحية العملية :

وبين الإمام لهذه الخاصية أسبابا وملخصها من كلامه فيما يلى :

١ – إيثار الناحية العملية على الناحية الدعائية . مخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء .

٢ – نفور الإخوان الطبيعى من اعتماد الناس على الدعاية الكاذبة .

٣ – ما كان يخشاه الإخوان من معالجة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة .

ثم ذكر مثالا عمليا على اتباع هذه الناحية فى عملهم ، بقوله : (قليل من الناس من يعرف الداعية من دعاة الإخوان ، قد يخرج من عمله فى القاهرة فى عصر الخميس ، فإذا هو فى العشاء بالمنيا ، يحاضر الناس ، وإذا هو فى صلاة الجمعة يخطب وهو فى منفلوط ، فإذا هو فى العصر يحاضر بأسيوط ، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج ، ثم يعود أدراجه فإذا هو فى الصباح الباكر فى عمله بالقاهرة ، قبل إخوانه الموظفين)[٢] . ثم علق على هذا المثال بقوله : (هذا المجهود لو قام به غير الإخوان لملأ الدنيا صياحا ودعاية)[٣] .

(ك) ومن خصائص الجماعة إقبال الشباب على الدعوة :

وإقبال الشباب على الدعوة من أهم عوامل النصر والتوفيق ، حيث الشباب عماد مستقبل الأمم .

وضرب الإمام مثالا على هذا الإقبال : بحادثة تقدم ستة من شباب الجامعة

---

(١) كتب فى الموضوع كتب كثيرة فى صدرها المقاومة السرية فى قناة السويس لكامل الشريف .
(٢ ، ٣) المؤتمر الخامس ص ٢٦٠ من مجموعة الرسائل .

إلى الجماعة المصرية يعاهدونها ، على أن يهبوا الله نفوسهم وجهودهم ، فعلم الله منهم ذلك فأيدهم وآزرهم ، فإذا بجامعة القاهرة كلها من أنصار الإخوان المسلمين[1] .

(ل) ومن خصائصها سرعة الانتشار :

وأما عن سرعة الانتشار فقد كانت الدعوة تنتشر بسرعة هائلة ، حتى قال عنهم الدكتور إسحاق الحسيني[2] : (ويبلغ عدد الأعضاء العاملين المسجلين أكثر من مليون هذا على الرغم من أن أكثر الإخوان يفضلون العمل بدون ظهور) .

وأشار إلى ذلك البنا نفسه مخاطبا رؤساء الشعب فى الجماعة فى مؤتمر عام بقوله : (إن جماعة يمثلها فى هذا الاجتماع آلاف من أعضائها كل منهم ينتدب عن شعبة كاملة لأكثر من أن يستقل عددها أو ينسى مجهودها)[3] .

٨ - عوامل النجاح فى دعوة الإخوان المسلمين :

وبعد أن لخصنا أهم خصائص جماعة الإخوان باختصار شديد نعرج الآن على عوامل النجاح فى هذه الدعوة : وهى كما لخصها الإمام البنا فيما يلي :

(أ) كونها تدعو بدعوة الله تعالى وهى أسمى الدعوات .

(ب) كونها تنادى بفكرة الإسلام وهى أقوى الفكر .

(ج) كونها تقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع .

(د) كون البشرية محتاجة إلى هذه الأشياء الثلاثة وبها ترتبط سعادتها أو شقاوتها .

٩ - أركان الدعوة عند الجماعة :

تتلخص أركان دعوة الإخوان المسلمين فى أركان ثلاثة :

---

(١) المؤتمر الخامس ص ٢٦٠ .

(٢) الإخوان كبرى الحركات ص ٤٨ .

(٣) دعوتنا ص ٢١٤ للأستاذ البنا .

(أ) العلم (ب) التربية (ج) الجهاد

كما بين ذلك مؤسس الدعوة بقوله : (إننى لا أريد الدخول فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، وإننى لا أريد أن تكون الدعوة محصورة فى نفر من المسلمين ولا فى ناحية من نواحى الإصلاح .

ولكنى حاولت جاهدا أن تكون دعوة عامة ، قوامها العلم ، والتربية ، والجهاد ، وهى أركان الدعوة الإسلامية الجامعة)[1] .

وتناول هذه الأركان الشيخ سعيد حوى بالشرح والتبيين فى كتاب المدخل[2] تحت عنوان (الخطوط المتوازية الثلاثة) نلخصه فيما يلى :

(أ) فبدون علم بجوانب الثقافة الإسلامية وأصولها تبقى الشخصية معرضة للزلل ، العملى أو النظرى أو الفكرى .

(ب) وبدون التربية لا يتحقق المراد الأول للدعوة ، وهو إرادة وجه الله تعالى وطلب مرضاته .

(ج) وبدون الجهاد لا يتحقق هدف من أهداف الدعوة .

وباجتماع هذه الأركان الثلاثة يكون التكامل فى الدعوة على كل مستوى ، وجعل الوسيلة إلى تحقيق هذه الأركان فى الجماعة ، فيما يلى :

١ - نظام الحلقات لتحقيق ركن العلم .

٢ - نظام أسر التكوين لتحقيق ركن التربية .

٣ - نظام أسر العمل لتحقيق ركن الجهاد .

ثم تحدث طويلا على كل نظام من النظم الثلاثة نوجزها فيما يلى :

---

(١) المؤتمر الخامس ٢٥٩ من مجموعة الرسائل .
(٢) المدخل ص ٩٢ - ١٠٤ لسعيد حوى .

أولا : نظام الحلقات :

وهو الذى تحقق الدعوة بموجبه ركنها الأول ، وهو العلم وبموجبه تحقق الجماعة من خلاله نشر الإسلام من غير حذر ، ولا خوف ، كما تطلق الجماعة من خلاله طاقات أفرادها فى طريق كثير الفوائد ، من حيث الكسب الكامل للثقافة الإسلامية .

وهو من وسائل الجماعة أيضا لإيجاد الرأى العام الصالح ، وهو الذى يفتح أبواب الولوج فى الدعوة ، والانضمام إلى الجماعة .

وبعد أن بين المؤلف ما ينبغي أن يكون عليه ذلك النظام ليعطى ثماره . قسمه إلى قسمين :

(أ) حلقات عامة : وهى التى يخاطب من خلالها كل الناس خطابا عاما .

(ب) حلقات خاصة : وهى التى يعطى فيها علم خاص بشكل مركز .

وكما أن مكان الأولى المسجد والأماكن العامة ، فإن مكان الثانية البيوت . ويمكن أن تكون الأولى والثانية فى المسجد أو فى البيت على حد سواء .

ثم بين المؤلف – حفظه الله تعالى – الطريق إلى إنشاء الحلقات العامة ، وكذا الخاصة :

١ – بأن تقام فى مسجد الحى أو فى المنطقة حلقة عامة ، فى الأسبوع مرة ، يدعى لها ويركز عليها ، ويلتزم الإسلاميون فى المنطقة بحضورها ، ويختار لها العلم المناسب ، والإدارة المناسبة .

٢ – وبعد أن تستمر تلك الحلقة العامة ، تكون المرحلة الثانية : وهى أن يطرح القائمون على تلك الحلقة فكرة أن هناك علوما مفروضة فرض عين ، لا تعطى فى حلقة عامة ، كالتجويد ، والفقه ، وإنما تعطى فى حلقات خاصة ، وقليلة العدد ، ويطلب من الحضور أن يعطوا ساعة فى الأسبوع لهذه الحلقات الخاصة ، ويعين ذلك أخ قدير على إدارة تلك الحلقة ، أو الحلقات الخاصة ، بقدر اتساعها ، وبهذا تكون الجماعة قد حققت الوصول إلى ركنها الأول ، الذى هو

العلم ، بأسلوب منظم ، وغير متكلف .

وفى نهاية الحديث عن الوسيلة إلى الركن الأول والتى هى نظام الحلقات كتب المؤلف المنهاج الثقافى لتلك الوسيلة وقسمه إلى ثلاثة مراحل :

١ – المرحلة الابتدائية : وهى المرحلة التالية لدخول العضو فى جماعة الإخوان المسلمين (النصير) ومنهاجها كما يلى :

١ – رسالة فى فقه العبادات على أحد المذاهب .

٢ – رسالة فى أصول العقائد .

٣ – رسالة فى علم التوحيد ، ولم يحدد لهذين الجانبين رسالة بعينها تاركا ذلك للموجه يختار الرسالة المناسبة للحال .

٤ – أن يتقن تلاوة القرآن ، وحفظ ما ندب من سورة الكهف ويس..

٥ – ومن السنة الأربعين النووية ورسالة المأثورات – للبنا .

٦ – نور اليقين فى السيرة .

٧ – والتعريف العام بالإسلام ، (مبادىء الإسلام للمودودى) شبهات حول الإسلام لمحمد قطب .

٨ – ولتعميق الصلة بالله تعالى رسالة المسترشدين للمحاسبى ، ورسالة من أجل خطوة إلى الجهاد المبارك للمؤلف .

هذا إلى جانب المنهاج الخاص بالأسر والذى لم يفصح عنه المؤلف .

٢ – المرحلة المتوسطة : وهى المرحلة المؤهلة لمن كان عضوا فى الجماعة (نصير) واستعد للصعود إلى المرتبة الأعلى منها مرحلة العضو (النقيب) ومنهاجها كما يلى :

١ – كتاب الألباب فى الفقه .

٢ – شرح جوهرة التوحيد .

٣ – الحياة الروحية والسلوكية لجند الله للمؤلف .

٤ – أصول الفقه : لعبد الوهاب خلاف .

٥ – الأصول الثلاثة : الله ، الرسول ، الإسلام . للمؤلف .

٦ – حول علوم القرآن ، وكذا حول السنة ، ولم يحدد كتابا بعينه لذلك .

٧ – حفظ سورة البقرة ، مع تفسيرها ، وقراءة الأذكار ، ورياض الصالحين للنووى .

٨ – فى اللغة : قطر الندى ، والبلاغة الواضحة .

٩ – كتب فى المعانى التالية : فى السيرة النبوية ، وحياة الصحابة ، والتاريخ الإسلامى ، فى الفكر الإسلامى الحديث ، فى التآمر على الإسلام ، وفقه الدعوة ، ولم يحدد كتبا بعينها لتلك المعانى تاركا ذلك لاختيار الموجه .

٣ – المرحلة العليا : وهى المرحلة التى تنقل صاحب مرحلة (النقيب) فى جماعة الإخوان المسلمين ، إلى مرحلة الأخ (النائب) وهذه المرحلة ، هى التى تفرض على هذا العضو أن يكون ملما بكل جانب من أبواب العلوم الإسلامية ، والدراسات المقررة فى الجماعة ، وأن يكون متخصصا فى أحد العلوم ، بوجه خاص ولم يذكر المؤلف لهذه المرحلة منهاجا بعينه .

ثانيا : نظام أسر التكوين :

ثم انتقل المؤلف إلى بيان نظام : أسر التكوين : وهو الوسيلة إلى الركن الثانى من الأركان المتوازية فى جماعة الإخوان المسلمين ، وهو خط التربية ، الذى يمثل الربط الخاص ، فى الجماعة .

إذا فهمنا أن نظام الحلقات يمثل الربط العام فى الجماعة .

ونظام أسر التكوين فى الجماعة نوعان :

(أ) نظام أسر التكوين : ومهمته التربية على العضوية داخل الجماعة .

(ب) ونظام أسر العمل مهمته إطلاق طاقات العضو فى العمل اليومى المتواصل لتحقيق الإسلام .

كما أشار إلى قاعدة فى هذين النظامين (وهى أن الإنسان لابد له من مرب والمربى لابد أن يكون قد ربى من قبل) .

والمربى فى الجماعة : هو (المنفذ) (والنقيب) (والنائب) (والوارث) . أما النصير فليس من أهل هذه المرتبة . فالمنفذ يربى النصير والنقيب يربى المنفذ والنصير .

والنائب يربى النقيب والمنفذ والنصير والوارث يربى الجميع .

وهذه الألفاظ تطلق على مراتب العضوية فى الجماعة كما ذكرنا ذلك فى شروط وواجبات العضو فى الجماعة . ولم يتوسع المؤلف فى شرح هذين النظامين ، ولم يكتب لبعض المراتب مناهج تربوية .

ثالثا : نظام أسر العمل لتحقيق خط الجهاد :

وهو النظام الذى يحقق للجماعة ركنها الثالث الذى هو الجهاد وقسم المؤلف فيه الجهاد إلى خمسة أنواع :

١ - الجهاد السياسى . ٢ - الجهاد المالى .

٣ - الجهاد التعليمى . ٤ - الجهاد اللسانى .

٥ - الجهاد باليد .

ثم بين أن أسر العمل فى هذا النظام تتألف من خمسة أعضاء قد حصلوا رتبة العضوية العاملة (النقيب) فما فوق .

وكل واحد من الخمسة يكون مسئولا عن نوع من أنواع الجهاد الخمسة داخل الأسرة .

وعريف الأسرة يعين من قبل القيادة فى الجماعة .

وتعقد هذه الأسر مؤتمرا شهريا تدرس فيه ماذا ستفعل خلال الشهر القادم ؟، فى كل نوع من أنواع الجهاد ، ضمن إمكانيات أفرادها ، أو على ضوء التعليمات من القيادة .

ثم اقترح المؤلف نماذج لما يمكن أن تفعله تلك الأسر . فى بعض أنواع الجهاد .

١ - الجهاد التعليمى :

يمكن أسر العمل أن تحقق الجهاد التعليمى فيما يلى :

(أ) يمكنها الدعوة إلى الحلقات العامة .

(ب) إنشاء الحلقات العلمية الخاصة .

(ج) القيام بنشر علم من العلوم ....

٢ - الجهاد اللسانى :

ويتحقق الجهاد اللسانى لدى أسر العمل بما يلى :

(أ) مناقشة المنحرفين .

(ب) الكتابة فى موضوعات مختلفة .

(ج) استغلال المجلات بكل أنواعها فى الكتابة .

(د) الخروج للدعوة .

٣ - الجهاد باليد :

ويتوصل إلى الجهاد باليد كذلك بالأمور التالية :

(أ) الاستعداد الجسمى بأنواع الرياضة .

(ب) الاستعداد النفسى بالتعود على تحمل المشاق .

٤ – **الجهاد المالى :**

ويمكن الوصول إلى تحقق الجهاد المالى لدى أسر العمل بإيجاد ما يلى :

(أ) إيجاد صندوق للأسر للإنفاق على أعمال ذلك الجهاد .

(ب) القيام بجمع التبرعات من عامة المسلمين للاستعانة بها فى الدعوة ....

أما الجهاد السياسى فلم يتكلم عنه المؤلف . وقد عقدنا لذلك عنوانا سيأتى إن شاء الله .

١٠ – **أركان الأسرة فى الجماعة :**

والأسر التى أشار إليها الشيخ سعيد حوى فى نظامى التربية والجهاد . تكلم عنها مرشد الجماعة الأول[1] . بانياً تلك الأسر على أركان ثلاثة نختصرها فيما يلى :

(١) **التعارف** : وهو الركن الأول فيها وتعنى به الجماعة التعارف والتحابب بين أفراد كل أسرة من أسرهم ، واستشعار الأخوة الإسلامية فيما بينهم .

(٢) **التفاهم** : وهو الركن الثانى – من أركان الأسر ، وهذا الركن عندهم يعنى التناصح والتواصى بالحق ، والصبر ، عن طريق التفاهم دون أن يتغير قلب الناصح ، والمنصوح على أخيه ، وأن يتقبل كل منهم نصح أخيه بصدر رحب .

وعلى الناصح أن يتستر على عيب المنصوح لمدة شهر كامل ، ثم بعد الشهر يخبر رئيس الأسرة بعيب أخيه ، ليبت فى ذلك الأمر عن طريق الجماعة ، وليس للمنصوح أن يخبر أحدا غير رئيس الأسرة بذلك ، وأن لا يتغير شىء فيه نحو المنصوح ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

---

(١) انظر رسالة التعاليم ص ٢٨ – ٣٠ للإمام حسن البنا .

(٣) **التكافل** : وهو الركن الثالث لهذه الأسر . ويقصدون به أن يحمل بعضهم حمل بعض ، وأن يتعهد بعضهم بعضا بالسؤال والبر وليبادر كل واحد من الأسرة بمساعدة أخيه ما وجد إلى ذلك سبيلا .

وبعد أن انتهى الإمام من سرد الأركان الثلاثة ، ومقصده منها بين كيفية إدارة الأسرة ومنهجها .

ألخص ما تشغل الأسرة به اجتماعاتها عند الإمام بما يلى[١] :

١ - يعرض كل أخ مشاكله ويشاركه إخوانه فى دراسة حلولها فى جو من صدق الأخوة وإخلاص التوجه إلى الله تعالى .

٢ - مذاكرة حول شئون الإسلام ، وتلاوة الرسائل والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للأسر ، بدون حدة أو جدل ، ثم نقل اقتراحات الأفراد فى الأسرة إلى القيادة .

٣ - مدارسة نافعة فى كتاب من الكتب القيمة ... ثم توجه الأفراد إلى تطبيق السنة من عيادة مريض ، ومواساة محتاج ، وتفقد غائب ، وتعهد منقطع .

ولزيادة الترابط بين أفراد الأسرة ندبهم الإمام إلى القيام :

(أ) برحلات ثقافية لزيارة الآثار والمصانع وغيرها .

(ب) برحلات قمرية رياضية .

(ج) برحلات نهرية للتجديف .

(د) برحلات جبلية أو حقلية .

(هـ) برحلات متنوعة على الدراجات .

(و) صيام يوم فى الأسبوع .

(ز) صلاة الفجر فى جماعة .

---

(١) رسالة التعاليم (ص ٣٠ - ٣٢) بتصرف .

(ح) الحرص على المبيت مع بعضهم مرة فى الأسبوع .

١١ - واجبات العضو فى الجماعة وشروطه :

تختلف واجبات الأعضاء فى الجماعة باختلاف مراتب الأعضاء عندهم ، فالواجبات الخاصة بالعضو المجاهد أشار إليها مؤسس الجماعة بقوله : (فهذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين)[١] ، ثم يقول مخاطبا هذه العضوية من الجماعة : (إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية فى البناء)[٢] .

١ - أن يكون لك ورد يومى من كتاب الله لا يقل عن جزء ، واجتهد ألا تختم فى أكثر من شهر ، ولا فى أقل من ثلاثة أيام .

٢ - أن تحسن تلاوة القرآن ، والاستماع إليه ، والتدبر فى معانيه ، وأن تدرس السيرة المطهرة ، وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك ، وأقل ما يكفى فى ذلك كتاب (حماة الإسلام) ، وأن تكثر من القراءة فى حديث رسول الله ﷺ ، وأن تحفظ أربعين حديثا على الأقل ، ولتكن الأربعين النووية ، وأن تدرس رسالة فى أصول العقائد ، ورسالة فى فروع الفقه .

٣ - أن تبادر بالكشف الصحى العام ، وأن تأخذ فى علاج ما يكون فيك من أمراض ، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية ، وتبتعد عن أسباب الضعف الصحى .

٤ - أن تبتعد عن الإسراف فى قهوة البن ، والشاى ونحوها ، من المشروبات المنبهة ، فلا تشربها إلا لضرورة ، وأن تمتنع بتاتا عن التدخين .

٥ - أن تعنى بالنظافة فى كل شىء ، فى المسكن ، والملبس ، والمطعم ، والبدن ، ومحل العمل ، فقد بنى الدين على النظافة .

---

(١) رسالة التعاليم ص ١ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧ .

٦ – أن تكون صادق الكلمة ، فلا تكذب أبدا .

٧ – أن تكون وافيا بالعهد ، والكلمة ، والوعد ، فلا تخلف مهما كانت الظروف .

٨ – أن تكون شجاعا ، عظيم الاحتمال ، وأفضل الشجاعة الصراحة فى الحق ، وكتمان السر ، والاعتراف بالخطأ ، والإنصاف من النفس ، وملكها عند الغضب .

٩ – أن تكون وقورا ، تؤثر الخير دائما ، ولا يمنعك الوقار من المزاح الصادق ، والضحك فى تبسم .

١٠ – أن تكون شديد الحياء ، دقيق الشعور ، عظيم التأثر بالحسن والقبح ، تسر للأول ، وتتألم للثانى ، وأن تكون متواضعا ، فى غير ذلة ، ولا خنوع ، ولا تملق وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل إليها .

١١ – أن تكون عادلا صحيح الحكم فى جميع الأحوال ، لا ينسيك الغضب الحسنات ، ولا تغض عين الرضا عن السيئات ، ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل ، وتقول الحق ولو كان على نفسك ، أو على أقرب الناس إليك وإن كان مرا .

١٢ – أن تكون عظيم النشاط ، مدربا على الخدمات العامة ، لتشعر بالسعادة والسرور ، إذا استطعت أن تقدم خدمة لغيرك من الناس فتعود المريض ، وتساعد المحتاج ، وتحمل الضعيف وتواسى المنكوب ، ولو بالكلمة الطيبة ، وتبادر دائما إلى الخيرات .

١٣ – أن تكون رحيم القلب ، كريما سمحا تعفو وتصفح ، وتلين وتحلم ، وترفق بالإنسان والحيوان ، جميل المعاملة ، حسن السلوك مع الناس جميعا ، محافظا على الآداب الإسلامية والاجتماعية ، فترحم الصغير ، وتوقر الكبير ، وتفسح فى المجلس ، ولا تتجسس ، ولا تغتاب ، ولا تصخب ، وتستأذن فى الدخول والانصراف .

١٤ – أن تجيد القراءة والكتابة ، وأن تكثر من المطالعة فى رسائل الإخوان ، وجرائدهم ، ومجلاتهم ، وأن تكون لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة ، وأن تتبحر فى علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص ، وأن تلم بالشئون الإسلامية العامة إلماما يمكنك من تصورها والحكم عليها حكما يتفق مع مقتضيات الفكرة .

١٥ – أن تزاول عملا اقتصاديا مهما كنت غنيا ، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلا ، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية .

١٦ – ألا تحرص على الوظيفة الحكومية ، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ، ولا ترفضها إذا أتيحت لك ، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضا تاما مع واجبات الدعوة .

١٧ – أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك ، من حيث الإجادة والإتقان ، وعدم الغش وضبط الموعد .

١٨ – أن تكون حسن التقاضى لحقك ، وأن تؤدى حقوق الناس كاملة ، غير منقوصة ، بدون طلب ولا تماطل أبدا .

١٩ – أن تبتعد عن الميسر بكل أنواعه ، مهما كان المقصد من ورائها ، وتتجنب وسائل الكسب الحرام ، مهما كان وراءها من ربح عاجل .

٢٠ – أن تبتعد عن الربا فى جميع المعاملات ، وأن تتطهر منه تماما .

٢١ – أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية ، وأن تحرص على القرش ، فلا يقع فى يد غير إسلامية ، مهما كانت الأحوال ، ولا تكسب ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى .

٢٢ – أن تشترك فى الدعوة بجزء من مالك ، وأن تؤدى الزكاة الواجبة فيه ، وأن تجعل منه حقا معلوما للسائل والمحروم ، مهما كان دخلك ضئيلا .

٢٣ – أن تدخر للطوارىء جزءا من دخلك مهما قل ، ولا تتورط فى الكماليات أبدا .

٢٤ – أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية ، وإماتة العادات الأعجمية ، فى كل مظاهر الحياة ، ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ ، والزى والأثاث ، ومواعيد العمل ، والراحة ، والطعام والشراب ، والقدوم والانصراف ، والحزن والسرور .... إلخ ، وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك .

٢٥ – أن تقاطع المحاكم الأهلية ، وكل قضاء غير إسلامى ، والأندية ، والصحف ، والجماعات ، والمدارس ، والهيئات ، التى تناهض فكرتك الإسلامية ، مقاطعة تامة .

٢٦ – أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى ، وتذكر الآخرة ، وتستعد لها ، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة ، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ، ومن ذلك صلاة الليل ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل ، والإكثار من الذكر القلبى ، واللسانى ، وتحرى الدعاء المأثور على كل الأحوال .

٢٧ – أن تحسن الطهارة ، وأن تظل على وضوء فى غالب الأحيان .

٢٨ – أن تحسن الصلاة ، وتواظب على أدائها فى أوقاتها ، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك .

٢٩ – أن تصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

٣٠ – أن تستصحب دائما نية الجهاد ، وحب الشهادة ، وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد .

٣١ – أن تجدد التوبة والاستغفار دائما ، وأن تتحرز من صغائر الآثام ، فضلاً عن كبارها ، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت ، فهو الحياة فلا تصرف جزءا منه فى غير فائدة ، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع فى الحرام .

٣٢ – أن تجاهد نفسك جهادا عنيفا حتى يسلس قيادها لك ، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك ، وتقاوم نوازع الغريزة فى نفسك ، وتسمو بها دائما ، إلى الحلال الطيب ، وتحول بينها وبين الحرام أيا كان .

٣٣ – أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر ، وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب .

٣٤ – أن تبتعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد ، وأماكن المعصية والإثم .

٣٥ – أن تحارب أماكن اللهو ، فضلا عن أن تقربها ، وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعا .

٣٦ – أن تعرف أعضاء كتيبتك فردا فردا معرفة تامة ، وتعرفهم بنفسك معرفة تامة كذلك ، وتؤدى حقوق أخوتهم كاملة ، من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار ، وأن تحضر اجتماعاتهم ، فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر ، وتؤثرهم بمعاملتك دائما .

٣٧ – أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك ، وبخاصة إذا أمرت بذلك .

٣٨ – أن تعمل على نشر دعوتك فى كل مكان ، وأن تحيط القيادة علما بكل ظروفك ، ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرا جوهريا إلا بإذن ، وأن تكون دائم الاتصال الروحى والعمل بها ، وأن تعتبر نفسك دائما جنديا فى الثكنة تنتظر الأمر .

ورتب هذه الواجبات ، والشروط ، الشيخ سعيد حوى فى مدخله(1) ، فإلى جانب ما نقلناه عنه فى دليل العمل فى جماعة الإخوان المسلمين(2) ، وهو الجانب المتعلق بعمل فرد الجماعة فى يومه ، وأسبوعه ، وشهره ، وسنته وعمره ، ننقل هنا أقسام وشروط العضوية عند الجماعة ، والمنهاج الثقافى لكل قسم من أقسام تلك العضوية :

أولا : أقسام العضوية :

تنقسم العضوية فى الجماعة إلى ثلاث مراتب :

١ - **العضو النصير** : وهى المرحلة الأولى فى الجماعة .

٢ - **العضو المنفذ** : وهى المرحلة الثانية فى الجماعة ، أى أن الفرد فيها أعلى من الفرد فى مرحلة النصير ، وهى العضوية التى يطلق عليها مؤسس الجماعة المجاهد .

٣ - **العضو النقيب** : وهى العضوية التى تخولها الجماعة تربية أعضاء المرحلتين السابقتين ، وأخذ البيعة منهم ، ومشاركة القيادة فى اتخاذ القرارات ، ومن حق هذه العضوية الاطلاع على أسرار الجماعة ، بل والقيادة نفسها قد تعطى لصاحب هذه العضوية الثقة المطلقة فى الجماعة ومنها مرتبة النائب ، والوارث ، ولم يذكر المؤلف لها شروطا أو منهاجا ثقافيا هنا .

ثانيا : شروط كل عضوية ، ومنهاجها الثقافى :

(أ) شروط العضو النصير ، ومنهاجه الثقافى :

١ - دراسة المنهاج المقرر والتزامه بالجوانب العملية فيه .

٢ - إعطاؤه الولاء للجماعة ، وألا يكون له أى ارتباط بحزب أو جماعة أو هيئة أو جمعية إلا بإذن .

---

(١) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين لسعيد حوى ص ١٢٠ .

(٢) راجع ص ٣٤٥ من نفس البحث .

٣ – قيامه بفروض الإسلام واجتنابه نواهيه .

٤ – أن يتطوع باشتراك مالى للجماعة يحدده ولو كان رمزيا .

٥ – حضوره اجتماعات الجماعة ، ودروسها ومحاضراتها ، إذا بلغ بذلك رسميا ولا يتخلف إلا لعذر .

٦ – اشتراكه بنشرات الجماعة ، وكتبها وصحفها ومجلاتها .

٧ – الالتزام بورد يومى من القرآن والذكر المأثور ويرشح لذلك الوظيفة الكبرى أو الصغرى أو ورد الدعاء من رسالة المأثورات للإمام البنا .

٨ – إعطاؤه الزكاة لصندوق زكاة الجماعة المحلى ، إلا إذا كان هناك أحق شرعا ، وأعلم بذلك المسؤولين عن الصندوق .

٩ – أن يدعو للإسلام ، ويدافع عنه ، ويلتزم بمواقف الجماعة وآرائها فى القضايا العامة ولو فيما بينه وبين نفسه .

هذه هى شروط إعطاء صفة العضوية الأولى .

والدراسات المقررة له هى :

(١) منهاج الحلقة – المرحلة الأولى .

(٢) الأصول الثلاثة : (الله ، الرسول ، الإسلام) . لسعيد حوى .

(٣) من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك .

(٤) دراسات حرة فى الكتب المذكورة فى بحث (من المكتبة الإخوانية) فى أواخر كتاب المدخل لسعيد حوى .

(ب) شروط العضو المنفذ ، ومنهاجه الثقافى :

١ – أخذ صفة العضوية الأولى (النصير) .

٢ – دراسة المنهاج المقرر للمرحلة ، والالتزام السلوكى بما فيه .

٣ - المداومة على الاجتماعات المقررة (حلقات - أسر - فرق) إلا من عذر .

٤ - الاشتراك فى صندوق الحج إن كان ، وإلا فعليه أن يضعه فى حسابه .

٥ - أن يبذل جهدا كاملا من أجل إصلاح من له ولاية عليهم ، حتى يكونوا مسلمين حقا ، وأن يكون بيته خالصاً من أدران الجاهلية ، وسلوكها ، وعاداتها ، ومفاهيمها ، والمنكرات عامة ، وإلزام المنزل لمبادىء الإخوان المسلمين .

٦ - الانتساب إلى فرق الرحلات إذا دعى لذلك .

٧ - التزام التحدث بالعربية الفصحى ، إن كان قادراً على ذلك .

٨ - أن يبتعد عن أمكنة الشبهات ، كالسينما والمقاهى التى فيها المنكرات ، والنوادى المشابهة ، وأن يكون كسبه حلالا ، والبعد عن كل ما هو غير إسلامى فى العبادات ، وفى المعاملات ، وفى شأنه كله .

٩ - الاشتراك المالى المحدد للجماعة ، والقيام بالواجبات التعاونية الأخرى .

١٠ - أن يتعرف على الناس فى دائرة شعبته ويفتح معهم صلة علاقات إسلامية .

١١ - أن يكون مستعدا - فى الأحوال العادية - لتفريغ ساعة فى اليوم ، ويوم فى الأسبوع ، وشهر فى السنة ، إن لم يكن عنده عذر ، ويعطى هذا كله عند الطلب .

١٢ - أن ينفذ ما يؤمر به ، وما يكلف ما دام فى حدود المعروف .

١٣ - أن يسعى لتكون له اللياقة الجسمية الكاملة ، بإتقانه فروعا من الرياضة العملية .

١٤ – الترفع عن كل مظهر من مظاهر العصبية ، للأسرة أو البلد ، أو القوم ، أو الجنس ، أو اللون ، أو الحرفة ، جدا أو هزلا .

١٥ – أن يكون الولاء عنده واضحا سليما ، والإقبال على الله ، والذلة على المؤمنين ، والعزة على الكافرين ، والرغبة فى الجهاد والاستعداد له ، وأن يتحرى السنة المطهرة – ما استطاع إلى ذلك سبيلا – فى الأقوال والأفعال ، ومن ذلك :

قيام الليل ، وأداء الصلوات المفروضة جماعة إلا لعذر قاهر ، والزهادة والعزوف عن مظاهر المتع الفانية .

والمنهاج الخاص للأخ المنفذ هو :

١ – كتاب جند الله ثقافة وأخلاقا .

٢ – رسالتى التعاليم والجهاد .

٣ – معالم فى الطريق .

٤ – دراسة حرة فى سورتى الأنفال وبراءة من الظلال .

(ج) شروط العضو النقيب ، ومنهاجه الثقافى :

ثم قدم لهذه العضوية مقدمة بقوله : إن الطراز الصالح لهذا النوع من العضوية هو من عنده استعداد لمثل ما يلى :

١ – الذى يستطيع استيعاب ثقافة (حزب الله) استيعابا تاما ، والمستعد للالتزام بما فيها التزاما كاملا .

٢ – الصالح للقيادة : وأصدق ميزان لصلاح الإنسان فى القيادة قدرته على قيادة أهل بيته فى طريق الإسلام .

٣ – القادر على الصبر : لأن طريقنا طويل وصعب وقد تمر فترات لا نستطيع فيها إلا الصبر ، ومن القدرة على الصبر عدم الاستعجال ، قال موسى عليه السلام لقومه فى قوله تعالى : ﴿ استعينوا بالله واصبروا إنَّ الأرض لله يورثها من

يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾[1].

٤ – الموثوق ، والقادر على كسب ثقة الناس ، فمن يشك به لا يجوز أن يعرف شيئا ، والذى لا يستطيع أن يكسب ثقة الناس ، لا يصلح للقيادة ، إن الناس يؤمنون بالشخص أولا : بعقله ، وتفكيره ، وسلوكه واستقامته ....

٥ – القادر على الكتمان وحفظ السر : فالكتمان هو الأداة التى تستطيع بها الجماعة الحركة المطلقة ، والذى لا يستطيع أن يكتم سرا ، أو لا يستطيع ضبط عواطفه ، أو لسانه ، لا يصلح للقيادة .

٦ – الذى لا يستعجل الشيء قبل أوانه : فلا يستعجل الثمار قبل أوان نضجها ، لأن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، فنحن لا نستعجل إعطاء الصفة إلا بمقدار النضج ، ولا نستعجل تنظيما قبل وجود لوازمه ، ولا نستعجل تنفيذا لم يأت دوره ، ولن نستعجل إقامة الدولة قبل استكمال شروطها .

٧ – الحليم الرحيم : فغير الحليم الرحيم لا يصلح للسيادة على المؤمنين ، ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[2].

٨ – وخلقان آخران لا يقوم بدونهما أمر دين ولا دنيا ، ولا يصلح أحد بدونهما ، لقيادة أو إمرة : الشجاعة ، والكرم ، فمن لا يملك شجاعة أو كرما من المصيبة أن يتصدى لقيادة الناس .

بعد هذه المقدمة عن أهم صفات هذه العضوية (النقيب) نختصر شروط هذه المرتبة الإخوانية ومنهاجها الثقافى .

شروط العضو النقيب :

١ – أخذ صفة العضويتين السابقتين .

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

٢ – دراسة المنهاج المقرر للمرحلة والالتزام السلوكى بما فيه .

٣ – أن يكون مسيطرا على من له ولاية عليه – من زوجة مسلمة وبنت وولد – سيطرة إسلامية كاملة ، يظهر ذلك باللباس والعمل .

٤ – أن ينجح فى مجموع مهمات يكلف بها فى حقل الدعوة العملى والتنظيمى .

٥ – أن يحرص على الزى ، والهيئة الإسلامية ، والكمالات الإسلامية ، والسنة إلا إذا كان عمله الإسلامى يقتضى غير ذلك .

٦ – أن يكون أمينا على السر ، مقدما مصلحة الجماعة على مصلحته ، ومقدما رأى الجماعة على رأيه ، قادرا على ضبط عواطفه وانفعالاته ، متزنا فى تعامله مع الآخرين .

٧ – أن يقوم بجولة طويلة فى قطره أو جولات ، منفردا أو مع آخرين للتعرف على أكبر قدر من الأرض ، والناس ، مع الدعوة إلى الله – إن لم يكن مانع ، والتعرف على كل الاتجاهات فى القطر .

٨ – أن يعطى البيعة على الطاعة ، فى العسر واليسر ، والمكره والمنشط ، للقيادة المنبثقة عن الأنظمة المعتمدة للجماعة .

٩ – أن يمر على دورة روحية مقدارها عشرة أيام .

منهاج العضو النقيب :

١ – أن يأخذ حظه من كل باب من أبواب الثقافة التى حددها قسم (جند الله ثقافة)[1] وباختصار ، تحصيله المنهاج العام للمرحلة الأولى والثانية .

٢ – دراسة الرسائل التالية على ترتيب ذكرها :

---

(١) كتاب بهذا العنوان للشيخ سعيد حوى .

(أ) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين .

(ب) الحياة الروحية والسلوكية لجند الله .

(ج) نظريتنا الأمنية ودروس الأمن .

(د) على طريقة الجهاد الأصعب الأطهر .

(هـ) القواعد فى البناء .

(و) فقه التخطيط والتنفيذ .

من هذه الشروط والواجبات التى تطالب الجماعة أفرادها بها ، نلمس مدى اهتمام الجماعة بهدفها الأول : وهو بناء الشخصية الإسلامية وإخراجه إخراجا يتفق مع تعاليم الإسلام ، وتوجيهاته ، ومع متطلبات العصر وحاجته ، ثم نلمس الدقة فى التكوين ، من خلال تكثيف الجماعة لشروط العضوية فيها ، بحيث نجعل الوصول إلى تلك العضوية أمرا لا يتحمله إلا من تجرد للدعوة وأخلص لها ، وهذه الدقة هى الوسيلة الثانية للجماعة كما قدمنا .

ثم نلمس التدرج بالفرد فيها ، من نصير ، إلى منفذ ثم إلى نقيب ما يدل على حنكة ومهارة القيادة فى الجماعة ، فى معرفة طبيعة النفس البشرية حيث أن من سنن الرب تعالى شأنه فى خلق النفس البشرية أنها تتكيف مع الأمور دفعة واحدة ، بل بتدرج وعلى مكث .

١٢ – بعض جهود الجماعة :

أما عن جهود الجماعة فقد ألفت فى عمومها كتب كثيرة وفى بعض تلك الجهود ألفت كتب مستقلة مثل جهود الجماعة فى حرب فلسطين ، فقد ألف فيه كتاب مستقل بين فيه المؤلف[١] جهود الإخوان فى تحرير فلسطين ، ومطاردة اليهود فيها .

---

(١) كتاب الإخوان فى حرب فلسطين لكامل الشريف .

وكتاب (المقاومة السرية فى قناة السويس)[1] وهو الكتاب الذى يروى قصة وقوف جماعات من الإخوان المسلمين تجاه قوات الغزو البريطانية ، وقواعدها فى قناة السويس ، وكيف كانت تلك الجماعات تذيق تلك الجيوش الجرارة مرارة الموت ، والذعر والاضطراب .

وكتاب (ايديولوجية جماعة الإخوان)[2] وهو الكتاب الذى اختص بشرح الجانب التنظيمى فى الجماعة إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التى تتحدث عن جهود الجماعة .

وقد عبر عن ضخامة هذه الجهود واتساعها صاحب كتاب : (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية بقوله :

(وذكر البنا فى إحدى مقالاته المنشورة سنة ١٣٥٣ هـ من أن فكرة الإخوان انتشرت فى أكثر من خمسين بلدا من بلدان القطر المصرى ، فقامت فى كل بلد من هذه البلاد تقريبا بمشروع نافع ، أو مؤسسة مفيدة ، ففى الإسماعيلية أسست مسجد الإخوان وناديهم ، ومعهد حراء لتعليم البنين ، ومدرسة أمهات المؤمنين لتعليم البنات ، وفى شبراخيت أسست مسجدا وناديا ، ومعهدا للبنين ، ودورا للصناعة ، وفى المحمودية قامت بمثل ذلك منسجا للنسيج والسجاد ، وقل مثل ذلك أو بعضه فى كل شعبة من شعب الإخوان المنتشرة فى أنحاء القطر)[3] .

هذه الإنجازات كانت فى عام ١٣٥٣ هـ كما هو واضح ، ولقد اتسعت جهود الجماعة بعد ذلك حتى بلغ عدد مساجدها فى القاهرة وحدها خمسة وثلاثين مسجدا[4] .

وقد فصل محمد شوقى زكى فى كتاب (الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى) جوانب من جهودهم :

---

(١) المقاومة السرية فى قناة السويس من تأليف الأستاذ كامل الشريف والكتابان مطبوعان .
(٢) تأليف د . ريتشارد ميتشيل ٣٤٤ صفحة من المتوسط .
(٣) تأليف إسحاق موسى الحسينى ص ٢٩ .
(٤) انظر كتاب الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٣٤ .

١ - ففى الجانب الاجتماعى :

أنشأت الجماعة مكتبا خاصا به هدفه ما يلى :

(أ) تقديم المساعدات للمحتاجين .

(ب) العمل على توفير وجبات غذائية لفقراء الأحياء .

(ج) مساعدة العاطلين عن العمل بإيجاد أعمال لهم .

(د) إنشاء أندية لتوجيه العمال ، وإكسابهم بعض المهن الضرورية .

(هـ) تقديم البحوث التى تهم الأمة إلى الدولة لتقوم بدراستها وتعميمها

٢ - وفى الجانب الزراعى :

قامت الجماعة بإنشاء جمعيات تعاونية لأكثر المنتجات الزراعية مثل :

(أ) جمعية حفظ الخضر والفاكهة .

(ب) جمعية منتجات الألبان .

(ج) جمعية تربية الدواجن .

٣ - وفى الجانب الرياضى :

(أ) يقوم أفرادها بالتمرينات الرياضية صباح كل يوم .

(ب) قيام الشعب برحلات ومعسكرات كثيرة إلى كل مناطق البلاد .

(ج) إنشاء بعض الفرق الرياضية مثل فريق كرة القدم وفريق كرة السلة وفريق الكرة الطائرة وفريق ألعاب القوى .... الخ .

٤ - وفى الجانب الكشفى :

أسست الجماعة منذ إنشائها فريق الكشافة إلا أنه فى سنة ١٩٤٩ م بدأ أول عام للحركة الكشفية فى الجماعة فى أنحاء مصر ورسمت الجماعة سياسة ذلك التشكيل وحددت أغراضه فيما يلى :

(أ) تعبئة الشباب بدنيا وإسلاميا .

(ب) إعداد قيادات لتدريب غيرها فى هذا المجال .

(ج) تشغيل مجموعة فى كل شعبة من شعب الجماعة .

وما هى إلا فترة وجيزة حتى وصل تعداد هذا الفريق إلى سبعين ألف جوال وكشاف .

وحينها اتصل هذا الفريق بالمجتمع فقام بالخدمات التالية :

(أ) كل فرقة قامت بتنظيف شوارع مدينتها أو قريتها .

(ب) عمل مجالس للمصالحات بين المتخاصمين فى القرية .

(ج) إعداد الفوانيس لإضاءة القرية .

(د) تقديم الخدمات الصحية للمحتاجين .

(هـ) القيام بربط الشباب بالقرية بعضهم ببعض وإشعارهم بمسئوليتهم .

٥ - وفى الجانب السياسى :

قامت الجماعة بالتوعية السياسية لمختلف أوساط الشعب المصرى بالوسائل التالية :

(أ) محو الأمية السياسية من الوسط الشعبى .

(ب) ربط الأوساط الشعبية بالحياة الاجتماعية ، وحثها على العمل الوطنى .

(ج) إحياء الرجولة والفتوة فى الأمة .

(د) تنوير الرأى العام بحقيقة ما يدور فى الموقف السياسى .

(هـ) تربية جيل جديد على التضحية والفداء .

٦ - وفى الجانب الثقافى :

قسم صاحب كتاب المجتمع المصرى جهود الجماعة فى هذا الجانب إلى أربعة أقسام :

(١) **التربية الروحية** : ونقصد بها الجانب التكوينى فى الجماعة وقد سبق أن أشرنا إليه فى واجبات العضو وشروطه فى الجماعة .

(٢) **علمية وتعليمية** : يقصد بها المحاضرات العامة وإنشاء المدارس والمعاهد .

وقد سرد مثالا على ذلك عناوين المحاضرات التى ألقيت فى المركز العام وأسماء الذين حاضروا . ثم سرد ما قامت به الجماعة من إنشاءات فى هذا الجانب نلخصها فيما يلى :

(أ) فتح مدارس محو الأمية .

(ب) ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم .

(ج) والمدارس الليلية لتعليم العمال والفلاحين .

(د) والأقسام الخاصة بالراسبين فى الامتحانات العامة .

(هـ) والمعاهد الحرة لتعليم البنين .

(و) ومدارس أمهات المؤمنين لتعليم البنات .

(ز) ودور الصناعات ولم يذكر إحصاء بذلك .

(٣) **ثقافية إسلامية** : وهذا الجانب له قسم خاص فى المركز العام للجماعة (قسم نشر الدعوة) وهو الذى يتولى إعداد أفراد الجماعة من الناحية الثقافية . وتركزت وسائله فى الكتب والنشرات والمجلات والجرائد والحفلات فى الأعياد الإسلامية .

(أ) الكتب التى ألفت فى هذا الجانب وعددها ١٣٥ كتاب لمؤلفين مختلفين نذكرها هنا على سبيل الفائدة :

للأستاذ / البنا

١ ـ دعوتنا
٢ ـ إلى أى شيء ندعو الناس
٣ ـ نحو النور
٤ ـ هل نحن قوم عمليون
٥ ـ المنهاج
٦ ـ المناجاة
٧ ـ عقيدتنا
٨ ـ المأثورات
٩ ـ رسالة المؤتمر الخامس
١٠ ـ العقائد
١١ ـ إلى إخوان الكتائب
١٢ ـ رسالة المؤتمر السادس
١٣ ـ بين الأمس واليوم
١٤ ـ الإخوان المسلمون تحت راية القرآن
١٥ ـ نظام الأسر ورسالة التعاليم
١٦ ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى
١٧ ـ دعوتنا فى طور جديد
١٨ ـ دستورنا (للأستاذ الهضيبى)
١٩ ـ الرسالة الأولى للأخوات (قسم الأخوات المسلمات) .
٢٠ ـ كيف ندعو الناس (عبد البديع صقر)

للأستاذ / البهى الخولى

٢١ ـ تذكرة الدعاة
٢٢ ـ المرأة بين البيت والمجتمع
٢٣ ـ صفحة من مساوىء الاستعمار فى وادى النيل (محمد عبد البارى) .
٢٤ ـ المنهج الدراسى الإسلامى لإخوان الأسر (قسم نشر الدعوة) ـ صدر منه سبعة رسائل شهرية .

مؤلفات أخرى للإخوان ولكنها لم تصدر عن المركز العام .

للأستاذ/ محمد الغزالى

٢٥ ـ الإسلام والأوضاع الاقتصادية
٢٦ ـ الإسلام والمناهج الاشتراكية .

٢٧ ــ عقيدة المسلم . ٢٨ ــ من هنا نعلم .
٢٩ ــ تأملات فى الدين والحياة

للشهيد / عبد القادر عودة

٣٠ ــ الإسلام وأوضاعه القانونية . ٣١ ــ المال والحكم فى الإسلام .
٣٢ ــ الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه

للشهيد/ سيد قطب

٣٣ ــ العدالة الاجتماعية فى الإسلام . ٣٤ ــ السلام العالمى والإسلام .
٣٥ ــ معركة الإسلام والرأسمالية
٣٦ ــ القرآن والذرة (د . محمود حامد) .
٣٧ ــ الإسلامية لا شيوعية ولا رأسمالية (للبهى الخولى) .
٣٨ ــ فقه السنة (سيد سابق) .

للأستاذ / عبد الرحمن البنا

٣٩ ــ المعز لدين الله الفاطمى ٤٠ ــ الهجرة
٤١ ــ بدر ٤٢ ــ ثورة الدم

للأستاذ / أحمد أنس الحجاجى

٤٣ ــ روح وريحان ٤٤ ــ مع المرأة المسلمة
٤٥ ــ ثلاثة وثلاث ٤٦ ــ محاكمة
٤٧ ــ وثائق ٤٨ ــ رجل الساعة
٤٩ ــ صوت من الجنة ٥٠ ــ الرجل الذى أشعل الثورة .
٥١ ــ الإمام جزء ١ ، ٢

للأستاذ / أنور الجندى

٥٢ ــ الإخوان المسلمون فى ميزان الحق
٥٣ ــ قائد الدعوة
٥٤ ــ مع بعثة الحج
٥٥ ــ المسألة المصرية
٥٦ ــ تاريخ الرسول
٥٧ ــ شمائل الرسول
٥٨ ــ الزعامة النبوية
٥٩ ــ القيادة والجندية
٦٠ ــ الإسلام يزحف
٦١ ــ أثر الدعوة الإسلامية فى الصحافة والأدب .
٦٢ ــ قضايا الأقطار الإسلامية
٦٣ ــ كفاح الذبيحين ــ فلسطين والمغرب .

للأستاذ / كامل الشافعى

٦٤ ــ الوفد والإخوان فى الميزان
٦٥ ــ دولة الخلق
٦٦ ــ دعوتنا والوحدة الدينية
٦٧ ــ الإسلام يحارب الفقر (محمد فتحى عثمان) .
٦٨ ــ مصرع الفقر فى الإسلام (على شحاته) .
٦٩ ــ قذائف الحق (محمد جبر التميمى) .
٧٠ ــ ميلاد الخلود (أحمد مختار رمزى) .

من قسم الطلاب بالجماعة

٧١ ــ الشهداء
٧٢ ــ سلسلة الأبحاث الجامعية (جزئين)
٧٣ ــ فيلسوف من الغرب
٧٤ ــ من أنت
٧٥ ــ مجلة البركان (طلبة بورسعيد)
٧٦ ــ أخبار السويس (طلبة السويس)
٧٧ ــ تاريخ القرآن وآداب التلاوة (أحمد لطفى عبد البديع) .
٧٨ ــ انهيار الحضارة الغربية (أنور الجندى) .
٧٩ ــ إخوانيات ــ ديوان شعر (رشيد أبو مرة)

٨٠ ــ من وحى الدعوة ــ ديوان شعر (إبراهيم عبد الفتاح) .
٨١ ــ البواكير ــ ديوان شعر (عبد الحكيم عابدين) .
٨٢ ــ الشيوعية والإسلام (عمر هندى) .

للأستاذ / لبيب البوهى

٨٣ ــ بين الهدى والضلال
٨٤ ــ الرجل المستجاب الدعاء
٨٥ ــ مذكرات صائم
٨٦ ــ الحياة بعد الموت
٨٧ ــ مصر فى عهد آدم
٨٨ ــ الداء والدواء
٨٩ ــ يوسف
٩٠ ــ يعقوب
٩١ ــ الطريق إلى الله
٩٢ ــ من روائع قصص الجهاد
٩٣ ــ مع المرشد العام

للأستاذ / أحمد عبد الجليل

٩٤ ــ تاريخ الدعوة
٩٥ ــ وحى العقيدة
٩٦ ــ آداب الحج وأسراره

للأستاذ / أنور الجندى

٩٧ ــ عطارد
٩٨ ــ تاريخ الأحزاب السياسية
٩٩ ــ مناورات السياسة
١٠٠ ــ بين لاظوغلى وقصر الدوبارة .
١٠١ ــ فهارس صحيح البخارى (رضوان محمد رضوان) .
١٠٢ ــ القرآن والعلوم الحديثة (محمد كامل ضو)
١٠٣ ــ أصول الإسلام (محمد سند الطوخى)

للأستاذ / صابر عبده إبراهيم

١٠٤ ــ عمر
١٠٥ ــ أبو هريرة .
١٠٦ ــ أبو أيوب الأنصارى
١٠٧ ــ عبد الرحمن بن عوف
١٠٨ ــ أبو عبيدة الجراح
١٠٩ ــ عمار بن ياس

١١٠ ـــ أبو ذر الغفارى | ١١١ ـــ الزبير بن العوام
١١٢ ـــ خالد بن الوليد | ١١٣ ـــ سلمان الفارسى
١١٤ ـــ بلال | ١١٥ ـــ سعد بن أبى وقاص
١١٦ ـــ أبو بكر الصديق | ١١٧ ـــ عثمان بن عفان
١١٨ ـــ الوحى (أنور الصناديقى وعبد الغنى إسماعيل) .
١١٩ ـــ الأخلاق (أنور الصناديقى)
١٢٠ ـــ ظلال المجد (عبد العزيز عزت الخياط)
١٢١ ـــ صولة الحق على جولة الباطل (طه الفياض)
١٢٢ ـــ الإسلام فى الصين (محمد تواضع)
١٢٣ ـــ ميلاد النبى (محمد محمود زيتون) وله ١٢٢ قصة شعرية .

للأستاذ/ الصاوى عوض محمود

١٢٤ ـــ الإنسانية تستيقظ على صوت النبى
١٢٥ ـــ الوعظ المصور
١٢٦ ـــ عاطفة الشباب
١٢٧ ـــ الإسلام (بالإنجليزية) (عبد السميع المصرى) .
١٢٨ ـــ المجاهدون (كمال الدين فاروق)
١٢٩ ـــ الصراع (عبد المجيد محمد هيكل)
١٣٠ ـــ حسن البنا كما عرفته (فتحى العسال)
١٣١ – القتال فى الإسلام (أحمد نار)

وكل هذه الكتب مطبوعة ومنتشرة بين الناس وفى المكتبات العامة

(ب) الصحافة :

١ - جريدة (الإخوان المسلمون) - يومية .

٢ - مجلة الإخوان المسلمون - أسبوعية .

٣ ـــ مجلة الشهاب ـــ شهرية .

٤ - مجلة الكشكول - أسبوعية .

٥ - مجلة النذير - أسبوعية .

٦ - مجلة الدعوة - أسبوعية .

٧ - مجلة منزل الوحى - أسبوعية .

٨ - جريدة منبر الشرق - أسبوعية .

٩ - مجلة المسلمون - شهرية .

هذا إلى جانب الحفلات العامة فى الأعياد الإسلامية .

٤ - أبحاث توجيهية :

وهذا النوع من الثقافة قسمه المؤلف إلى قسمين :

(أ) قسم خاص : بالأبحاث العلمية لتوجيه أفراد الجماعة بما يجد فى ساحة العلم والسياسة .

(ب) قسم خاص بتوجيه أسر الجماعة وما يجب أن تكون عليه .

٧ ـــ وفى الجانب النسوى :

قامت الجماعة بإنشاء فرق للأخوات المسلمات فى أنحاء القطر ، بلغت شعب الجماعة فى هذا المجال خمسون شعبة تضم تحت لوائها خمسة آلاف أخت ،

وقد حددت الجماعة غاية وبرنامج قسم الأخوات المسلمات ولائحتهن بما يلي :

أولا : غاية قسم الأخوات المسلمات :

(أ) بعث الروح الدينية ، وبث التعاليم الإسلامية الكفيلة بتكوين شخصيات من النساء مهذبة ، تستطيع الاضطلاع بما يناط بها من أعمال وواجبات .

(ب) التعريف بالفضائل والآداب المزكية للأنفس ، والموجهة للخير والكمال ، وتعريفها بما لها من حقوق ، وما عليها من واجبات .

(ج) إرشادهن إلى طرق التربية الإسلامية الصحيحة النافعة ، التى تضمن لأبنائهن النمو الجسمى والعقلى ، وتجنبهم الإسراف الصحى والنقص العقلى .

(د) العمل على صبغ البيت بالصبغة الإسلامية ، وبث تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وسيرة أمهات المؤمنين وفضليات النساء ممن حفل بهن التاريخ الإسلامى المجيد .

(هـ) محاربة البدع والخرافات والأباطيل والترهات والأفكار الخاطئة ، والعادات السيئة التى تنتشر وتروج بينهن .

(و) نشر الثقافة العامة والمعارف التى تنير عقولهن ، وتوسع مداركهن .

(ز) الاهتمام بالشئون المنزلية لتجعل من البيت مكانا سعيدا ، يضم أسرة هانئة ، على أساس فاضل سليم .

(ح) المساهمة فى المشروعات الاجتماعية النافعة ، بالقدر الذى يتناسب مع ظروفهن ، وجهودهن ، وفى محيطهن . ومن هذه المشروعات : المستوصفات – دور الطفولة – رعاية اليتامى – أندية الصبيان – المدارس – تنظيم مساعدة الأسر الفقيرة .

وتوضع لكل مشروع لائحة خاصة ، وتؤلف له هيئة إدارية تنهض به وتشرف عليه ، طبقا لأحكام القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ م وتسجل بوزارة الشئون الاجتماعية .

(ط) المعاونة فى حدود ظروف الأخوات وجهودهن ، فى تحقيق البرنامج الإصلاحى الأساسى لهيئة الإخوان المسلمين العامة .

ثانيا : برنامج الأخوات المسلمات ولائحتهن[1] :

كانت أول رسالة ثقافية قام قسم الأخوات بطبعها ونشرها هى رسالة (مع المرأة المسلمة) وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ وقد ورد فى هذه الرسالة برنامج صريح وتصريحات خطيرة عن رسالة الأخوات المسلمات منها :

١ - محاربة النظام الحاضر والمذاهب المعاصرة القائمة على غير الإسلام ، وتصحيح الأوضاع الحالية ، سواء من وجهة نظر المجتمع أو الدولة للمرأة والإقرار لها ، بحقوقها كاملة ، والنظر إليها نظرة الاحترام والتقدير الواجبة ، وذلك عن طريق خطوتين إحداهما إيجابية والأخرى سلبية .

(أ) فالإيجابية أن جهودنا ستأخذ شكلا عمليا ، يتجه إلى البناء بالتكوين والتربية ، أى بالعمل على تكوين المجتمع الصالح ، وبالتالى تقديم نماذج للمرأة المثالية لتحققها بالمبادىء التى تريدها وتدعو إليها .

(ب) والسلبية هى أننا سنعبىء الجهود ونوجهها إلى نسف قواعد النظم الحاضرة للمرأة بما فيها من إباحية وفسق وفجور وتمرد على قواعد الخلق والفضيلة .

٢ - إعلان الثورة على النظم القائمة ، وتجنيد المرأة لقيادة هذه الثورة وتحقيق الغاية الإصلاحية المطلوبة .

٣ - الثورة لحماية المرأة ، وصيانة أعراض الأمة ، والمرأة نفسها هى التى ستحمل علم هذه الثورة ، لإحداث الانقلاب الذى سنهيىء له .

٤ - تحريض المرأة على الثورة حتى تثور ، وذلك بتنويرها ، وإماطة اللثام عما يخفى عليها من الحقائق المستورة ، وسنقنعها بأن بقاء هذه الحال إصرار على

---

(١) الإخوان والمجتمع المصرى ص ١٨٧ (باختصار) .

الماضى فى سياسة امتهانها وتحقيرها والاتجار بشرفها ، واعتبارها متاعا يباع ويشترى ، ويعرض ويباح ، حيث يهوى الفجرة المخادعون ، وأنها بذلك الوضع المهين تخسر كل الميادين ، ولا تكسب شيئا .

تلك خطوة رئيسية ، ومادة أساسية فى رأس المنهاج ، ثمارها تعبئة المرأة ، لقيادة النهضة النسائية السليمة ، وإعدادها لهذه القيادة .

٥ – إعلان حقوق المرأة الإنسانية ، وتسليمها زمام قيادة النهضة النسائية ، على أساس نظام عام بستمد من دستورية القرآن ، وروح النظام الإسلامى ، بأن يشمل هذا الإعلان تقرير حريتها الصحيحة ومنحها حقوقها الطبيعية ، العامة والخاصة ، والاعتراف بمساواتها بالرجل فى الحقوق الإنسانية العامة ، التى لا تتعارض مع أداء وظيفتها الخاصة للمجتمع .

٦ – تحديد رسالة المرأة الإصلاحية ، ووظيفتها الاجتماعية ، وهى : تكوين المجتمع الصالح وتعهده ، فى حراسة الفضائل الاجتماعية العليا ، وهى بهذا توجد قانونا جامعا ومعنى واسعا ينسحب على كل ما يمكن أن تستحدثه من التعبيرات ، أو تتطور إليه المطالب والحاجات ، ما دامت نامية فى ظل المثل الأخلاقية العليا ، فإذا جندنا المرأة فى أعمال البر والخير ، وأطلقناها فى ميدان النشاط الاجتماعى فى أى صورة من صوره ، كان ذلك داخلا فى رسالتها .

وإذا أسندنا إليها القيام بمهمتها الأصلية الطبيعية فى البيت ، كزوجة وأم صالحة تقدم الفرد النافع ، الذى تتكون منه الجماعة ، كان هذا من صميم رسالتها .

وإذا ساهمت فى أى ميدان من ميادين العمل التى تناسبها ويتلاءم مع طبيعتها ، فإن هذه المساهمة عمل تؤدى به جزءا هاما من رسالتها .

وإذا تقدمت لحمل أعباء الجهاد الوطنى ، وشاركت بجهودها ، وبعقلها وبثقافتها وبتجاربها وخبرتها ، وبكل صور المشاركة التى تناسبها ولا تتعارض مع روح الدستور الإسلامى العام ، وإذا هبت للمطالبة بحقوقها التى اعترف لها بها الإسلام ، ونظمت طرائق الجهاد لإقرار هذه المبادىء وتطبيقها عمليا ، والثورة

على ما عداها من مذاهب الظلم والفوضى الاجتماعية ، كان ذلك أول واجب رئيسى تحث عليه رسالتها وتأمر به .

تعهد نظام الأسرة عن طريق التشريع وتعهد المرأة نفسها وحمايتها بقوة القانون .

٨ - وفى الجانب الاقتصادى :

قسم المؤلف جهود الإخوان المسلمين فى هذا الجانب إلى قسمين :

أولا : دعم الاقتصاد القومى .

ثانيا : تشجيع الادخار فى الطبقات الشعبية .

وقد أنجزت الجماعة فى دعم الاقتصاد القومى ما يلى :

(أ) شركة المعاملات الإسلامية : تكونت برأسمال قدره عشرون ألف جنيه مصرى وكان محور الشركة إنشاء خطوط نقل عام وإقامة مصنع كبير للنحاس .

(ب) الشركة العربية للمناجم والمحاجر :

تكونت الشركة برأسمال قدره ستون ألف جنيه ومحورها صناعة البلاط بأنواعه .

(ج) شركة الإخوان المسلمين للغزل والنسيج :

تكونت الشركة برأسمال قدره ثمانية آلاف جنيه ومحورها صناعة الأقمشة بأنواعها .

(د) شركة المطبعة الإسلامية :

تكونت برأسمال قدره سبعون ألف جنيه تولت هذه الشركة طباعة كتب الإخوان ومجلاتهم .

(هـ) شركة الإخوان للصحافة :

تكونت برأسمال قدره خمسون ألف جنيه ومحورها الطباعة والنشر .

(و) شركة التجارة والأشغال الهندسية :

تكونت برأسمال قدره أربعة عشر ألف جنيه ومحورها القيام بالأعمال والمشاريع الهندسية .

(ز) شركة التوكيلات التجارية :

وهى الشركة التى توسعت وازدهرت حتى شملت أكثر البلاد المصرية ولم يحدد المؤلف لها رأسمال معين ، ولا محور عملى معين .

(ح) شركة الإعلانات العربية :

ومحورها الإعلانات العامة بكل وسائل الإعلان ، ولم يحدد لها المؤلف رأس مال معين أيضا .

أما القسم الثانى وهو تشجيع الادخار :

فجميع الشركات الإخوانية موزعة على أسهم ذات قيمة مخفضة ، بحيث يشترك فيها أكثر أعضاء الجماعة ومن ثم تعود الأرباح على أكبر عدد ممكن ، وبذلك يربو الادخار العام ، وتشجيع رؤوس الأموال الصغيرة .

٩ – وفى الجانب الصحى :

جعلت الجماعة قسما طبيا نصت لائحته على الأغراض الآتية :

(أ) إنشاء العيادات والمستوصفات والمستشفيات ، والإشراف على تنظيمها وإداراتها .

(ب) العمل على تحقيق التأمين الصحى لأفراد الجماعة .

(ج) العمل على رفع المستوى الصحى ، والدعوة الصحية لجميع طبقات الشعب بكل الوسائل .

(د) توثيق الصلة بين الهيئات الطبية والعالمية ، وبين القسم عن طريق تبادل المعلومات .

وقد نشط القسم فى الوصول إلى أغراضه ، فحقق الإنشاءات الآتية :

١ - افتتح مستوصفا فى إحدى عيادات الإخوان بلغ عدد الذين انتفعوا من خدماته ٢٢٨٧٧ لعام ١٩٤٥ فقط ثم تزايد عدد المنتفعين من خدماته حتى بلغوا ما يقارب ٥١٣٤٠ فى العام الواحد .

٢ - أنشأ القسم مستوصفا فى طنطا وبلغ عدد المستفيدين منه ما يقارب خمسة آلاف مريض فى العام الواحد .

٣ - أنشأ القسم مستوصفا فى شبرا وبلغ عدد المستفيدين منه لعام ١٩٤٧ م ٢٧٠٠٠ مريضا .

٤ - قام القسم بإنشاء مستشفى عام لاستقبال المرضى من كل طبقات الأمة .

٥ - وقد أنشأ أخيرا فى القاهرة والجيزة فقط ١٧ مستوصفا ذكر المؤلف عناوينها وعدد المرضى الذين راجعوها[1] بالتفصيل .

هذه بعض من جهود الجماعة اختصرتها من كتاب (الإخوان المسلمين والمجتمع المصرى) ، وهى جهود الجماعة فى القطر المصرى فقط ، وقل مثل ذلك فى باقى البلاد الإسلامية ، التى ترعرعت الجماعة فيها ، مثل سوريا والعراق والسودان وغيرها .

١٣ - الإخوان والسياسة :

لجماعة الإخوان باع كبير فى السياسة وهى التهمة التى يوجهها إلى الجماعة كثير من المغفلين والمستغفلين، عن الأهمية التى يوليها الدين الإسلامى لسياسة ونظام الحكم . وكثر حديث الناس واتهامهم ، وفى إحدى خطب مؤسس الجماعة رد هذه التهمة ، بقوله : (يقول قوم أن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ، ودعوتهم دعوة سياسية ، يا قومنا إننا نناديكم والقرآن فى يميننا ،

---

(١) انظر الإخوان والمجتمع المصرى من ص ٨٧ : ١٩١ .

والسنة فى شمالنا ، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا ، وندعوكم إلى الإسلام ، وأحكام الإسلام ، وهدى الإسلام ، فإن كان هذا من السياسة عندكم ؟؟ فهذه سياستنا ، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادىء سياسيا ؟ فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة)[1] .

ويقول فى موضع آخر : (إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام ، الذى جاء به محمد ﷺ ، والحكومة جزء منه ، والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة فقولوا هذا هو الإسلام)[2] .

وتوج مرشد الجماعة الأول هذه الأقوال[3] : برسالة إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية فى عهده ، بين فيها أحكام الإسلام ، ومزاياه فى كافة جوانب الحياة الإنسانية ، وأنه أفضل المناهج لتسيير الأمة سيرا صالحا فى كل شئونها .

ثم مرت الجماعة بعد ذلك بمعارك سياسية كبيرة وكثيرة ، مع الحكومات المصرية منذ عام ١٣٥٥ هـ إلى عصرنا الحاضر ، كما أشار إلى ذلك الحسينى بقوله : ورفع البنا سنة ١٣٥٥ هـ /١٩٣٦ م خطابا إلى الملك فاروق وملوك العالم الإسلامى يدعوهم فيه إلى طريق الإسلام وأصوله وقواعده[4] .

أوذيت الجماعة فى هذه المعارك إيذاءً شديدا وخرجت منها منتصرة ظافرة قتل خلال هذه المعارك الكثير من رجالاتها وفى مقدمتهم مؤسس الجماعة الشهيد حسن البنا .

١٤ - تقويم الجماعة :

مما سبق من الكلام عن الجماعة ومؤسسها وغايتها ووسائلها وأفكارها وما

---

(١) إلى أى شىء ندعو الناس ص ١٣١ .

(٢) بين الأمس واليوم ص ٢٣١ .

(٣) أرسل هذه الرسالة فى رجب ١٣٦٩ هـ تحت عنوان (نحو النور) والرسائل الثلاث من تأليف الإمام حسن البنا .

(٤) كبرى الحركات الإسلامية ص ٣١٧ للدكتور إسحاق الحسينى .

امتازت به من خصائص وسمات ، نستخلص ما يلى :

(أ) جعل الجماعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعلم السلف الصالح مرجعها ، وإليه تحتكم فى كل خطواتها ، أمر أقامت به الحجة على كل مسلم بأنه لا يحق له أن يتحرك فى دعوته إلى الله فى غير إطارها ، لأن كل مسلم مطالب بأن يحتكم فى كل حركة وسكنة فى حياته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[2] .

(ب) أن الجماعة امتازت عن غيرها من الجماعات الإسلامية بأن أخذت فى اعتبارها شمول الإسلام ، وإحاطته بكل شئون الإنسان على هذه الأرض ، فلم تجعل من نفسها جماعة سياسية فقط ، أو جماعة إرشادية وعظية وحسب ، أو جماعة خيرية فقط ، أو جماعة موضعية محدودة المقاصد بل جماعة جمعت فى دعوتها كل تعاليم الإسلام ومطالبه من هذه الإنسانية .

قال مؤسسها :

(أيها الإخوان أنتم لستم جمعية خيرية ولا هيئة موضعية ولا حزبا سياسيا ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ونور جديد يُشْرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله وصوت مدو يعلو مرددا دعوة الرسول ﷺ)[3] .

وبهذا فهى جماعة ضمت كل غايات ووسائل الجماعات الإسلامية فى عصرنا الحاضر وزادت على تلك الجماعات ما فرطت فيه ولم تهتم به من تعاليم

---

(١) النساء آية ٥٩ .
(٢) الأحزاب آية ٣٦ .
(٣) مجموعة الرسائل ص ٢٣١ .

الإسلام ، بشمول دعوتها لكل التعاليم والأحكام الإسلامية .

قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (١)

(ج) إنها جماعة متطورة فى خطتها العملية ، وهذه الصفة فيها تعنى أن الخطوط العريضة للجماعة ، تتسع لكل جديد فى حركة الناس ، فى كل زمان ومكان .

فالدعاة الذين يعيشون فى بلد فيه حركة العمل الجماعى فخطوط الجماعة تساير ذلك الوضع ، والدعاة فى بلد نظامه عكس نظام البلد الأول ، فخطوط الجماعة تسايره ، وبلد فيه الدعوة مبتدئة ، فخطوط الجماعة ترتب ذلك الوضع ، وكذا إن كانت الدعوة فى بلد الدعوة فيه عريقة فخطوط الجماعة تساير ذلك الوضع .

يقول صاحب دعوة الإخوان المسلمين بعد خمسين عاما :

(إنه لابد من تطوير الجماعة يوميا ، وبشكل دائم ، حتى تكون فى كل لحظة على مُستْوى الأحداث التى تواجهها ، وعلى طريق الأهداف التى ينبغى أن تحققها) .

ويقول : (نحن جماعة يحكمها فى سيرها شيئان : حكم الله تعالى ، ثم الشورى ، وعن الشورى تنبثق القاعدة ، وبالشورى تتطور القاعدة)(٢) .

فبهذين الحكمين : حكم الله ، ثم الشورى ، تستطيع الجماعة أن تصل إلى الحكم المعصوم فى سيرها .

لعصمة حكم الله تعالى ، ولأن الأمة الإسلامية لا تجتمع على ضلالة وبهما ستوعب خطة الجماعة كل جديد .

---

(١) الآية ٨٩ من سورة النحل .

(٢) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص ١٣ لسعيد حوى .

(د) وهى جماعة يتضح من غاياتها ، ارتباط طموحها بطموح الإسلام .

فالإسلام جاء للبشرية كافة وهو يطالب الأمة الإسلامية بأن تبلغه إلى كل البشرية وتكون هى الموجهة لهذه البشرية .

وغاية الجماعة العليا تعانق ذلك الطموح الإسلامى والسعى إليه يقول مؤسس الجماعة فى آخر سرده لغايات الجماعة :

(وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)[١] .

(هـ) وعلى الرغم مما اتصفت به الجماعة من صفات حميدة ، فإنها مجموعة من البشر تخضع فى خططها ، واجتهاداتها ، لقاعدة القصور البشرى ، والضعف البشرى ، والخطأ البشرى .

ومن خلال تصفحى لتاريخ الجماعة أخذت عليها ما يلى :

١ ـــ تحديدها لمرحلة المؤاجهة مع الباطل قبل أن تمتاز عنه :

ففى عقدها الأول اتخذت موقفا معاديا من جميع الأحزاب السياسية فى مصر ، وطالبت الدولة بإلغائها ، وكذلك واجهت الجماعة التبشير وأعلنت موقفها منه وطالبت الدولة بتشديد الرقابة عليه . وفى سنة ستة وثلاثين أى قبل أن تتجاوز السنة العاشرة من تأسيسها دخلت فى صراع مع الدولة[٢] .

هذه المواقف من الأحزاب ، وهى تمثل ملايين من الشعب المصرى ومن التبشير وهو يمثل الصليبية ألعالمية ، ومن الدولة وهى المدعومة من بريطانيا فى ذلك الوقت ، كونت جبهة معادية للجماعة ، أحاطتها من كل جانب ، متعاونة كلها على ضربها ، وإفنائها ، فى الوقت الذى حددت الجماعة هذه المواقف قبل أن تمتاز عن تلك الجبهات وقبل أن تحدد الأرض الصلبة التى يمكنها أن تقف عليها

---

(١) مجموعة رسائل التعاليم ص ١٤ .

(٢) (الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية) د . زكريا سليمان بيومى ص ٨٦ — ٨٨ .

وهى لا تخشى أن تضرب من الخلف ، فكان ما كان من ضرب الجماعة ، وقتل قادتها ، وتشريد رجالها ، ومصادرة أموالها ، وممتلكاتها .

على الرغم من أن هذا المعلم – الذى هو التميز ، وتحديد الأرض التى ستقف عليها الدعوة ، قبل أن تعلن مواجهتها للجبهات المعادية لها – واضح تمام الوضوح فى كتاب الله تعالى ، وسيرة رسوله ﷺ .

(أ) قال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾[1] .

فالآية جاءت فى سياق ما قبل المواجهة مع فرعون وجنوده ، تطلب من موسى وأخيه هارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، أن يعينا أرضا يقيمان عليها بيوتا لمن استجاب لدعوتهما من المؤمنين من قومهما .

(ب) وفى سيرة الرسول ﷺ أكثر من دليل على وجوب تحديد الأرض ، والتميز عن الباطل ، قبل مواجهته .

١ – فطلبه عليه السلام من الصحابة الهجرة إلى الحبشة أولا ، وثانيا ، فيه دليل على التميز والبحث عن الأرض التى يمكن أن تقف عليها الدعوة عند المواجهة مع الباطل .

٢ – خروجه ﷺ بنفسه إلى الطائف من أوضح الأدلة على بحث الدعوة عن الأرض ، والمكان الذى يمكن أن تتحصن فيه الدعوة ، وتنطلق منه عند المواجهة مع الباطل .

٣ – عرضه ﷺ نفسه على القبائل واشتراطه الحماية ، من أكبر الأدلة على وجوب تأمين المكان الذى ستنحاز إليه الدعوة عند المواجهة مع الباطل .

وأخيرا هجرته عليه السلام إلى المدينة بعد مقدمات كثيرة لها .

هذه المساعى كلها لتأمين ذلك القصد كانت فى مرحلة الأمر العام إلى كل

---

(١) سورة يونس آية ٨٧ .

فرد فى جماعة الرسول ﷺ بالكف ، والصبر على أنواع الأذى ، الذى يصدر من الجهات المعادية للدعوة وأفرادها فى مكة المكرمة ، وهو الأمر الذى لم ينته مفعوله إلا بعد أن حددت الدعوة المكان الذى يمكن أن تضع عليه أقدامها مخافة ضربها من خلفها .

عندئذ صدر أمر المواجهة وهو الأمر الذى ألغى الأمر الأول بالصبر ومهادنة الجبهة المعادية ، قال تعالى : ﴿أُذِنَ للَّذين يقاتلون بأنَّهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير﴾[١] .

قال صاحب تفسير الجلالين : (وهذه أول آية نزلت فى الجهاد)[٢] ووضح ذلك القرطبى بقوله : (وهذا ناسخ لكل ما فى القرآن من إعراض وترك وصفح)[٣] .

ويؤكد هذا المعنى أحاديث السمع والطاعة التى تزخر بها كتب السنة المشرفة . والعبارات المشهورة فى مخاطبة تلك القيادة لزعماء وقيادات العصر الذى تبعث فيه مثل (أسلم تسلم)[٤] ومثل (جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده)[٥] .

(ج) وإنه لمن القصور أن تشترط الجماعة فى العضو الذى يريد أن ينضم إليها الشروط الكثيرة ثم تسلم زمام الأمور فى الشعب التى هى جزء منه إلى قيادة من خارج صفوفها بدون قيد أو شرط ، فى الوقت الذى هى قادرة على أخذ المبادرة ، وتسلم القيادة حسب ما سردنا من خلال أقوال معاصريها فى تلك الفترة .

---

(١) الحج آية ٣٩ .
(٢) تفسير الجلالين للسيوطى ص ٢٨ .
(٣) القرطبى فى الجامع ٦٨/١٢ .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٩/١ – ١٦ ، مسلم ١٣٩٣/٣ – ١٣٩٧ ، وهو عند أحمد فى مسنده ٢٦٣/١ .
(٥) وهى الكلمة المشهورة عن ربعى بن عامر ، رضى الله عنه – عندما دخل على رستم فى وقعة القادسية – انظر اتمام الوفاء ص ٧٩ للشيخ محمد الخضرى

(د) ولقد كان هذا الموقف من الجماعة نكبة عليها ، وقتلا وتشريدا لرجالها ، ومصادرة لأموالها وممتلكاتها ، بل نكبة حرمت الأمة الإسلامية كلها من فرصة حكم إسلامى ، ينطلق من أرض الكنانة ، ليظلل أنحاء البلاد الإسلامية ، موقف قتل إمامها ومؤسسها الأول حسن البنا ، وتشريد الجماعة كلها ، موقف محق الجماعة مرة ثانية فى عهد مرشدها الثانى حسن الهضيبى .

وإنى لأهيب بالجماعة أن لا تلدغ من جحر واحد مرة ثالثة ، وأهيب بكل الجماعات الإسلامية أن لا تقع فيما وقعت فيه جماعة الإخوان المسلمين .

ويقول د . الحسينى : (واشتراك الإخوان فى حرب فلسطين أتاح لهم التسلح والتمرن على القتال ، كما كشفت هذه الحرب عن مدى استعدادهم الحربى ومدى نفوذهم ، حتى خشيت حكومة النقراشي[1] سطوتهم)[2] .

ويقول د . زكريا بيومى فى سرده لأسباب حل جماعة الإخوان سنة ١٩٤٨ م (أن الحكومة قد تخلصت بهذا من ألد خصومها ، التى كانت دولة داخل دولة)[3] .

وقرار الدكتور ريتشارد ميتشيل (إن عدد الجماعة فى سنة ١٩٤٨ م - سنة ١٩٥٠م مليون رجل ، وأن عدد الجوالة « الجهاز السرى » فيها سبعون ألف رجل مسلح)[4] والذى قسمته مجلة المناضل البعثية إلى ثلاثة أقسام ، وتحت كل قسم تشكيلات كثيرة ، وأنه مدربٌ تدريبا قاسيا ، وعودت الجماعة أفراده على الإخلاص والتضحية[5] .

---

(١) النقراشى : هو محمود فهمى النقراشى أحد رؤساء وزارات مصر .

(٢) الإخوان كبرى الحركات ص ٤٣ .

(٣) الإخوان والجماعات ص ١٢٢ .

(٤) أيديولوجية الإخوان المسلمين ص ٨٨ .

(٥) مجلة المناضل العدد ١٢٨ لسنة ١٩٧٩ م ص ٥٢ إحدى المجلات الداخلية لحزب البعث الاشتراكى العربى .

ويقول جمال البنا عنها : (إنها أكبر الهيئات السياسية فى مصر دون منازع)[1] .

إن جماعة هذه قوتها بشهادة أعدائها ، لجماعة تستطيع أن تفعل شيئا لو كان فى خطتها ذلك، ولكنها جنحت إلى تقديم النصح والتوجيه إلى حكومات تلك الفترة ، دون أن تتقدم هى لتسلم زمام الحكم ، وهو موقف قاصر فى فهم مسار الحركة الإسلامية ، بقيادة الرسل عليهم أفضل الصلاة والتسليم .

(أ) واضح من سنن الله تعالى عندما يريد تغيير قيادة بشرية بقيادة أخرى يبدأ بخلق زعيم تلك القيادة ورائدها . قال تعالى : ﴿ ولتصنع على عينى ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ونريد أن نمنَّ على الَّذِين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونُرِىَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنَّا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[3] .

فمن هذه القصة ، ندرك إرادة الله تعالى بجعل بنى إسرائيل وهم المستضعفون فى الأرض – أئمة ، ثم بدأت المشيئة الإلهية بتربية الزعيم الذى سيتولى قيادة ذلك التغير ، ومتابعة أطوار حياته .

ونلمس هذا المعنى بعمق عندما اصطفى الله تعالى آل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين ، ثم امرأة عمران تنذر ما فى بطنها لله ، ثم يكون ما فى بطنها أما لزعيم يتابع مسيرة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ذلك الزعيم هو سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام .

ونلمسه أيضا والرب سبحانه يتولى محمدا ﷺ من اللحظات الأولى من

---

(١) الدعوة الإسلامية المعاصرة ما لها وما عليها ص ١٨٧ .

(٢) سورة طه آية ٣٩ .

(٣) سورة القصص آية ٥ – ٧ .

حياته ، قال تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذى أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك ﴾[2] .

(ب) وهذه الزعامة عندما تأتى لتغير ، لا تأتى لتقدم إلى القيادة السابقة النصح ، والتوجيه ، وتبقى هى بعيدة عن أجهزة التنفيذ ، بل تأتى لتطلب من تلك القيادة اتباعها ، والسير خلفها ، والانقياد لتوجيهاتها وأوامرها .

قال تعالى : ﴿ قال يا قوم اتَّبعوا المرسلين ﴾[3] .

قال تعالى : ﴿ وقال الَّذِى آمن يا قوم اتَّبعونى أهدكم سبيل الرشاد ﴾[4] .

قال تعالى : ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتَّبعونى يحببكم الله ﴾[5] .

قال تعالى : ﴿ وإنَّ ربَّكم الرحمن فاتَّبعونى وأطيعوا أمرى ﴾[6] .

هذه الأدلة وغيرها كثير توجب على كل دعوة إسلامية فى خطتها لمواجهة الباطل أن تمتاز عنه جسدا وأرضا أولا ، ثم تعلن بعد ذلك مواجهتها له وتصديها لطغيانه .

أما أن تبقى فى وسط ذلك الباطل وتعلن معاداته ، ومحاربته ، فهذا عين الخطأ ، ومجانبة الصواب ، وهذا ما وقعت فيه جماعة الإخوان المسلمين فى مصر .

٢ – ثقتها وحسن ظنها بالقيادات التى عاصرتها :

المأخذ الثانى على الجماعة : هو ثقتها بغيرها من القيادات فى تحقيق

---

(١) الضحى آية ٦ – ٨ .
(٢) الشرح آية ١ – ٤ .
(٣) سورة يس آية ٢٠ .
(٤) غافر آية ٣٨ .
(٥) آل عمران آية ٣١ .
(٦) طه آية ٩٠ .

أهدافها ، يتضح ذلك من خلال تقديم الجماعة قيادات من غير الجماعة لتسلم زمام الحكم فى البلاد ، ثم طلبها بجعل نظام الحكم إسلاميا ، فى الوقت الذى كانت تستطيع فيه هى أخذ هذه المبادرة وتسلم زمام الحكم فى البلاد .

وعلى الرغم من علم قيادة الجماعة أن تلك القيادات تعطى ولاءها لجهات خارجية ، فما من حزب فى مصر تولى الحكم فى الفترة من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٢ م إلا وهو مدعوم من الانجليز ، وموجه من قبلهم والجماعة فى تلك الفترة كانت قادرة على تسلم مقاليد الحكم فى مصر ، ومما يشهد على قوتها فى تلك الفترة قول الدكتور زكريا بيومى :

(وحقيقة الأمر هى أن الإخوان فى سنة ١٩٤٨ م أكبر جماعة مسلحة خاصة بعد حرب فلسطين)[1] .

● وأخيرا فإننى مؤمن بأقدار الله ومشيئته النافذة فى كل شيء وكون أن الجماعة الإسلامية لم تتسلم زمام الحكم على حين أنها مؤهلة لذلك عيب فى نظرى ، فقد يكون ما حصل للجماعة من تأخر فى ذلك ، وتعذيب ، ونتائج سلبية ، لحكمة أرادها الله سبحانه ، ولأجل أن يعتبر أولو الألباب من أرباب الدعوات الإسلامية ، ويأخذوا الأمور بجدية ودراسة قوية .

قال تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين ﴾[2] .

---

(١) الإخوان والجماعات ص ١١٨ .
(٢) آل عمران آية ١٦٦ .

الخاتمــة

وتتضمن خلاصة موجزة عن مباحث الرسالة

خاتمة البحث

توصلت من خلال هذا البحث إلى قناعة تامة ، ويقين ثابت ، إلى الآتى :

١ – أن الأمة الإسلامية تفقد شيئا عظيما هو الخليفة[١] ، ومن ثم فهى تفقد الحكم بما أنزل الله تعالى .

٢ – وأن فرض العصر واللحظة على الأمة الإسلامية أن تسعى بكل وسعها لإقامة الخليفة .

٣ – وأن نظام حكم ذلك الخليفة شورى ، ينبثق من سواد الأمة ، ينبثق من تلك الشورى خليفة المسلمين[٢] .

٤ – وتوصلت إلى يقين ثابت أن هذا الحكم آت لا محالة ، وأنه حكم على نهج النبوة كما أخبر بذلك الذى لا ينطق عن الهوى[٣] .

٥ – وأن فجر ذلك الحكم قد أوشك ، لما فى العالم الإسلامى من إشارات لظهوره وإشعاعات لبزوغه .

٦ – وأن الطريق إلى إقامة ذلك الخليفة – أن تعزم جماعة من الناس فى

---

(١) انظر صفحة (٣٥ – ٣٦) من البحث .
(٢) انظر صفحة (٥٩ – ٩٢) من البحث .
(٣) انظر صفحة (٩٥ – ٩٧) من البحث .

كل قطر إسلامى على إقامته وجعله هدفها الأول .

٧ – وأن الطريق إلى هذه الجماعة :

(أ) أن يلتزم واحد أو أكثر بالإسلام والعمل على إقامة دولته .

(ب) ثم يلتزم كل واحد من أولئك العاملين للباقين أن يأتى كل واحد منهم فى زمن معين بواحد أو أكثر على ذلك الهدف الأسمى والعمل على تحقيقه بذلك ستتكون تلك الجماعة الملتزمة .

٨ – ونقطة الانطلاق فى تلك الطريق إلى إقامة تلك الجماعة :

(أ) البدء بمن تعول .

(ب) ثم الأقرب فالأقرب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين .... ﴾[١] .

٩ – وأن هذه الطريق : هى الطريق التى سار عليها الرسول ﷺ فى دعوته حتى أقام دولته العظمى[٢] .

١٠ – وأن الرسول ﷺ قسم رحلته فى الدعوة إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم منها يكمل الآخر ، وجعل ﷺ لكل قسم وقته وغايته ، ووسيلته ، بحيث توصل غاية القسم الأول إلى القسم الثانى ... وهكذا .

١١ – وأن هذه الأقسام هى :

(أ) نشره ﷺ للأهم فالأهم من مبادىء الإسلام وتعاليمه[٣] .

(ب) ثم تكوين من استجاب له على تعاليم الإسلام[٤] .

(ج) ثم إرغام من صد عن الإسلام على النزول على حكم الإسلام[٥] .

---

(١) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء .

(٢) انظر صفحة (١٤٧) من البحث .

(٣) انظر صفحة (١٥٩ – ١٦٦) من البحث .

(٤) انظر صفحة (١٦٧ – ١٧٤) من البحث .

(٥) انظر صفحة (١٧٥ – ١٨٨) من البحث .

١٢ – وأنه ﷺ قد سن لرحلته تلك عوامل صيانة تقى الجماعة مكائد الأعداء ، وتهون عقبات الطريق على أفرادها .

١٣ – وتوصلت إلى ثلاثة منها وهى :

(أ) السرية فى الحركة التنظيمية[١] .

(ب) الصبر على متاعب الطريق[٢] .

(ج) إبعاد الأفراد المستجيبين عن ساحة المواجهة مع العدو[٣] .

١٤ – وتوصلت إلى أن طبيعة الطريق إلى إقامة الخلافة الإسلامية ، شاقة فهى محفوفة بالمكاره قبل النصر ، مزدانة بالشهوات بعده وأن المطلوب الثبات على الحق فى كلا الجانبين[٤] .

١٥ – ثم توصلت إلى أن جماعات إسلامية قد سلكت هذا الطريق ، ثم أن تلك الجماعات منها : محدودة الغاية ، والوسيلة ، فهى لا توصل إلى الغاية المرجوة ، وهى مرفوضة فى شرع الإسلام[٥] .

ومنها الكاملة الغايات ، والوسائل ، فهى التى تعانق كمال الإسلام وسموه ، وهى المقبولة فى شرعه ، والمنسجمة مع منهجه .

١٦ – وتوصلت إلى أن الجماعات ذات الكمال والشمول فى الغايات والوسائل ، هى الجديرة بأن يعطيها كل مسلم ولاءه ، ونصرته وأن كل مسلم يتأخر عن ذلك ، فهو آثم ومقصر والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر صفحة (١٩٠) من البحث .

(٢) انظر صفحة (٢٠٠) من البحث .

(٣) انظر صفحة (٢٠٤) من البحث

(٤) جانب الأذى ، وجانب الإغراء .

(٥) انظر صفحة (٣٠٩) من البحث .

الوثائق الملحقة بالرسالة

الملحق الأول : الوثيقة الخطيرة لضرب الدعوة الإسلامية في مصر .

الملحق الثاني : التقرير الخطير المعدّ لتصفية الاتجاه الديني في مصر والعالم الإسلامي .

الملحق الثالث : التقرير الخطير الذي رفعه إلى إدارته كبير المخابرات الأميريكية في الشرق الإسلامي .

ملحق رقم (١)

وهو نص الوثيقة الخطيرة التى قدمها المسئولون عن إبادة الحركة الإسلامية فى مصر عام ٦٥ - ٦٧ م إلى رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت وقد أقرها الرئيس ، ونفذت حرفيا فى الدعوة الإسلامية ، نرفقها ملحق لهذه الرسالة ليتعظ بها الدعاة إلى الإسلام . وهو عن رسالة طبعت ووزعت فى المملكة العربية السعودية عام ٦٥ م ونصها كما يلى :

بناء على أمر السيد رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم الوصول إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة ولوضع برنامج لأفضل الطرق التى يجب استعمالها فى قسمى مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين :

١ - غسل مخ الإخوان من أفكارهم .

٢ - منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم .

اجتمعت اللجنة المشكلة من :

١ - سيادة رئيس مجلس الوزراء .

٢ - السيد قائد المخابرات .

٣ - السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية .

٤ - السيد مدير المباحث العامة .

٥ - السيد - مدير مكتب السيد - المشير .

وذلك فى مبنى المخابرات العامة بكوبرى القبة . وعقدت اجتماعات متتالية . وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والإحصائيات السابقة أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة فى الآتى :

١ - تبين أن تدريس التاريخ الإسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويسهل تتابع ظهور معتنقى الأفكار الإخوانية .

٢ - صعوبة واستحالة التمييز بين أصحاب الميول والنزعات الدينية وبين معتنقى الأفكار الإخوانية وسهولة فجائية تحول الفئة الأولى إلى الثانية بتطرف أكبر .

٣ - غالبية أفراد الإخوان عاش على وهم الطهارة ولم يمارس الحياة الاجتماعية الحديثة ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية (خام) .

٤ - غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد أدى ذلك إلى اضطراد دائم وملموس فى تفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون فيها وفى مستواهم العلمى والفكرى والاجتماعى بالنسبة لأندادهم رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشئومة .

٥ - هناك انعكاسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل فى المحيط الذى يقتنع به .

٦ - تداخلهم فى بعض ودوام اتصالهم الفردى ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدى إلى ثقة كل منهم فى الآخر ثقة كبيرة .

٧ - هناك توافق روحى وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بينهم فى كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم .

٨ - رغم كل المحاولات التى بذلت منذ سنة ١٩٣٦ لأفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية إلا أن احتكاكهم الفردى بالشعب يؤدى إلى محو هذه الفكرة عنهم رغم أنها بقيت بالنسبة لبعض زعمائهم .

٩ - تزعمهم حروب العصابات فى فلسطين سنة ١٩٤٨ والقنال ١٩٥١ رسب فى أفكار الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية وليست

دعائية فقط بجوار أن الأطماع الإسرائيلية والاستعمارية والشيوعية فى المنطقة لا تخفى أغراضها فى القضاء عليهم .

١٠ – نفورهم من كل من يعادى فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأى سياسة خارجية سواء غربية أو شيوعية أو استعمارية وهذا يوحى لمن ينظر لماضيهم بأنهم ليسوا عملاء وبناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد فى المكافحة يجب أن يشمل أساسا بندين متداخلين وهما :

(١) محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامى .

(٢) إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا والموجود من معتنقى الفكرة .

ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الذى يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين فى الآتى :

أولا : سياسة وقائية عامة :

١ – تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامى والدين فى المدارس ، وربطهما بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية مع إبراز مفاسد الخلافة وخاصة زمن العثمانيين وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة .

٢ – التحرى الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان فى كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها .

٣ – يحرم بتاتا قبول ذوى الإخوان وأقربائهم حتى الدرجة الثالثة من القرابة من الانخراط فى السلك العسكرى أو البوليسى أو السياسى مع سرعة عزل الموجودين من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم إلى أماكن أخرى فى حالة ثبوت ولائهم .

٤ – مضاعفة الجهود المبذولة فى سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطهم ثم مواجهة الآخرين بها مع العمل على منع كل من

الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد شقة – انعدام الثقة – بينهم .

٥ – بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان وهم الذين يمثلون الاحتياطى لهم وجد أن هناك حتمية طبيعية عملية لالتقاء الصنفين فى المدى الطويل .. ووجد أن الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا .

ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة فى يوم ما على أيديهم ولصعوبة واستحالة التمييز بين الإخوان والمتدينين بوجه عام فلابد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلى معهم :

(أ) تضييق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عموما فى المجالات العلمية والعملية .

(ب) محاسبتهم بشدة وباستمرار على أى لقاء فردى أو زيارات أو اجتماعات تحدث بينهم .

(ج) عزل المتدينين عموما عن أى تنظيم أو اتحاد شعبى أو حكومى أو اجتماعى أو طلابى أو عمالى أو إعلامى .

(د) التوقف عن السياسة السابقة فى السماح لأى متدين بالسفر للخارج للدراسة أو العمل حيث فشلت هذه السياسة فى تطوير معتقداتهم وسلوكهم وعدد بسيط جدا منهم هو الذى تجاوب مع الحياة الأوربية فى البلاد التى سافروا إليها . أما غالبيتهم فإن من هبط منهم فى مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكارهم .

(و) التوقف عن سياسة استعمال المتدينين فى حرب الشيوعيين واستعمال الشيوعيين فى حربهم بغرض القضاء على الفئتين حيث ثبت تفوق المتدينين فى هذا المجال ولذلك يجب أن تعطى الفرصة للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم مع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية .

٦ - تشويش الفكرة الموجودة عن الإخوان فى حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الانجليز بالهضيبى وقيادة الإخوان حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للاستعمار فى ذهن الجميع .

٧ - الاستمرار فى سياسة محاولة الإيقاع بين الإخوان المقيمين فى الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة وخاصة فى الدول الرجعية الإسلامية المرتبطة بالغرب وذلك بأن يروج عنهم فى تلك الدول أنهم عناصر مخربة ومعادية لهم وبأنهم يضرون بمصالحها وبهذا تسهل محاصرتهم فى الخارج أيضا .

ثانيا : سياسة استئصال (السرطان) الموجود الآن :

بالنسبة للإخوان الذين اعتقلوا أو سجنوا فى أى عهد من العهود يعتبرون جميعا قد تمكنت منهم الفكرة كما يتمكن السرطان من الجسم ولا يرجى شفاؤه ولذا تجرى عملية استئصالهم كالآتى :

المرحلة الأولى : إدخالهم فى سلسلة متصلة متداخلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ويتبع ذلك اعتقالهم . وأثناء الاعتقال يستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردى ودورى حتى يصيب الدور الجميع ثم يعاد وهكذا وفى نفس الوقت لا يتوقف التكدير على المستوى الجماعى بل يكون ملازما للتأديب الفردى .

وهذه المرحلة إن نفذت بدقة ستؤدى إلى ما يأتى :

بالنسبة للمعتقلين : اهتزاز المثل والأفكار فى عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والأمراض فيهم .

بالنسبة لنسائهم : سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات فسوف يتحررن ويتمردن بغياب عائلهن وحاجتهن المادية قد تؤدى إلى انزلاقهن .

بالنسبة للأولاد : تضطر العائلات لغياب العائل وحاجتهم المادية إلى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن فى نفوسهم حقد أو ثأر أو آثار من أفكار أبائهم .

المرحلة الثالثة : إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية ومن تظهر عليه الصلابة سواء ، داخل السجون والمعتقلات أو بالمحاكمات ثم الإفراج عن الباقى على دفعات مع عمل الدعاية اللازمة لانتشار أنباء العفو عنهم حتى يكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد فى حالة الرغبة فى العودة إلى اعتقالهم حيث يتهمون بأى تدبير ويوصفون حين ذلك بالجحود المتكرر لفضل العفو عنهم .

وهذه المرحلة إن أحسن تنفيذها باشتراكها مع المرحلة السابقة ستكون النتائج كما يلى :

١ - يخرج المعفو عنه إلى الحياة فإن كان طالبا فقد تأخر عن أقرانه ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه .

٢ - إن كان موظفا أو عاملا فقد تقدم زملاؤه وترقوا وهو قابع مكانه ويمكن أيضا أن يحرم من العودة إلى وظيفته أو عمله .

٣ - إن كان تاجرا فقد أفلست تجارته ويمكن أن يحرم من مزاولة تجارته .

٤ - إن كان مزارعا فلن يجد أرضا يزرعها حيث وضعت تحت الحراسة أو صدر بها قرار استيلاء .

وسوف تشترك جميع الفئات المعفو عنها فى الآتى :

١ - الضعف الجسمانى والصحى والسعى المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة .

٢ - الشعور العميق بالنكبات التى جرتها عليهم دعوة الإخوان وكراهية الفكرة والنقمة عليها .

٣ - عدم ثقة كل منهم فى الآخر وهى نقطة لها أهميتها فى انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم .

٤ - خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعى إلى مستوى أقل نتيجة لعوامل الإفقار التى أحيطت بهم .

٥ – تمرد نسائهم وثورتهن على تقاليدهم وفى هذا إذلال فكرى ومعنوى لكون النساء فى بيوتهن سلوكهن يخالف أفكارهم ، وتبعا للضعف الجسمانى والمادى لا يمكنهم الاعتراض .

٦ – كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم .

النتائج الجانبية لهذه السياسة هى :

١ – الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم حيث عقب التنفيذ سيشعر كل منهم أنه فى حاجة إلى هذا الحكم ليحميه من أى عمل انتقامى قد يقوم به الإخوان كثأر .

٢ – إثارة الرعب فى نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم .

٣ – وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة وأن المعارضين لن يتستروا وسيكون مصيرهم أسوأ مصير .

٤ – محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامى .

انتهى ويعرض على السيد جمال عبد الناصر(*).

إمضاء ــ السيد رئيس مجلس الوزراء

إمضاء ــ السيد قائد المخابرات .

إمضاء ــ السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية .

إمضاء ــ السيد مدير المباحث العامة .

إمضاء ــ السيد شمس بدران .

---

* وقد تابع الدكتور عبد الله رشوان التحقيق فى صحة هذه الوثيقة بالاتصال شخصيا بأصحاب هذا الاجتماع المشار إليه ، وأخذ منهم اعترافا بصحة مدارستهم تلك ، ثم وضعهم هذه الوثيقة ، ثم عرضوها على رئيس الجمهورية ، فأقرها ، وكلف وزير داخليته فى ذلك الوقت – زكريا محى الدين – بتنفيذها ، ومتابعتها !!!!!

انظر دفاع عبد الله رشوان ، عن شكرى مصطفى ، فى قضية قتل الدكتور الذهبى .

ملحق رقم (٢)

وهو التقرير المرفوع إلى حاكم مصر والمنقول نصا عن مجلة الأمان اللبنانية العدد ١٣ وتاريخ ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ وننقله نصا هنا لتحذره الدعوة الإسلامية وتحتاط من مكائده وهو كما يلى :

تقريـر مرفـوع للســادات

لمكافحـة التيار الدينى فى مصـــر

مكتب الرئيس

الأمن القومى

السيد رئيس الجمهورية ..

بالإشارة إلى تعليمات سيادتكم بخصوص تكوين « لجنة مكافحة التطرف الإسلامى » لدراسة ومتابعة موضوع تحركات المنظمات والجمعيات والاتحادات الإسلامية وتقديم اقتراحات لمكافحة تسييس الدين ، أو تديين السياسة نرفع لسيادتكم التقرير النهائى المرفق ونرجو أن يحظى برضاء سيادتكم وموافقتكم على الإجراءات المقترحة حتى نبدأ فى تنفيذها .

وقد عرض التقرير النهائى حسب تعليمات سيادتكم على مساعد الرئيس بيجن وعلى خبير الشؤون الإسلامية بالسفارة الأمريكية ، وقد اقترحا التعديلات المبينة بالتقرير .

وتجدوننا يا سيادة الرئيس رهن إشارتكم لحماية البلاد ومكاسب السلام الذى حققتموه لنا بعد طول انتظار .

وتفضلوا سيادتكم بقبول أسمى آيات الولاء والإخلاص .

التوقيع

حسن التهامى

موضـــوع التقريـــر
مكافحـــة تسييـــس الديـــن
أو تديين السياســـة

مقدمة :

حسب تعليمات سيادتكم ، ضمت أقسام مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة فى مباحث أمن الدولة والمخابرات الحربية والمخابرات العامة « الأمن القومى » وكونت لجنة واحدة جديدة مختصة بهذا الموضوع مع توسعة صلاحياتها ومسؤولياتها ، وسميت اللجنة على حسب التعليمات « لجنة مكافحة تسييس الدين أو تديين السياسة » .

أعضاء اللجنة :

السيد حسن التهامى رئيسا .

السيد فكرى مكرم عبيد – نائبا للرئيس .

السيد وزير الداخلية .

السيد رئيس المخابرات العامة والأمن القومى .

السيد رئيس مباحث أمن الدولة .

السيد رئيس المخابرات الحربية .

– شخصيات استعانت اللجنة بآرائهم وخبراتهم :

١ – السيد خبير المتابعة بالمباحث (كانت مهمته فى السابق تجميع وتحليل الأخبار والآراء فى أوساط الإخوان المسلمين بالمدارس والجامعات وفى السجون والمعتقلات) .

٢ – السيد نائب غبطة البابا المسؤول عن التنسيق مع الجمعيات الإسلامية .

٣ – خبير الشؤون الإسلامية بالسفارة الأمريكية وهو المندوب المقيم فى مصر للهيئة المسماة لجنة مكافحة التطرف الإسلامى التابعة لوكالة الأمن القومى الأميركية .

٤ – مساعد الرئيس بيجن للشؤون الإسلامية .

حساسيات :

تسجل اللجنة الصعوبات التى قابلتها من تحرج وحساسيات بعض الشخصيات التى طلبتم منا الاستعانة بها ومشاركتها مثل نائب غبطة البابا والخبير الأمريكى ومساعد الرئيس بيجن ، حيث أنه رغم توضيحاتنا لهم أن اللجنة هيئة علمية وموضوعية بحتة ، تبحث الموضوع من الناحية العلمية ، ولا دخل لها بحساسيات دينية أو محلية ، وأننا بحاجة إلى خبرتهم فى هذا الموضوع للوصول إلى الهدف فى أقصر مدة ممكنة إلا أنهم أصروا ألا تذكر آراؤهم أو أسماؤهم فى التقارير لتأكدهم من انتشار المتعاطفين مع المتطرفين الدينيين فى الإدارة الذين نقترح تصفيتهم لأنه عن طريقهم تتسرب المعلومات .

تعميق مراجع الموضوع تاريخيا :

١ – تقرير الإدارة البريطانية السابقة فى العهد الملكى البائد .

٢ – تقارير البوليس السياسى فى عهد الرئيس النقراشى والرئيس عبد الهادى .

٣ – تقارير الحكومة الوفدية .

٤ – تقارير المباحث العامة حتى سنة ١٩٥٧ .

٥ – تقارير السفارة الروسية من سنة ١٩٥٧ إلى ١٩٧٠ م .

٦ – تقرير اللجنة المؤلفة برئاسة رئيس الوزراء سنة ١٩٦٥ .

حقيقة هامة :

التقرير الأخير رقم ٦ وهو تقرير سنة ١٩٦٥ بخصوص جماعة الإخوان المسلمين المنحلة اعتبر المحور الأصلى الذى دارت حوله المقترحات حسب الظروف الحاضرة حيث وجد أن التوقف عن متابعة تنفيذ هذا التقرير هو الذى أدى إلى استفحال المشكلة التى نحن بصدد علاجها الآن .

التقرير :

بعد دراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم الوصول إليها بخصوص مكافحة الإخوان المسلمين فى السابق ومتابعة الجمعيات الدينية مثل : أنصار السنة ، عباد الرحمن ، التبليغ ، شباب محمد ، الجمعية الشرعية ، حزب التحرير والجمعيات الإسلامية بالكليات الجامعية والمعاهد والمدارس وأئمة المساجد المشهورين من ذوى الشعبية الملموسة ، وجد أن كل التركيز يجب أن يكون على مكافحة الإخوان المسلمين حيث أنهم تحولوا من جماعة دينية إلى مدرسة فكرية أممية تتحرك بلا مركزية ، وتضحى ببعض العناصر المكشوفة للظهور العلنى ، وتترك باقى الأفراد مهمتهم كلهم التحرك السرى لنشر الأفكار وتوسعة رقعة الأتباع فى المحيط المحلى والدولى . وقد رأت اللجنة أنه ليس من المستبعد أن أفكارهم وخططهم هى التى طبقت فى الثورة الدينية فى إيران بواسطة الخمينى حيث أثبتت التحقيقات أن خطة الهضيبى سنة ١٩٥٤ فى محاولة القيام بثورة دينية أجهضتها السلطات المصرية هى فى غالبيتها نفس الخطة التى طبقها أعوان الخمينى ، وهى بث الفتنة والتحريض الشعبى فى مظاهرات دائمة تغذيها أبواق من خطباء أئمة المساجد ورجال الدين وتحرسها فئات مسلحة ومدربة .

وذلك سوف يثير البلبلة والتردد فى صفوف رجال الشرطة والجيش والإعلام والسياسة الذين ستنتابهم حتمية إعادة النظر فى المستقبل ، هل سيكون للحكومة التى سيطيعونها ، أم لمدبرى الثورة التى ستحاكمهم وتنتقم منهم على مقاومتها إن نجحت .

بناء عليه ، تحددت أهداف العمل المقترح فى الآتى :

١ - رصد أفراد جماعة الإخوان وأتباعهم .

٢ - غسل مخهم من أفكارهم .

٣ - منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم .

ملخص المعلومات المتجمعة التى حددت الخطة لبلوغ الأهداف :

١ - تبين أن تدريس التاريخ الإسلامى للنشء فى المدارس بحالته الموجودة والتى تم تطويرها فى الخمسة عشر سنة الماضية ما زال يربط الدين بالسياسة فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ، مما يؤدى إلى ظهور معتنقى الأفكار الإسلامية .

٢ - صعوبة بل استحالة التمييز بين أصحاب الميول والنزعات الدينية وخاصة فى الأوساط المثقفة وبين معتنقى الأفكار الإخوانية - حيث بسهولة فجائية تتحول الفئة الأولى إلى الثانية بتطرف أكبر .

٣ - غالبية أفراد الإخوان ، يعيشون على وهم الطهارة ولم يمارسوا الحياة الاجتماعية الحديثة ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية خام .

٤ - غالبيتهم ذوو طاقة فكرية ، وقوة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد أدى ذلك إلى اضطراد دائم ملموس فى تفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون بها ، وفى مستواهم الفكرى والاجتماعى والعلمى رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص فى دعوتهم الخطيرة .

٥ - هناك انعكاسات ايجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم لعملهم فى المحيط الذى يقتنع به .

٦ - تداخلهم فى بعض ، ودوام اتصالاتهم الفردية ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدى إلى ثقة كل منهم بالآخر ثقة كبيرة ، ورغم أن جهدا كبيرا قد بذل لهز هذه الثقة خلال سنوات سجنهم بتحريض بعضهم على

بعض ، وإغراء البعض الآخر ولكن النتائج المتحصلة ذابت مع مرور السنين فى لقاءاتهم فى الحرية مرة أخرى .

٧ — هناك توافق روحى وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بين كل منهم ، وحتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم .

٨ — رغم كل المحاولات التى بذلت منذ سنة ١٩٣٦ لإفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية إلا أن احتكاكهم الفردى بالشعب يؤدى إلى محو هذه الفكرة عنهم فى بعض الأوقات ، وفى أوقات أخرى يؤدى لدى آخرين بالاقتناع بحتمية ربط الدين بالسياسة .

٩ — مشاركتهم فى حروب العصابات فى فلسطين عام ١٩٤٨ والقنال سنة ١٩٥١ قد رتب أفكار الناس على أنهم أصحاب بطولات وطنية عالية وليست دعائية فقط ، وأن الاهتمامات الإسرائيلية والعربية والشيوعية فى المنطقة لا تخفى أغراضها فى القضاء عليهم .

١٠ — نفورهم من كل ما يناوىء فكرتهم ، جعلهم لا يرتبطون بأية سياسة خارجية سواء عربية أو شيوعية أو غربية وهذا يوحى باستقلالية أفكارهم .

* * *

بناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد للمكافحة يجب أن يشمل بندين متداخلين هما :

١ — التركيز المستمر لمحو فكرة ارتباط السياسة بالدين .

٢ — إبادة تدريجية مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا من معتنقى هذه الأفكار . ويمكن تلخيص الأسلوب الذى يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين فى الآتى :

أولا : سياسة وقائية عامة .

١ - إعادة النظر فى مناهج تدريس التاريخ الإسلامى والدين عامة فى المدارس والعمل على تغيير هذه المناهج لربط الدين بالأوضاع الاجتماعية والخلقية وليس مع السياسة ، مع إبراز مفاسد الخلافة وخاصة زمن العثمانيين ، وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة .

٢ - التحرى الدقيق عن الآباء الروحيين المعاصرين للأفكار وتشويه سمعتهم .

٣ - تحريك قضايا التطرف الدينى من وقت لآخر ، وتسليط الأضواء عليها إعلاميا مع تشجيع غلاة المتطرفين بعد القبض عليهم وتصعيد الغرور فيهم حتى تكون تصريحاتهم المغرورة المتزمتة مادة لأجهزة الإعلام لإثارة الجمهور عليهم بدلا من التعاطف معهم ، ثم ربط هذه القضايا بالعمالة لبعض دول الرفض المتطرفة مثل ليبيا والعراق .

٤ - تحريض بعض زعمائهم من الشباب فى الجامعة بطرق غير مباشرة وتيسير حصولهم على الأسلحة والمفرقعات المحدودة لتصفية بعض العناصر غير المرغوب فيها على غرار قضية الشيخ الذهبى ثم التخلص منهم بأحكام قاسية تكون عبرة لغيرهم ، مع العمل على تصعيد استعمال تعبير (جماعة التكفير) .

٥ - التركيز على العناصر النسائية بالجامعة وبالوظائف العامة لمحاربة أفكار الجماعات الإسلامية وأعضاء الاتحاد حيث أن علاقة الطالبات بالطلبة بالجامعة والمعاهد لها دافع عاطفى ، ومن الواضح أن العناصر النسائية تخشى الكثير من تطبيق القيود الدينية فى تحركهم وملابسهم وحريتهم ، وقد أفلحت هذه الطريقة فى تشويه وجه الثورة فى إيران بمظاهرات النساء المتحررات .

٦ - يحرم بتاتا قبول ذوى اللحى وذوى التاريخ الحركى الإسلامى سواء فى المدارس أو الجامعات أو أقاربهم حتى الدرجة الثالثة من الانخراط فى السلك العسكرى أو البوليسى أو المراكز السياسية والإعلامية مع عزل الموجودين من هؤلاء فى مثل هذه الوظائف أو نقلهم إلى أماكن أخرى فى حالة ثبوت ولائهم .

٧ – مضاعفة الجهود المبذولة فى سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة بكتابة تقرير بخطهم عن زملائهم ، ثم مواجهة هؤلاء الزملاء بهذه التقارير مع الحرص الشديد على منع كل من الأطراف من لقاء الآخر .

٨ – توحيد معاملة جميع ذوى الميول الحركية الدينية بمعاملة الإخوان المسلمين قبل أن نفاجأ كالعادة باتحادهم معا علينا .

٩ – إغلاق فرص الظهور والعمل أمام ذوى الأفكار الرجعية أو المظهر الرجعى فى المجالات العلمية والعملية .

١٠ – عدم قبول ذوى الميول الحركية الدينية أو ذوى الأفكار الرجعية بوظائف التدريس بالجامعات أو المدارس أو الإعلام .

١١ – التوقف عن محاولة سياسة استعمال المتدينين فى محاربة الشيوعية والاستمرار فى محاولة استعمال الشيوعيين فى محاربة المتطرفين دينيا .

١٢ – تشويش الفكرة الرائجة عن نشاط الإخوان المسلمين فى حروب فلسطين والقناة وتعميم نشرات دعائية تدينهم بالاتصال بالانجليز .

١٣ – الاستمرار فى سياسة محاولة الإيقاع بين الإخوان المسلمين فى الخارج وبين حكومة السعودية وحكومات الخليج واستعمال إمكانيات الإدارة الأمريكية فى ذلك حتى تسهل محاصرتهم .

١٤ – التركيز على مقارنة النظرية الاجتماعية الإسلامية من حيث التشابه وأن النظم الشيوعية بدأت تتراجع عن نظريتها بعد ثبوت عدم ملاءمتها للعصر .

١٥ – الاهتمام بالاستمرار والاسراع فى سياسة تطوير الأزهر إلى جامعة كلاسيكية حتى يتوقف سيل الخريجين من محترفى الدين ، وحتى يمكن تطوير سلوك وأفكار الأئمة والمدرسين ورجال الدين وإعادة النظر فى التكوين الفكرى المرتبط بالنظريات الإسلامية القديمة وتسليط الدعاية والإعلام على مجددى ومطورى الدين مثل طه حسين وخلافه .

١٦ - توجيه رئاسة مجلس الشعب للتعاطف مع الأفكار الإسلامية من ناحية القوانين الخلقية والجنائية علنا مع إعطاء التعليمات للجان لقتل أى مشروع يحال إليهم بهذا الخصوص أو تنويمه .

ثانيا : سياسة مجابهة الجبهات الموجودة الآن :

١ - الرؤوس الأيديولوجية .

٢ - وسائلهم الظاهرة فى الإعلام .

٣ - رؤوس جديدة .

(أولا) : الرؤوس الأيديولوجية الموجودة وعلى رأسها المرشد العام للإخوان المسلمين تستعمل معهم السياسة (خذه معك فى رحلة مقنعة حتى يجهد ثم دعه يعود وحيدا) حيث يطلب بالمنطق تارة ، وبالرجاء أخرى ، وبالمصلحة العامة ثالثا ، وهكذا لتهدئة مريديه من وقت لآخر ، حتى تكشف كل العناصر الجديدة ، ثم يوقع بينه وبينها . وبما أن سنه تجاوز ال ٧٥ وصحته ضعيفة حيث قضى ٢٠ سنة فى جميع سجون مصر فإن طاقته محدودة وإضاعتها وإضاعة وقته فى اللقاءات المستمرة مع المسؤولين والمناقشات والندوات وخلافه كلها أمور كافية لاستهلاكه واستنفاذ طاقته المحدودة . ويجب تجنب القبض عليه لأى سبب ، حتى لا توصف العملية بأنها بداية فتح المعتقلات .

■ أساتذة الجامعة المتدينين وأعضاء الاتحادات فى المعاهد والجامعات : يجب الإسراع فى إنهاء العام الدراسى ، بتبكير مواعيد الامتحانات حتى يمكن استبعاد الأسباب القانونية لاجتماعاتهم فى حرم الجامعة أو فى المدارس ، وتسحب منهم إمكانيات تحريض غيرهم على المظاهرات والإضرابات ، وحتى تعطى فرصة العطلة الصيفية لاستكمال المعلومات عنهم ومحاولة إيجاد صلات بهم يستفاد بها فى العام الجديد .

(ثانيا) : وسائلهم العلنية فى الإعلام أهمها مجلتا « الدعوة » و« الاعتصام » ما زالتا تطبعان فى مطابع أخبار اليوم ، ويجب أن تظل مراقبة

مسوداتها للطبع مستمرة ، وفى نفس الوقت يحال بينهم وبين رخص المطابع حتى يظلوا تحت الرقابة السهلة .

(ثالثا) : رؤوس جديدة بدأت تظهر فى الجامعة تستعمل معها وسائل إغراء بتعريضهم للحياة العصرية هم وذويهم بحفلات ودعوات ويوعدوا بوظائف راقية أو صفقات أو مشاركات ... إلخ ، فمن تجاوب منهم يستفاد منه ، ويضم لحزب الحكومة ، ومن لم يتجاوب تعرقل وظائفهم وترقيتهم أو توصى بهم لجنة الضرائب والمباحث الجنائية أو تؤخر تسهيلاته الزراعية كل حسب مهنته .

توصية احتياطية :

تكلف لجنة جانبية بتخطيط عمليات يلجأ إليها وقت اللزوم ، إما محاولة انقلابات تنسب لهم أو محاولة اغتيال وتخريب أو محاولة تعاون مع دول الرفض صد الحكم ورغم هذا يجب بذل كل الجهود اللازمة لعدم استعمال الأساليب العنيفة أو الاعتقال أو السجن بقدر الإمكان حتى تظل الحكومة قادرة على التحدث أمام الرأى العام المحلى عن الديمقراطية والحريات المتوفرة ، وحتى يمكن الاستمرار فى اكتساب ثقة الغرب فى ثبات نظام الحكم .

انتهى التقرير

توقيعـــات

*** * مرفقات :**

١ - اقتراحات مساعد الرئيس بيغن .

٢ - اقتراحات ممثل لجنة مكافحة التطرف الإسلامى وهو خبير الشؤون الإسلامية بالسفارة الأمريكية فى القاهرة .

أولا : اقتراحات مساعد الرئيس بيغن :

تركزت اقتراحاته على تجربة الشاه فى استخدام البهائيين واليهود فى المراكز الحساسة .

وهؤلاء حافظوا على أسراره وأسرار الدولة حتى لحظة خروجه ، وأيضا شبهوه باستعمال الحلفاء لليهود الذين لم يمكن الشك مرة فى تحالفهم مع هتلر وحافظوا على أسرار الحلفاء حتى النصر .

لذلك اقترح :

١ - الاستعانة بالعناصر القبطية فى الأماكن الحساسة التى يمكن تسرب المعلومات منها أو التعاطف الدينى على ألا يكون العنصر القبطى هو الظاهر ، بل يكون له مساعد تنفيذى مسلم .

٢ - تدريب شباب الأقباط على مكافحة الشغب وتسليحهم لأنه فى حالة أى انفجار غير متوقع من المتطرفين فإن ميلشيا قبطية شعبية يجب أن تساعد قوات الحكومة النظامية التى قد يصيبها أو يؤثر فيها دعاية أجنبية على أنها تحارب إخوتها فى العقيدة .

٣ - إمداد جهاز غبطة البابا بمطبعة مناسبة وبوسائل اتصال حديثة توصله رأسا برئيس جهاز الأمن القومى ورئيس اللجنة كما فعل هذا من قبل مع رئاسة الجمهورية .

٤ - وضع طائرة هليكوبتر تحت أمر غبطة البابا .

٥ - الاستعانة بأعضاء نوادى الروتارى والليونز وإعطائهم مزيدا من التسهيلات والرعاية حيث أهم مبادئهم (الدين لله والوطن للجميع) .

٦ - لم يوافق بتاتا على الخطة الاحتياطية وقال أنه يجب الاستمرار فى سياسة إبطال مفعول الفتيل وتجنب المواجهة العنيفة بقدر الإمكان حتى لا يوصف العهد بأنه عهد دكتاتورى .

ثانيا : اقتراحات خبير الشؤون الإسلامية بالسفارة الأميريكية :

١ - وافق على مقترحات مساعد الرئيس بيغن فيما عدا البند الأخير حيث قال أنه يفضل أن تسير الخطوط كلها متوازنة وسياسة حكومته هى بتر التطرف من أوله بدلا من مواجهته عند استفحاله .

٢ – أضاف رأيه بعدم الاستهانة برئيس الإخوان لمجرد أنه تجاوز ال ٧٥ ، وذكرنا بأن الخمينى أكبر منه سنا (٨٥ سنة) .

ملحق رقم (٣)

وهو التقرير المقدم من أحد كبار العاملين فى الجاسوسية الأمريكية فى الشرق الأوسط إلى المخابرات الأمريكية والذى ينصح فيه بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية فى الأمة الإسلامية والذى نشرته عدد من الصحف منها المجتمع الكويتية فى عددها ٤٢٨ المؤرخ ١٧ صفر ١٣٩٩ هـ وننقله هنا نصا أيضا لأخذ الحيطة منه وإحباط مكائده . وهو كما يلى :

سرى للغاية

من ريتشارد ب ميتشيل

إلى رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية .

بناء على ما أشرت إليه من تجمع المعلومات لديكم من عملائنا ومن تقارير المخابرات الإسرائيلية والمصرية التى تفيد أن القوى الحقيقية التى يمكن أن تقف فى وجه اتفاقية السلام المزمع عقدها بين مصر وإسرائيل هى التجمعات الإسلامية وفى مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين بصورها المختلفة فى الدول العربية وامتداداتها فى أوربا وفى أمريكا الشمالية .

وبناء على نصح مخابرات إسرائيل من ضرورة ضربة قوية لهذه الجماعة فى مصر قبل توقيع الاتفاق ضمانا لتوقيعه ثم لاستمراره وفى ضوء التنفيذ الجزئى لهذه النصيحة من قبل حكومة السيد ممدوح سالم باكتفائها بضرب جماعة التكفير والهجرة .

ونظرا لما لمسناه من أن وسائل القمع والإرهاب التى اتبعت فى عهد الرئيس ناصر قد أدت إلى تعاطف جماهير المسلمين وإقبال الشباب عليها مما أدى إلى نتائج عكسية .

فإننا نقترح الوسائل الآتية كحلول بديلة :

أولا : الاكتفاء بالقمع الجزئى دون القمع الشامل والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية التى لا تصلح معها الوسائل الأخرى المبينة فيما بعد ونفضل التخلص من هذه الشخصيات بطرق تبدو طبيعية .

ولا بأس من الإسراع بالتخلص من بعض الشخصيات الإسلامية الموجودة بالمملكة العربية السعودية نظرا لأن التخلص من أمثال هؤلاء يحقق المراد من القمع الجزئى ويعمل على تدهور الثقة بين الإخوان وبين الحكومة السعودية مما يحقق أهدافنا فى هذه الفترة .

ثانيا : بالنسبة للشخصيات القيادية التى تقرر التخلص منها فننصح اتباع ما يلى :

(أ) تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا ، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التى تستنفد جهدهم وذلك مع الإغداق عليهم أدبيا وماديا وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم ، وبذلك يتم استهلاكهم محليا وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية .

(ب) العمل على جذب ذوى الميول التجارية والاقتصادية إلى المساهمة فى المشروعات المصرية الإسرائيلية المشتركة المزمع إقامتها بمصر بعد الصلح .

(ج) العمل على إيجاد فرص عمل وعقود مجزية فى البلاد العربية البترولية الأمر الذى يؤدى إلى بعدهم عن النشاط الإسلامى .

(د) بالنسبة للعناصر الفعالة فى أوربا وأمريكا نقترح ما يلى :

١ – تفريغ طاقاتهم فى بذل الجهود مع غير المسلمين ثم إفسادها بواسطة مؤسساتنا .

٢ – استنفاذ جهدهم فى طبع وإصدار الكتب الإسلامية مع إحباط نتائجها .

٣ - بث بذور الشك والشقاق بين قيادتهم لينشغلوا بها عن النشاط المثمر .

ثالثا : بالنسبة للشباب نركز على ما يلى :

(أ) محاولة تفريغ طاقاتهم المتقدة فى الطقوس التعبدية التى تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة .

(ب) تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها فى أذهانهم .

(ج) تشجيع الهجوم على السنة المحمدية والتشكيك فيها وفى المصادر الإسلامية الأخرى .

(د) تفتيت التجمعات والجماعات الإسلامية المختلفة وبث التنازع داخلها وفيما بينها .

(هـ) مواجهة موجة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية خاصة التزام الفتيات بالزى الإسلامى عن طريق النشاط الإعلامى والثقافى المتجاوب .

(و) استمرار المؤسسات التعليمية فى مختلف مراحلها فى حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها والتقليل من نشاطها .

هذا ما نراه من مقترحات حلا لمشكلة التجمعات الإسلامية فى هذه الفترة الدقيقة ، وفى حالة اقتناعكم بها نرجو توجيه النصح للجهات المعنية للمبادرة بتنفيذها مع استعدادنا هنا للقيام بالدور اللازم فى التنفيذ .

توقيـع

(ريتشارد ب ميتشيل)

الفهـــــارس

فهــرس
الآيات القرآنية المستشهد بها فى البحث

مسلسل	الآيـــــة	رقم الآية	السورة	صفحة البحث
١١	أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون	٥٠	المائدة	١٢ ، ١٥
١٢	أفرأيتم اللات والعزى	١٩	النجم	٤٩
١٣	ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم	٢٤٦، ٢٤٦	البقرة	٢١٩
١٤	ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها	٩٧	النساء	٢٠٥
١٥	ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت	٦٠	النساء	١٤
١٦	ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين	٦٢	الأنعام	١٢
١٧	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم	٢١٤	البقرة	٢١٤
١٨	أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم	١٦	التوبة	٢١٤
١٩	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين	١٤٢	آل عمران	٢١٤
٢٠	أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم	٤٠	يوسف	١٢
٢١	إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً	٥	المزمل	١٥٣،١٤٧
٢٢	إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين	٣٣	آل عمران	١١٦
٢٣	إن الدين عند الله الإسلام	١٩	آل عمران	٤٧
٢٤	إن الحكم إلا لله عليه توكلت	٦٧	يوسف	١٢

مسلسل	الآيـة	رقم الآيـة	السـورة	صفحة البحث
٢٥	إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم	٢٥، ٢٦	محمد	١٣٨،١٥
٢٦	أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت	٣٦	النحل	١٢٢
٢٧	إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس	١٥٩	البقرة	١٩٣
٢٨	إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها	٧	الكهف	٢٢١،٢١٧
٢٩	إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين	٧	القصص	١١٥
٣٠	إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه	٢	الإنسان	٢٢١
٣١	إنما المؤمنون إخوة	١٠	الحجرات	٥٦
٣٢	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٩	الحجر	٢٥٤،٥٠
٣٣	إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها	١٠	القصص	١١٥
٣٤	وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون	٥٢	المؤمنون	٤٥
٣٥	إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون	٩٢	الأنبياء	٤٥
٣٦	إنى آمنت بربكم فاسمعون	٢٥	يس	٢٢٠
٣٧	إنى جاعلك للناس إماماً	١٢٤	البقرة	٩٩
٣٨	إنى جاعل فى الأرض خليفة	٣٠	البقرة	١٢
٣٩	إنى ذاهب إلى ربى سيهدين	٩٩	الصافات	١٥٠
٤٠	اهدنا الصراط المستقيم	٦	الفاتحة	٥٤

مسلسل	الآيـــة	رقم الآية	السـورة	صفحة البحث
	« الجيـم »			
٤١	جعلكم خلفاء من بعد عاد	٧٤	الأعراف	١٣
٤٢	جعلكم خلفاء من بعد نوح	٦٩	الأعراف	١٣
	« الحـاء »			
٤٣	حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر	١٥٢	آل عمران	٧٠
	« الخـاء »			
٤٤	خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات	١٦٥	الأنعام	١٢
	« الـذال »			
٤٥	ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده	١٢	غافر	١٢
٤٦	ذرنى ومن خلقت وحيداً	١١	المدثر	١٧٦، ١٨٠
٤٧	الذى خلق الموت والحياة	٢	الملك	٢١٨، ٢٢١
	« الـراء »			
٤٨	رب هب لى من الصالحين	١٠٠	الصافات	١٥٠
	« السين »			
٤٩	سنشد عضدك بأخيك	٣٥	القصص	١١٥
	« الظـاء »			
٥٠	ظهر الفساد فى البر والبحر	٤١	الروم	٢١٨
	« الفـاء »			
٥١	فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم	٧	القصص	١١٥
٥٢	فإذا وجبت جنوبها	٣٦	الحج	١٠٤
٥٣	فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين	٦٤	يوسف	١٩٩

مسلسل	الآيـــة	رقم الآية	السورة	صفحة البحث
٥٤	فإن تنازعتم فى شيء	٥٩	النساء	٣٨٧،٢٧٤
٥٥	فخذوهم واقتلوهم	٩١	النساء	١٧٨
٥٦	فإننى معكما أسمع وأرى	٤٦	طه	١١٥
٥٧	فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون	٩١	الصافات	١٥٠
٥٨	فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا	٦٤	الأنبياء	١٥٠
٥٩	فرددناه إلى أمه	١٣	القصص	١١٥
٦٠	فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا	٣٩،٣٦	الشورى	٣٤٣
٦١	فمن كفر فعليه كفره	٣٩	فاطر	١٣
٦٢	فقاتلوا أئمة الكفر	١٢	التوبة	٩٩
٦٣	فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا	٨٩	النساء	٢٠٥
٦٤	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك	٦٥	النساء	٥٥ ، ٢٧٣
٦٥	فلما رآه مستقراً عنده	٤٠	النمل	٢٢٢
	« القـــاف »			
٦٦	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم	١٤	التوبة	١٧٨
٦٧	قالت يا أيها الملأ أفتونى	٣٢، ٣٣	النمل	٦١
٦٨	قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم	٣٤،٣٧	الشعراء	٦١
٦٩	قال لو أن لى بكم قوة	٨٠	هود	١٥١
٧٠	قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتى	٩٤	طه	٢٨
٧١	قال يا ليت قومى يعلمون	٢٦،٢٧	يس	٢٢٦
٧٢	قل إن صلاتى ونسكى	١٦٢	الأنعام	٤٩،٥٥
٧٣	قل إنما أمرت أن أعبد الله	٣٦	الرعد	٤٩
٧٤	قل إننى هدانى ربى	١٦١	الأنعام	٥٠

مسلسل	الآيـــــة	رقم الآية	السورة	صفحة البحث
٧٥	قلنا اهبطوا منها جميعاً	٣٨	البقرة	١٣
٧٦	قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء	٦٤	آل عمران	١٥
٧٧	قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً	١٥٨	الأعراف	٤٦
	« الكـاف »			
٧٨	كان الناس أمة واحدة	٢١٣	البقرة	١٣
٧٩	كتب عليكم القتال وهو كره لكم	٢١٦	البقرة	١٨١
٨٠	كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة	٧٧	النساء	١٨٠،١٧٧
٨١	كل نفس ذائقة الموت	٣٥	الأنبياء	٢١٦
٨٢	كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠	آل عمران	٨٨ ، ١٢٣
	« اللام »			
٨٣	لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ	٨٧	مريم	٤٨
٨٤	لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة	٢١	الأحزاب	٥٤ ، ١٥٦
	« الميـم »			
٨٥	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم	٤٠	الأحزاب	٤٦
٨٦	ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض	٦٧	الأنفال	٧٤
٨٧	مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين	٦٩	النساء	٢٢٩
٨٨	من يطع الرسول فقد أطاع الله	٨٠	النساء	١٤
٨٩	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	٧١	التوبة	٥٦

مسلسل	الآيـــة	رقم الآية	السورة	صفحة البحث
	« الهاء »			
٩٠	هنالك ابتلى المؤمنون	١١	الأحزاب	٢٢٢
٩١	هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم	٢	الجمعة	١٧٠
٩٢	هو سماكم المسلمين	٧٨	الحج	٤٦
	« الواو »			
٩٣	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض	٧٣	الأنفال	٢٨٠
٩٤	والذين آمنوا ولم يهاجروا	٧٢	الأنفال	٢٠٥
٩٥	والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون	٣٩	الشورى	١٧٧
٩٦	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩	العنكبوت	١١٨
٩٧	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً	١٠٧	التوبة	٢٨
٩٨	والله يحكم لا معقب لحكمه	٤١	الرعد	١٢
٩٩	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	٧١	التوبة	٣٤٣
١٠٠	وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون	٣٢،٢٩	المطففين	٢٣٩
١٠١	واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق	٣٠،٢٧	المائدة	٢٢٤
١٠٢	واتل عليهم نبأ إبراهيم	٦٩	الشعراء	١٤٩
١٠٣	واجعلنا للمتقين إماماً	٧٤	الفرقان	٩٩
١٠٤	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب	١٨٧	آل عمران	١٩٢
١٠٥	وإذ أخذ الله ميثاق النبيين	٨١	آل عمران	٤٧
١٠٦	وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات	١٢٤	البقرة	٩٩

مسلسل	الآيــــة	رقم الآية	السورة	صفحة البحث
١٠٧	وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك	٣٠	الأنفال	٦٢، ٢٠٧، ٢٣١
١٠٨	والسماء ذات البروج	١ – ٨	البروج	٢٢٦
١٠٩	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	٢٨	الكهف	١٦٩
١١٠	واصبر على ما يقولون	١٠	المزمل	١٨٠، ٢٠١
١١١	واصطنعتك لنفسى	٤١	طه	١١٥
١١٢	وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	١٣٢	آل عمران	٢٩
١١٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً	١٠٣	آل عمران	٢٨، ٢٨٩، ٣٢٩
١١٤	وأمرهم شورى بينهم	٣٨	الشورى	٦٣، ٦٩
١١٥	وإن أطعتموهم إنكم لمشركون	١٢١	الأنعام	١٥
١١٦	وأن احكم بينهم بما أنزل الله	٤٩	المائدة	١٥، ٣١٢
١١٧	وأنذر عشيرتك الأقربين	٢١٤	الشعراء	٤٠٠
١١٨	وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى	٩٠	طه	٣٩٤
١١٩	وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به	٨٧	الأعراف	١٦٨
١٢٠	وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك	٧٣	الإسراء	٢٣٥
١٢١	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	٢٤	فاطر	٩٦
١٢٢	وإن من شيعته لإبراهيم	٨٣	الصافات	١٤٩
١٢٣	وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه	٧	القصص	١١٥
١٢٤	وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا	٨٧	يونس	٣٩٠

مسلسل	الآيــــة	رقم الآية	السورة	صفحة البحث
١٢٥	وتالله لأكيدن أصنامكم	٥٧	الأنبياء	١٥٠
١٢٦	وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار	٤١	القصص	٩٩
١٢٧	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث	١٣٦	الأنعام	٥٠
١٢٨	وحرمنا عليه المراضع	١٢	القصص	١١٥
١٢٩	ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً	١٠٩	البقرة	١٧٨
١٣٠	وذرنى والمكذبين أولى النعمة	١١	المزمل	١٧٦
١٣١	ورفع بعضكم فوق بعض درجات	١٦٥	الأنعام	٢٢٢
١٣٢	وعجبوا أن جاءهم منذر منهم	٤	ص	٢٣٠
١٣٣	وشاورهم فى الأمر	١٥٩	آل عمران	٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٥
١٣٤	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض	٥٥	النور	٤٢
١٣٥	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله	٣٩	الأنفال	١٢٦، ١٧٨
١٣٦	وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس	١٠٦	الإسراء	١٣٧
١٣٧	وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك	٩	القصص	١١٥
١٣٨	وقالت النصارى المسيح ابن الله	٣٠	التوبة	٤٨
١٣٩	وقالت اليهود عزير ابن الله	٣٠	التوبة	٤٨
١٤٠	وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه	١١٦	البقرة	٤٨
١٤١	وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً	٢٣	نوح	٤٨
١٤٢	وقل رب أدخلنى مدخل صدق	٨٠	الإسراء	١٨٥، ١٨٦

مسلسل	الآيـــة	رقم الآيـة	الســـورة	صفحة البحث
١٤٣	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	١٤٣	البقرة	٥١، ١٢٤
١٤٤	وكل شيء فصلناه تفصيلاً	١٢	الإسراء	٢٨٩، ٣٠٨
١٤٥	ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها	٥٦	الأعراف	٢١٨
١٤٦	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا	١٠٥	آل عمران	٢٨
١٤٧	ولا تكونوا من المشركين	٣١	الروم	٢٨
١٤٨	ولربك فاصبر	٧	المدثر	٢٠١
١٤٩	ولتصنع على عينى	٣٩	طه	١١٥، ٣٩٣
١٥٠	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً	٣٦	النحل	١٢٢، ١٦٤
١٥١	ولقد يسرنا القرآن للذكر	١٧	القمر	٢٦٨
١٥٢	ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه	١٥٢	آل عمران	٧٠
١٥٣	ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون	١٠٥	الأنبياء	٤٢
١٥٤	ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون	٢٣	القصص	٤١
١٥٥	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين	٣١	محمد	٢٢٢
١٥٦	ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع	١٥٥	البقرة	٢٢٢
١٥٧	ولله ملك السموات والأرض	٤٢	النور	٤٢
١٥٨	ولولا رهطك لرجمناك	٩١	هود	١٥١
١٥٩	ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر	٨٣	النساء	٨٢
١٦٠	ولولا أن ثبتناك لقد كدت	٧٤	الإسراء	١٣٨، ٣١٢
١٦١	ولو تقول علينا بعض الأقاويل	٤٤	الحاقة	٥١

مسلسل	الآيــة	رقم الآيـة	الســورة	صفحة البحث
١٦٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه	٢٥	الأنبياء	١٦٤
١٦٣	وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله	١٦٦	آل عمران	٣٩٥،٧٠
١٦٤	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٥٦	الذاريات	١٠٥،٥٣ ١٢٢
١٦٥	ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق	١٥٩	الأعراف	٤١
١٦٦	وما ينطق عن الهوى	٤،٣	النجم	٥١
١٦٧	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	٨٥	آل عمران	٤٧
١٦٨	ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	٨٩	النحل	٣٠٨،٢٨٩ ٣٨٨
١٦٩	ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض	٥	القصص	١١٤،٩٩ ٣٩٣
١٧٠	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	٤٤	المائدة	٢٨٠،١٤
١٧١	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون	٤٥	المائدة	١٤
١٧٢	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون	٤٧	المائدة	١٤
	« اليــاء »			
١٧٣	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	آل عمران	١١

مسلسل	الآيـة	رقم الآية	السـورة	صفحة البحث
١٧٤	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً	٧١،٧٠	الأحزاب	١١
١٧٥	يا أيها الناس اتقوا ربكم	١	النساء	١١
١٧٦	يا أيها النبى حرض المؤمنين	٦٥	الأنفال	١٨٧
١٧٧	يا دواد إنا جعلناك خليفة	٢٦	ص	١٥
١٧٨	يا عبادى إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون	٥٦	العنكبوت	٢٠٥
١٧٩	يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	٥٩	الأعراف	٤٦
١٨٠	يسألونك عن الأنفال	١	الأنفال	٢٩
١٨١	يقص الحق وهو خير الفاصلين	٥٧	الأنعام	١٢
١٨٢	يوم ندعو كل أناس بإمامهم	٧١	الإسراء	٩٩
	ملحق :			
١٨٣	لا تتخذوا بطانة من دونكم	١١٨	آل عمران	٢٩١
١٨٤	استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله	١٢٨	الأعراف	٣٦٧
١٨٥	الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة	٤١	الحج	٣٤٣
١٨٦	اليوم أكملت لكم دينكم	٣	المائدة	٣١٠،٢٩٠
١٨٧	إن تمسسكم حسنة تسؤهم	١٢٠	آل عمران	٢٩١

★ ★ ★

فهـرس
بطرف الحديث ، أو الأثر المستشهد
به في البحث

فهرس المصادر والمراجع

الهمــزة

١ ــ آيات الجهاد فى القرآن

د. كامل سلامة الدقس .

٢ ــ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر

د . محمد محمد حسين ــ جزئين ــ تصوير بيروت

٣ ــ الأحكام السلطانية

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ــ ٤٥٠ هـ

٤ ــ إحياء علوم الدين

أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ــ ت ٥٠٥ هـ ــ ٥ أجزاء ــ طبعة الحلبى

٥ ــ الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين .

كامل الشريف ــ تصوير بيروت .

٦ ــ الإخوان المسلمين والمجتمع المصرى .

محمد شوق زكى ــ تصوير بيروت

٧ ــ الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية

زكريا سليمان بيومى .

٨ ــ الإخوان المسلمين خمسون عاما

عباس السيسى .

٩ ــ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

عبد القادر شيبة الحمد ــ طبع الجامعة الإسلامية .

١٠ ــ الأربعون النووية

أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ــ ت ٦٧٦ هـ ــ طبع الجامعة الإسلامية .

١١ ــ الأسرار الحقيقية لاغتيال البنا

جابر رزق .

١٢ ــ الإسلام والداعية

حسن الهضيبى (المرشد الثانى لجماعة الإخوان المسلمين) ــ دار الأنصار

١٣ ــ الإسلام دين الهداية والإصلاح

محمد فريد وجدى .

١٤ ــ الإسلام

حامد عبد القادر .

١٥ ــ الإسلام

سعيد حوى ــ ٤ أجزاء ــ تصوير بيروت .

١٦ ــ الإصابة فى تمييز الصحابة

أحمد بن على بن محمد العسقلانى (ابن حجر)

ت ٨٥٢ هـ ــ ٤ مجلدات ــ بيروت .

١٧ ــ الأفعى اليهودية

عبد الله التل ــ تصوير بيروت .

١٨ ــ الأم

للشافعى محمد بن إدريس ــ ط الشعب ــ ٤ مجلدات .

١٩ ــ الإمامة

محمد رشيد رضا .

٢٠ ــ الأمة فى دلالتها العربية

د. أحمد حسن عرفات .

٢١ ــ أيديولوجية الإخوان

د. ريتشارد ميتشيل .

٢٢ ــ الإيمان

نشرة صدرت عن حزب التحرير .

« البـــاء »

٢٣ ــ بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبى الوليد بن أحمد بن رشد

ت ٥٩٩ هـ ــ جزئين ــ تصوير لبنان ــ ٧ مجلدات .
٢٤ ــ البداية والنهاية
أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ــ ت ٧٧٤ هـ ــ بيروت .
٢٥ ــ بهجة المحافل وبغية الأماثل
عماد الدين يحيى بن أبى بكر العامرى بشرح محمد الأشجر اليمنى ــ تصوير بيروت ــ مجلدين .
٢٦ ــ بيان عن حزب التحرير لعام ١٩٧٨ م .

« التـــاء »

٢٧ ــ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد
محمد ناصر الألبانى ــ المكتب الإسلامى .
٢٨ ــ تذكرة دعاة الإسلام
أبو الأعلى المودودى ــ طبع باكستان .
٢٩ ــ تركستان
من سلسلة محمد محمود شاكر .
٣٠ ــ التشريع الجنائى
عبد القادر عودة ــ مجلدين .
٣١ ــ التعاليم
رسالة عن الإخوان المسلمين لحسن البنا ــ البهية .
٣٢ ــ تفسير الفخر الرازى
فخر الدين الرازى ــ ت ٦٠٦ هـ ــ القاهرة ــ ١٦ مجلد .
٣٣ ــ تفسير الكشاف ــ المسمى بالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل
محمد بن عمر الزمخشرى ــ ت ٧٢٥ هـ ــ طبع بولاق ١٣٠٧هـ .
٣٤ ــ تفسير القرآن العظيم
إسماعيل بن كثير ــ ت ٧٧٤ هـ ــ طبع الحلبى ــ ٤ أجزاء .

٣٥ ــ تفسير الجلالين

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ١ جزء ــ الحلبى .

٣٦ ــ تفسير المنار

محمد رشيد رضا .

٣٧ ــ التكتل الحزبى

تقى الدين النبهانى مؤسس حزب التحرير .

« الجيــم »

٣٨ ــ جامع البيان عن تأويل آى القرآن

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ــ ت ٣١٠ هـ ــ ١٢ جزء ــ الحلبى .

٣٩ ــ جامع الأصول

أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى

ت ٦٠٦ هـ تصوير بيروت ــ ١١ جزء ــ بتحقيق الأرناؤوط .

٤٠ ــ الجامع لأحكام القرآن

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى

ت ٦٧١ هـ ــ تصوير بيروت ــ ١٠ مجلدات .

٤١ ــ الجامع الكبير

عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ــ الهيئة العامة للكتاب .

٤٢ ــ الجماعة الإسلامية فى سطور

رسائل صدرت عن الجماعة بالهند .

٤٣ ــ الجماعة فى الهند وباكستان

نشرات صدرت عن الجماعة .

٤٤ ــ جماعة التبليغ

رسالة لنيل الإجازة العالية ــ الطالب محمد أسلم من الجامعة الإسلامية .

٤٥ ـ الجماعات الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة

سليم الهلالى وزياد دبيج .

٤٦ ـ جند الله ثقافة

سعيد حوى .

٤٧ ـ الجهاد

الإمام عبد الله بن المبارك .

٤٨ ـ الجهاد فى الإسلام

محمد شديد .

٤٩ ـ جوامع السيرة

أبو محمد بن حزم ـ طبع باكستان .

« الحـــاء »

٥٠ ـ الحجة

أبو زكريا يحيى بن شرف النووى .

٥١ ـ حسن البنا الداعية

أنور الجندى ـ بيروت .

٥٢ ـ حسن البنا ومدرسة الإخوان

رءوف شلبى .

٥٣ ـ حياة الصحابة

محمد يوسف الكاندهلوى ـ ٣ مجلدات ـ طبع مصر .

« الخـــاء »

٥٤ ـ خصائص الرسول (ﷺ)

دراسة فى الماجستير ـ الطالب بحر الدين .

٥٥ ـ الخلافة

آية الله الخمينى .

٥٦ ــ الخلافة
تقى الدين النبهانى .

« الــدال »

٥٧ ــ دروس فى الكتمان
محمود شيت خطاب ــ طبع مصر
٥٨ ــ الدر المنثور
جلال الدين السيوطى ــ ٥ مجلدات ــ تصوير بيروت .
٥٩ ــ دفاع عبد الله رشوان عن شكرى مصطفى
د. عبد الله رشوان .
٦٠ ــ الدعوة الإسلامية فى الهند
مسعود الندوى .
٦١ ــ دعوة الإسلام
سيد سابق .
٦٢ ــ الدعوة الإسلامية فريضة شرعية
صادق أمين .
٦٣ ــ الدعوة الإسلامية فى القارة الهندية
رسالة صدرت عن الجماعة الإسلامية بالهند .
٦٤ ــ دعوتنا فى طور جديد .
حسن البنــا .
٦٥ ــ دلائل النبوة
لأبى نعيم الأصبهانى ــ طبع بيروت .

« الــــراء »

٦٦ ــ الرسائل
حسن البنــا

٦٧ ـــ رواية شفهية

عن الشيخ عبد الغفار حسن من علماء الهند .

٦٨ ـــ الروض الأنف

السهيلى عبد الرحمن ـــ ت ٥٨١ هـ ـــ ٧ مجلدات ـــ طبع مصر .

« الـزاى »

٦٩ ـــ زاد المسير فى علم التفسير

ابن الجوزى على بن عبد الرحمن

ت ٥٩٦ هـ ـــ ٨ أجزاء ـــ تصوير بيروت

« الســـين »

٧٠ ـــ السراج المنير

د. تقى الدين الهلالى .

٧١ ـــ السرية فى دعوة الرسول ﷺ

على محمد الزبيرى ـــ رسالة مخطوطة .

٧٢ ـــ سلسلة الأحاديث الصحيحة

محمد ناصر الألبانى ـــ المجلد الأول ـــ طبع المكتب الاسلامى .

٧٣ ـــ السلام العالمى والإسلام

سيد قطب

٧٤ ـــ سنن الترمذى

أبو عيسى محمد بن سورة الترمذى

ت ٢٧٩ هـ ـــ ٥ مجلدات ـــ بيروت .

٧٥ ـــ سنن ابن ماجه محمد بن يزيد

ت ٢٧٥ هـ ـــ مجلدان ـــ بيروت .

٧٦ ـــ سنن النسائى

أحمد بن شعيب النسائى

٤ مجلدات ـــ طبع بيروت ـــ بشرح السيوطى .

٧٧ ــ سنن الدارمى
عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد
ت٢٥٥ ــ مجلدان ــ بيروت .
٧٨ ــ سنن أبى داود
سليمان بن الأشعث السجستانى أبو داود
ت ٢٧٥ هـ ــ ٤ مجلدات ــ بيروت .
٧٩ ــ سنن البيهقى
أبو بكر أحمد
ت ٤٥٨ هـ ــ السنن الكبرى ــ دار إحياء السنة ــ المثنى ببغداد .
٨٠ ــ السيرة النبوية
ابن كثير ــ ٤ مجلدات ــ بيروت
٨١ ــ السيرة النبوية
ابن هشام ــ مجلدان ــ ٤ أجزاء
٨٢ ــ السياسة الأمريكية والثورة المصرية
مايلز كوبلاند

« الشــين »

٨٣ ــ شرح الدستور
نشرة عن حزب التحرير .
٨٤ ــ الشورى فى الإسلام
محمود بابلى .
٨٥ ــ الشورى
سعيد حوى ــ مخطوط

« الصــاد »

٨٦ ــ صحيح البخارى
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى

طبع المجلس الأعلى ـــ ٦ مجلدات .

ـــ **صحيح البخارى**

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى

إحياء التراث ـــ ٩ أجزاء ـــ ٣ مجلدات .

٨٧ ـــ **صحيح مسلم**

مسلم بن الحجاج النيسابورى ـــ ٥ مجلدات ـــ بتحقيق عبد الباقى .

« الطــاء »

٨٨ ـــ **طريق الدعوة**

أحمد فايز .

« العيــن »

٨٩ ـــ **العالم الربانى**

عشماوى أحمد سليمان .

٩٠ ـــ **عبقرية محمد ﷺ**

محمود العقاد .

٩١ ـــ **عيون الأثر**

ابن سيد الناس ـــ ٢ جزء ـــ بيروت .

« الفــاء »

٩٢ ـــ **فتح البارى**

أحمد بن على بن حجرالعسقلانى

تصوير بيروت عن الطبعة المصرية .

٩٣ ـــ **فتح القدير**

محمد بن على الشوكانى ـــ ت ١٢٥٠ هـ ـــ ٥ أجزاء ـــ بيروت .

٩٤ ـــ **فقة السيرة**

محمد سعيد البوطى ـــ بيروت .

٩٥ ــ فقة السيرة
محمد الغزالى بتخريج الألبانى ــ طبع مصر
٩٦ ــ فى الزنزانة
على جريشة .
٩٧ ــ فيض القدير
عبد الرءوف المناوى ــ ٦ مجلدات ــ بيروت .
٩٨ ــ فى ظلال القرآن
سيد قطب ــ طبع مصر ــ ١٠ مجلدات ــ ٣٠ جزء .

« القـــاف »

٩٩ ــ القابضون على الجمر
محمد أنور رياض
١٠٠ ــ قصيدة (من وراء القضبان)
سيد قطب .
١٠١ ــ قضية تركستان الشرقية
الباتيكينى
١٠٢ ــ قضيتنا
فهمى أبو غدير .

« الـــلام »

١٠٣ ــ لائحة
جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر .
١٠٤ ــ لسان العرب
ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم
ت ٧١١ هـ ــ ٢٠ جزء ــ بولاق .
١٠٥ ــ لماذا أعدم سيد قطب
رسالة بدون تاريخ .

« الميـــم »

١٠٦ ــ مآثر الأناقة فى معالم الخلافة

لأحمد بن عبد الله القلقشندى ــ ت ٨٢١ ــ ط بيروت .

١٠٧ ــ ماذا يعنى انتمائى للإسلام

فتحى يكن .

١٠٨ ــ مباحث فى علوم القرآن

مناع القطان .

١٠٩ ــ مبدأ الشورى فى الإسلام

د. يعقوب المويلحى .

١١٠ ــ مجمع الزوائد

الهيثمى نور الدين على بن أبى بكر

ت ٨٠٧ هـ ــ ١٠ مجلدات ــ تصوير بيروت .

١١١ ــ المعجم الصغير

الطبرانى .

١١٢ ــ المعجم الوسيط

مجموعة مؤلفين .

١١٣ ــ المعجم الكبير

الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد

ت ٣٦٠ هـ ــ العراق ــ بتحقيق حمدى عبد المجيد .

١١٤ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث

ترجمة عبد الباق ــ ٧ مجلدات .

١١٥ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

تأليف عبد الباق ــ بيروت .

١١٦ ــ مفتاح كنوز السنة

ترجمة عبد الباق ــ لاهور .

١١٧ ــ مجلة المناضل

حزب البعث السورى عدد ١٢٨ .

١١٨ ـ مجلة الإصلاح

الإمارات المتحدة ـ عدد ١٨ .

١١٩ ـ مجلة الدعوة المصرية

مصر أعداد ٧ / ١٤ / ٢٥ / ٣٣ / ٣٩ / ٤٠ / ٤٨ .

١٢٠ ـ مجلة الهدى النبوى

مصر ـ عدد ٢٠ ، ٢٣ .

١٢١ ـ مجلة التوحيد

مصر ـ(أعداد رقم : انظر ص (٢٧٠) ٥ مجلدات .

١٢٢ ـ مجلة المجتمع

الكويت أعداد رقم : انظر ص ٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨.

١٢٣ ـ مجلة الأمان

لبنان ـ أعداد ٧ / ١٣ / ٢٠

١٢٤ ـ مجلة الاعتصام

مصر عدد ١٠

١٢٥ ـ مجلة البلاغ

الكويت عدد ١١٧

١٢٦ ـ محاضرة لعبد المجيد الزندانى

ألقيت بدار الحديث المدنية .

١٢٧ ـ محاضرة عن السيد قطب

سعيد حوى ـ ألقيت بطيبة الثانوية .

١٢٨ ـ محاضرة عن صلاح الدين الأيوبى

سعيد حوى ـ ألقيت بدار الأيتام .

١٢٩ ـ محاضرات فى البحث والتحقيق

د. أكرم العمرى ـ الجامعة الإسلامية .

١٣٠ ـ المدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين .

سعيد حوى .

١٣١ ــ مختار الصحاح

أبو بكر الرازى ــ تصوير بيروت .

١٣٢ ــ مذكرة أصول الفقه

للأمين الشنقيطى ــ طبع مصر .

١٣٣ ــ مذكرات الدعوة والداعية

حسن البنــا .

١٣٤ ــ المجموع شرح المهذب للشيرازى تكملة محمد نجيب المطيعى

٢٠ مجلد ــ طبع مصر .

١٣٥ ــ المستدرك على الصحيحين

أبو عبد الله الحاكم وبذيله تلخيص الحافظ الذهبى

٤ مجلدات ــ طبع بيروت

١٣٦ ــ مستقبل الإسلام

محمد عبد القادر العمراوسى .

١٣٧ ــ المستقبل لهذا الدين

سيد قطب .

١٣٨ ــ مسلم بشرح النووى

شرح الإمام النووى ــ ٦ مجلدات ــ طبع مصر .

١٣٩ ــ الملل والنحل

ابن حزم أبو محمد ــ بيروت .

١٤٠ ــ مسند الإمام أحمد

بتحقيق أحمد شاكر ــ طبع مصر ــ ٨ مجلدات .

١٤١ ــ مسند الإمام أحمد

طبع المكتب الإسلامى ــ ٦ مجلدات .

١٤٢ ــ معركة الإسلام والرأسمالية

سيد قطب .

١٤٣ ــ المغازى

محمد بن إسحاق ــ تحقيق زكار

١٤٤ ـ مفاهيم حزب التحرير
رسالة عن الحزب .
١٤٥ ـ مفردات غريب القرآن
الراغب الأصفهانى .
١٤٦ ـ المقاومة السرية فى قناة السويس
كامل الشريف .
١٤٧ ـ المقدمة
ابن خلدون ـ طبع مصر .
١٤٨ ـ مقاصد الجماعة
رسالة صدرت عن جماعة أنصار السنة بمصر .
١٤٩ ـ المنجد
طبع بيروت ـ لويس اليسوعى .
١٥٠ ـ المنطلق
محمد أحمد الراشد .
١٥١ ـ مؤامرة ضد الإسلام فى مصر
رسالة لجماعة الإخوان المسلمين بدون تاريخ .
١٥٢ ـ المؤتمر الخامس
حسن البنـا .
١٥٣ ـ المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة
محمد حسين هاشم .
١٥٤ ـ الموطأ مع تنوير الحوالك
الإمام مالك بن أنس ـ ٣ أجزاء فى مجلد ـ طبع مصر .
١٥٥ ـ المواهب اللدنية
القسطلانى بشرح الزرقانى ـ أوفست وبهامشه
زاد المعاد ـ ٨ مجلدات . بيروت .
١٥٦ ـ محمد رسول الله
رشيد رضا ـ بيروت .

« النـــون »

١٥٧ ـــ نافذة على الجحيم

رسالة صدرت عن جماعة الإخوان سنة ١٩٦٥

١٥٨ ـــ النظريات السياسية

ضياء الدين الريس ـــ مصر .

١٥٩ ـــ نظام الخلافة

د. مصطفى حلمى .

١٦٠ ـــ نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية

عبد الحى الكتانى ـــ مجلدين ـــ بيروت .

١٦١ ـــ النهاية

ابن الأثير الجزرى ـــ ٥ مجلدات ـــ بيروت .

١٦٢ ـــ نقد الدستور الإيرانى

رسالة عن حزب التحرير .

١٦٣ ـــ النكير على منكر النعمة

مصطفى صبرى .

١٦٤ ـــ نيل الأوطار

شرح منتقى الأخبار محمد بن على الشوكانى

٤ مجلدات طبع الحلبى مصر .

« الـــواو »

١٦٥ ـــ وثيقة خطيرة لضرب الإسلام

رسالة مرفقة بالبحث (ملحق رقم ١)

١٦٦ ـــ الوحدة الإسلامية

محمد أبو زهرة ـــ مصر .

« الهـــاء »

١٦٧ ـــ هذا الدين

سيد قطب ـــ بيروت .

فهرس الموضوعات

الباب الأول
هيكـل جماعـة المسـلمين

الباب الثاني
الطريق إلى جماعة المسلمين

الباب الثالث
أهم الجماعات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٥١٥ / ١٩٨٥

الترقيم الدولى ٠ ـ ٤٠ ـ ١٤٢٠ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ – ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

